مركز
دراسات الوحدة العربية

لجنة تخليد ذكرى
المجاهد أحمد الشقيري

خطب أحمد الشقيري

رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية

أحمد الشقيري

١٦ / ٣٦٩٥

المحتويـــــــــــات(*)

١ ـ حديث الشقيري، ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية في مجلس الجامعة، آب/ أغسطس ١٩٦٣ ..... ٧

٢ ـ من أحاديث الشقيري إلى أبناء فلسطين حول الكيان الفلسطيني: أيلول/ سبتمبر ١٩٦٤: الكيان الفلسطيني في أول الطريق ١٣

٣ ـ الكيان الفلسطيني ما هو؟: من أحاديث الشقيري لأبناء فلسطين إثر مؤتمر القمة العربي الأول، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٤ ..... ١٧

٤ ـ عرض الشقيري نتائج اتصالاته العربية والفلسطينية أمام لجنة المتابعة المؤلفة بموجب قرار مؤتمر القمة العربي الأول، نيسان/ أبريل ١٩٦٤ .... ٢٣

٥ ـ كلمة الشقيري لمناسبة ذكرى ١٥ أيار/ مايو سنة ١٩٦٤ ..... ٢٩

٦ ـ خطاب الشقيري في افتتاح المؤتمر الفلسطيني الأول المنعقد في مدينة القدس في ٢٨ أيار/ مايو ١٩٦٤ ..... ٣٧

(*) لقد اعتمدنا في هذا الكتاب، **أحمد الشقيري: الأعمال الكاملة**، ترقيمين: الترقيم الأول في وسط ذيل الصفحة، وهو يشير إلى رقم الصفحة في الكتاب الواحد ضمن المجلد، ولكل كتاب من الكتب في الأعمال الكاملة ترقيم خاص بعدد صفحاته. والترقيم الثاني في يسار ذيل الصفحة، وهو يشير إلى الرقم المتسلسل التصاعدي في المجموعة؛ وقد سبق هذا الرقم التسلسلي رقم أحادي مقترن بعلامة (/)، وهو يشير إلى رقم تسلسل كل كتاب من الكتب المتضمنة في الأعمال الكاملة.

٧ ـ كلمة الشقيري في الجلسة الرابعة للمؤتمر الوطني في القدس
أواخر أيار/ مايو ١٩٦٤ ..... ٤٧

٨ ـ كلمة الشقيري في مؤتمر القمة العربي الثاني في الإسكندرية،
أيلول/ سبتمبر ١٩٦٤ ..... ٥١

٩ ـ كلمة الشقيري إلى أبناء فلسطين:
في ذكرى وعد بلفور، ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٤ ..... ٥٧

١٠ ـ كلمة الشقيري في افتتاح إذاعة فلسطين
في القاهرة، ١ آذار/ مارس ١٩٦٥ ..... ٦٣

١١ ـ كلمة الشقيري في افتتاح الندوة العالمية للاتحاد العام لطلاب فلسطين
في القاهرة، ٣١ آذار/ مارس ١٩٦٥ ..... ٦٧

١٢ ـ كلمة الشقيري في افتتاح المؤتمر الأول لعمال فلسطين المنعقد
في غزة في ١٤ نيسان/ أبريل ١٩٦٥ ..... ٧١

١٣ ـ خطاب الشقيري في ذكرى النكبة في ١٥ أيار/ مايو ١٩٦٥
في جامعة القاهرة ٧٥

١٤ ـ رسالة الشقيري إلى مؤتمر الطلاب الرابع عشر في الولايات المتحدة،
أيار/ مايو ١٩٦٥ ..... ٨٧

١٥ ـ خطاب الشقيري في المجلس الوطني الفلسطيني في دور انعقاده الثاني
في القاهرة، ٣١ أيار/ مايو ١٩٦٥ ..... ٩٣

١٦ ـ بيان الشقيري لشعب فلسطين حول مؤتمر القمة في الدار البيضاء،
أيلول/ سبتمبر ١٩٦٥ ..... ١٠٧

١٧ ـ بيان الشقيري بعد عودته من مؤتمر الدار البيضاء،
أيلول/ سبتمبر ١٩٦٥ ..... ١١٥

١٨ ـ خطاب الشقيري في المؤتمر الشعبي لأبناء فلسطين
في جامعة الاسكندرية، ١٤ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٥ ..... ١٢٣

١٩ ـ طريق التحرير . . . طريق بورسعيد : خطاب الشقيري في المؤتمر الشعبي
الذي أقيم في بورسعيد، ١٧ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٥ ..... ١٤٥

٢٠ ـ خطاب الشقيري في وفود ٧٤ دولة إسلامية
في مؤتمر أبي بكر الصديق في الإسكندرية، ٢٥ آب/ أغسطس ١٩٦٦ ... ١٦٣

٢١ ـ مذكرة الشقيري إلى مؤتمر القمة الأفريقي في أديس أبابا،
تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٦ ..... ١٨٩

٢٢ ـ الرسالة التي وجهها الشقيري، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية،
إلى شعب فلسطين والأمة العربية بمناسبة الذكرى الخمسين لوعد بلفور،
٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧ ..... ١٩٧

(١)

حديث الشقيري، ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربيــة فـي مجلـس الجامعــة، آب/أغسطـس ١٩٦٣(*)

السيد رئيس المجلس، السيد الأمين العام، سادتي رؤساء أعضاء الوفود العربية في هذا المجلس الموقر.

أشكر لمجلسكم الموقر ثقتكم الغالية التي أوليتموني إياها باختياري مندوباً لفلسطين لدى مجلس الجامعة، وإني لأرجو مخلصاً أن أكون عند هذه الثقة الغالية، وأن أؤدي لهذه الأمانة الثقيلة حقها، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

وكم كنت أتمنى من كل جوارحي أن يتم اختياري بصورة إجماعية لا بالنسبة لشخصي، ولكن بالنسبة للقضية المقدسة التي هي قضية العرب جميعاً، غير أنني سأبذل من جانبي قصارى جهدي بعد انفضاض المجلس لأنتزع الثقة التي حجبت عني أثناء انعقاد المجلس، وسأنتهز أول فرصة لأتصل بالرياض وعمان، لتحقيق هذه الغاية. وعلى كلٍ فسأمضي في المهمة التي ألقيت على عاتقي والمهمة العاجلة التي هي أمامي، هي تأليف الوفد الفلسطيني وسفره إلى الأمم المتحدة للدفاع عن قضية فلسطين، وإنني أطمع في تأييدكم جميعاً في مهمتي الشاقة في هذه القضية الغالية، في الظروف الدقيقة التي تجتازها قضية فلسطين في الأمم المتحدة.

وإني حريص الحرص كله، ألا ندع أمام إسرائيل مجالاً تدعي فيه أن الوفد

(*) الخطب من ١ ـ ٢٢ هي خطب الشقيري رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية وهي مأخوذة من: **كلمات على طريق التحرير** (غزة، فلسطين: مطبعة دار أخبار فلسطين للصحافة والطباعة والنشر، ١٩٦٦)، و**مواقف حاسمة وقومية في قضية فلسطين** (القاهرة: منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٥).

الفلسطيني لا يمثل وجهات النظر العربية بكاملها، وكل ما أطمع فيه مخلصاً وصادقاً! وأرجوه من أعماق نفسي، ألا نجد أنفسنا في الأمم المتحدة نواجه مثل هذا الموقف. ولا بد لي وأنا ماثل أمام مجلسكم الموقر لأول مرة أن أعرض لطائفة من الأمور، سواء منها ما يتصل بمنصبي أو ببعض جوانب القضية الفلسطينية التي تثير الاهتمام في الوقت الحاضر.

ويهمني قبل كل شيء أن أؤكد لمجلسكم الموقر أنني لا أرى في منصبي هذا عملاً روتينياً يقتصر على المشاركة في أعمال المجلس مرتين كل عام، فإن القضية الفلسطينية تمثل فيها نكبة مروعة أصابت شعباً برمته في أقدس ما يملك، وهي لذلك تأبى بطبيعتها وجوهرها أن تحتمل الروتين من قريب أو من بعيد.

ولست أرى كذلك في منصبي عملاً دبلوماسياً، ففلسطين ليست دولة مستقلة تأخذ بالأعراف الدبلوماسية، هذا فضلاً عن أن الدول المستقلة نفسها قد عزفت أخيراً عن كثير من الأساليب التقليدية وأخذت بأساليب التفكير الثوري.

وفوق ذلك فإني لا أرى هذا المنصب وظيفة ذات راتب أو مكافأة، فهي عندي واجب قومي ليس لي أن أتقاضى عنه أجراً أو شكراً، وإنني أقبله من غير راتب وكل ما يستحق له من مكافآت فإنني أحيله من الآن إلى صندوق فلسطين من أجل تحرير فلسطين.

وعلى هذا أعتبر أنّ المنصب الذي عهد إليّ منصب نضالي ! تملكه أمة تريد أن تناضل من أجل تحرير الوطن.

ويعلم مجلسكم الموقر أني قد تهيّبت هذا المنصب، منذ سمعت الهمسات الأولى حول اختياري للقيام به، ولقد أشفقت على نفسي أن أحمل هذه الأمانة الجسيمة ووراءها تلك التركة الثقيلة الدامية. ولكن لم يكن أمامي خيار، فنحن الذين نريد أن نتصدى للعمل الوطني لا يصح أن نهرب من العمل خشية الفشل: وقد أقدمت وأنا أعرف الصعوبات التي هي في طريقي.

في الواقع، أيها السادة، أحسست منذ أن توليت العمل أنني بدأت أواجه الصعوبات وهي تتراكم أمامي. ولم يكن هذا مفاجأة لي فقد عشنا جميعاً هذه الصعوبات وتمرسنا بها، منذ أن نزلت بنا هذه النكبة.

وليست أولى هذه الصعوبات، أيها الإخوان، تحالف الاستعمار والصهيونية، فإن أصعب الصعوبات في تقديري، هو حال القضية الفلسطينية على الصعيد

العربي، وحال القضية الفلسطينية في الوطن العربي نفسه، تلك هي الصعوبة الأولى في نظري.

إن قضية فلسطين محاطة الآن بجو ثقيل مشحون بالأحداث العربية المؤلمة، وإذا استمر مثل هذا الجو فستظل قضية فلسطين متردية في الهاوية التي انتهت إليها. وإن على الجامعة العربية مسؤولية كبيرة في أن تجعل من قضية فلسطين عامل وحدة تحل محل الخلاف والفرقة، على أنه إذا وجدت هذه الخلافات طريقها إلى الجامعة، فما دمت في منصبي هذا فإن موقفي منها واضح وصريح وقاطع: لن أكون طرفاً في هذا النزاع ولن أكون مع دولة عربية ضد دولة عربية أخرى. إن ولائي من أعماق ضميري سيكون لفلسطين ولقضيتها، وفي إطار من الوحدة العربية الكبرى وعلى هذا العهد والميثاق أتطلع إلى تأييدكم وإلى ثقتكم.

والصعوبة الثانية التي أجدها في طريقي الآن، هي ما ثار من شكوك ومخاوف بصدد الكيان الفلسطيني، فلقد قيل مثلاً إنَّ الكيان الفلسطيني يهدف إلى غرضين: أولهما، سلخ الضفة الغربية عن المملكة الأردنية الهاشمية وإقامة حكومة فلسطينية فيها، وثانيهما، أن تتخلى الدول العربية عن قضية فلسطين، وأن تلقي أعباءها كلها على أهل فلسطين وحدهم. وكلا الأمرين، أيها السادة، باطل لا أساس له من الصحة، وأريد هنا أن أنتهز هذه المناسبة لأقولها كلمة واضحة وصريحة وقاطعة:

أولاً: إن الكيان الفلسطيني لا يقصد منه أن تتخلى الدول العربية عن واجبها القومي في العمل من أجل تحرير فلسطين. إن تحرير فلسطين تبعة قومية كبرى تقع على كاهل الأمة العربية بأسرها حكومات وشعوباً، ومن جملتها الشعب الفلسطيني، فليس الهدف من الكيان الفلسطيني إلقاء العبء على أهل فلسطين وحدهم، ولا تركهم في الميدان وحدهم، ولكن القصد من الكيان الفلسطيني هو تعبئة الطاقات الفلسطينية لتمكين الشعب العربي الفلسطيني من القيام بدوره في تحرير وطنه. إن تحرير فلسطين لا يمكن أن يتم في منعزل عن أهل فلسطين وبدون أهل فلسطين. ولا يعرف تاريخ النضال سابقه واحدة تم فيها تحرير أي وطن بغير كفاح أهله وتضحية أبنائه. إن أهل فلسطين قد أصبحوا قوة غير عاملة في الحقل العربي منذ ١٨ عاماً، والكيان الفلسطيني يهدف إلى أن يصبح أهل فلسطين قوة وطنية عاملة، تسهم في تحرير فلسطين.

إن الكيان الفلسطيني يريد أن يمكّن للكفاءات السياسية الفلسطينية أن تعمل في

الميدان السياسي من أجل فلسطين. وأن يمكن للكفاءات التنظيمية من العمل في ميدان التنظيم من أجل فلسطين، وخاصة من أجل إنشاء صندوق قومي لفلسطين، يحقق كل برنامج يهدف إلى تحرير فلسطين.

وكذلك فإن الكيان الفلسطيني يريد أن يمكّن للقادرين على حمل السلاح من أبناء فلسطين أن يحملوا السلاح لتحرير فلسطين. وليس لنا أن ننسى بهذه المناسبة أن للجندي الفلسطيني تفوقاً على غيره في ميدان البطولة والبسالة بسبب معرفته بوطنه، مداخله ومخارجه جباله ووديانه، وبسبب العاطفة الجارفة التي تجيش في صدره.

وعلى الجملة، أيها السادة، فإن الكيان الفلسطيني يهيئ الأسباب للاستفادة من الطاقات الفلسطينية بين جماهير الشباب والطلاب والعمال والفلاحين وكل الفئات الفلسطينية ليكونوا قوة نضالية في الميادين السياسية والتنظيمية والعسكرية. هذا هو المفهوم الأساسي لكيان فلسطين.

ثانياً: إن الكيان الفلسطيني لا يهدف إلى سلخ الضفة الغربية، وليس من شأنه أن يتعرض للكيان الأردني من قريب أو من بعيد. وإن سلخ الضفة الغربية وإقامة حكومة فلسطين فيها ليس من أهداف الكيان الفلسطيني، فضلاً عن أنه لا يجول في خاطر أحد. ليس هدفنا الضفة الغربية، ولكن هدفنا هو غرب الضفة الغربية. الهدف هو إسرائيل، الهدف هو تحرير فلسطين من إسرائيل، وحين يتم تحرير فلسطين سيقرر أهل فلسطين مصيرهم ومستقبلهم السياسي وفق مشيئتهم، فلهم أن ينشئوا دولة مستقلة، ولهم إذا شاءوا أن يدخلوا في اتحاد أو وحدة مع أية دولة عربية أخرى، كأي شعب في هذه الدنيا من حقه أن يقرر مصيره في كل زمان وفي كل مكان.

أما الصعوبة الثالثة، فإنها تكمن في الظروف التي تحيط بقضية فلسطين في جامعة الدول العربية. وأنا هنا أتكلم عن معرفة وممارسة بشؤون الجامعة، لأنني عملت في الجامعة العربية سبع سنوات، كنت مسؤولاً خلالها عن قضية فلسطين».

لقد أصدر مجلسكم الموقر في هذه الدورة ثلاثة قرارات، وإن لي بصدد هذه القرارات مهمة يجب عليّ القيام بها. إن مهمتي ليست حضور هذه المناقشات وأنتهي، ولا الاشتراك في القرارات وكفى، ولا بإلقاء هذه الكلمة وأنتهي، إن علي واجباً آخر متلاحقاً متوالياً متتابعاً. إن واجبي أن أحمل هذه القرارات إلى وزارات الخارجية

لأطالب وألح بتنفيذها، وقد يكون هذا العمل من جانبي خارجاً عن الأعراف الدبلوماسية المألوفة. لست هنا في منصب دبلوماسي وإن قضيتنا ليست قضية دبلوماسية بل قضية نضالية. وإن أبواب وزارة الخارجية في كل بلد عربي يجب أن تكون مفتوحة لخدمة هذه القضية.

أقول هذا، وقد سألت بالأمس الأمانة العامة عن عدد القرارات التي أصدرتها الجامعة العربية عن قضية فلسطين منذ تأسيسها. وقد علمت من الأمانة العامة أن هذه القرارات قد بلغت حتى هذه الدورة ٥٨٩ قراراً. وهذا العدد الكبير، أيها السادة، ليس دليل الصحة والعافية، ولكنه يدل على خللٍ كبير يجب أن نضع أناملنا عليه جميعاً وأن نجد له العلاج الشافي، وذلك في نظري لا يتصل بقضية فلسطين فحسب، ولكنه يتصل بكرامة الجامعة العربية وثقة الشعوب العربية بها.

لقد جُرحت الجامعة العربية في سمعتها جرحاً عميقاً بسبب قضية فلسطين، وما زال هذا الجرح دامياً. وعلى الجامعة العربية أن تبذل قصارى جهدها لتدعيم مكانتها وتأكيد ثقة الشعب العربي بها بوصفها أكبر منظمة عربية تملكها الأمة العربية في الوقت الحاضر. أقول هذا وأنا على علم تام بالجهود المشكورة الغالية التي يقوم بها السيد الأمين العام في كل مناسبة وفي كل ظرف لتدعيم الثقة بالجامعة العربية، وجعلها أداة فعالة في خدمة القضايا العربية وفي خدمة قضية فلسطين بصورة خاصة.

وإنني، أيها الإخوان، كما أشرتم في قراركم الأخير سأسافر إلى الأمم المتحدة لبذل جهدي مع إخواني الذين يقع عليهم الاختيار للدفاع عن هذه القضية المقدسة، وأنا أعلم أن الأمم المتحدة ليست خاتمة المطاف في هذه القضية الوطنية. أقول هذا ولي الخبرة المتواضعة في هذه القضية، وتعلمون كما أعلم أنه لا حلّ لهذه القضية في الأمم المتحدة، وأن الحلّ يجب أن نلتمسه في الوطن العربي وفي الوحدة العربية.

ولكن للأمم المتحدة دوراً وهو ما لا يصح أن نتركه ونتخلى عنه، لذلك سأؤدي واجبي في الأمم المتحدة، على ألا ينسينا هذا الواجب أداء الواجب الأقدس.

وعندما أفرغ من الأمم المتحدة، سأزور البلاد العربية، بلداً بلداً لنرى الطريق الأمثل لنقل هذه القضية من الجمود الذي تعانيه إلى النشاط الذي نريده ونصبو إليه.

هذا ما أطمع فيه وسأسير في هذا الطريق إلى نهايته بكل صبر وبكل عزيمة، فإذا أفلحت، فذلك ما أرجوه، وذلك ما أدعو الله لتحقيقه، وإلا فسأعيد هذه الأمانة إليكم. وسأظل من جانبي أعمل لفلسطين ما حييت، منتهجاً كل طريق أجده أمامي مفتوحاً.

لقد طال الزمن على هذه القضية، ولم يعد الزمن في صالحنا. وليس علينا أيها السادة إلا أن نحزم أمرنا ونوحد كلمتنا حتى نبلغ النصر، فإن كل أسباب النصر متوافرة لنا، وحين تتجمع هذه الأسباب في أيدينا، فهناك موارد البلاد العربية المادية والروحية، ودونكم الشعب الفلسطيني في عزمه وتصميمه على استرداد وطنه. ولا يبقى إلا أن نوجه هذه الطاقات الضخمة إلى طريق واحد وهدف واحد.

ويقيني أن النهاية ستكون النصر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(٢)

من أحاديث الشقيري إلى أبناء فلسطين حول الكيان الفلسطيني: أيلول/سبتمبر ١٩٦٤

الكيان الفلسطيني في أول الطريق

إخواني أهل فلسطين

استمعوا إلي بكل جوارحكم ومشاعركم، فسأتحدث إليكم عن فلسطين وعن تحرير فلسطين، وإنكم لتذكرون أنني طالما خطبت فيكم قبل النكبة الدامية في مؤتمراتنا الوطنية، ومظاهراتنا القومية، ولكم تناجينا في السجون وائتمرنا في المعتقلات وفي كل ساح في الوطن الحبيب، ثم حلت الكارثة فتفرق الشمل وتباعدت بيننا الديار وقذفتنا الأقدار تحت كل سماء وكوكب.

وكان من قدري في هذه الأعوام التسعة عشر أن أجد نفسي في الميدان الدولي على منبر الأمم المتحدة أكافح عن قضيتنا المقدسة إلى جانب الوفود العربية ما وسعنا الجهد. ولقد فعلت ذلك وأنا أعلم أن الأمم المتحدة لا تعيد لاجئنا إلى أرضه، ولا ترد إليه شبراً من وطنه، ولكنه واجب سياسي دولي كان لابد من أدائه لتبقى قضية فلسطين حية في المجال الدولي إلى أن تصبح حية نابضة في الوطن العربي تفور بأحداث النضال وتتداول أروقة الأمم المتحدة بأنباء الكفاح.

ويأتي بي القدر هذه الأيام لأكون مندوباً لفلسطين لدى الجامعة العربية، ولقد ترددت طويلاً في قبول هذا المنصب وتهيبت تبعاته، ولم يكن ذلك تقاعساً عن الواجب ولكني عرفت سيرة هذه القضية في الجامعة العربية منذ كانت، فضلاً عن أن تجاربي في الجامعة لم يكن فيها ما يشجعني على المضي في هذا الطريق. ولقد ضاعف من تهيبي أن التركة ثقيلة والمسؤولية خطيرة والأمانة رهيبة، وفوق هذا وذلك فأنا أعرف أن أهلي، أهل فلسطين، اللاجئ منهم والمقيم،

يعيشون تحت ظروف مريرة، كثيراً ما تتجاوز طاقة الصبر والاحتمال.

ولكن الخيار أمامي حاد حاسم، ولم يكن يقبل حلاً وسطاً: هل أعمل أو ألاّ أعمل، أن أحاول أو ألاّ أحاول، وبعبارة أدق أن أغامر أو ألاّ أغامر.

فاستخرت الله وتطوعت للعمل وآثرت أن أغامر فإن العمل القومي لابد فيه من مغامرات وتضحيات.

تطوعت للعمل، أيها الإخوان، وأنا عليم بالصعاب التي تكتنف هذه القضية المقدسة. ويكفي في ضخامة هذه الصعوبات أنها أثقل القضايا العربية حملاً يتساند في خصومتها الصهيونية العالمية والاستعمار، إلا أن خدمة الوطن تقتضي مجابهة الصعاب وإيثار النضال على حياة الراحة والدعة.

ولست أريد اليوم أن أضيف خطاباً جديداً إلى السفر الضخم الذي يحتوي الخطب عن قضية فلسطين، وقد غرقت هذه القضية في خضم من الخطب والتصريحات والبيانات، والقرارات السرية وغير السرية، ولكني أحدثكم اليوم عن الإعداد للعمل، عن التحضير للتنظيم، عن تدبير أسباب التحرير. ولو وجدت لذلك كله سبيلاً غير الكلام لفعلت.

ولست أريد أن أحدثكم عن النكبة وظروفها وأسبابها فإن رعاة الإبل وأساتذة الجامعات يستوون في معرفتها، والحديث فيها معاد ولا يتسع المجال للكلام.

وصفوة ما أريد أن أقول اليوم إن قضية فلسطين يجب أن يعمل لها شعب فلسطين، كأية قضية لأي شعب. كان السؤال الذي يقضّ مضاجعي في السنين الأخيرة أين شعب فلسطين؟ هناك قضية فلسطينية فأين هو شعب فلسطين؟ الفلسطينيون موجودون في قطاع غزة، في الأردن، في سوريا، في لبنان، في الكويت، في السعودية ولكن أين التنظيم الوطني الذي تتجلى فيه إرادتهم القومية؟ أين قضيتهم الشعبية المنبثقة من جماهير الشعب؟ الفلاحون والعمال والطلاب، اللاجئون والمقيمون، الرجال والنساء، ولقد مرت أمامي في الأمم المتحدة طائفة من القضايا الوطنية أحسست بشعوبها وراءها. كل قضية وراءها شعبها، وشعبها منظم في نضاله. ليس هذا على الصعيد الدولي ولكن على الصعيد الوطني أولاً. كل نضال قومي وراءه الشعب وشعب منظم.

فأين هذا في فلسطين؟ إن خطة إسرائيل ألاّ يبقى شعب فلسطين وألاّ يكون تنظيم لشعب فلسطين. إن الكارثة مروعة حقاً، لقد اقتلعنا من وطن آبائنا ونحن الآن نصفنا لاجئ والنصف الآخر يكافح للرزق، ولكن لقد آن لنا أيها الإخوان أن نرفع رؤوسنا من بين الردم والهدم والدم، آن لنا أن ننظم صفوفنا، وآن للدول العربية أن

تيسر لنا سبيل التنظيم والعمل. كان ينبغي أن يكون لنا هذا التنظيم بعد أن أفقنا من هول الكارثة في سنة ١٩٤٨ وفي سنة ١٩٥٠ وفي سنة ١٩٥٥ وفي سنة ١٩٦٠، وها نحن في عام ١٩٦٣ من غير تنظيم.

لقد تصدعت حياتنا القومية، كشعب منذ تسعة عشر عاماً، وصحيح أنه كانت لنا جهود قومية خلال هذه الفترة ولكنها كانت مبعثرة غير متصلة وقد أصبح من واجبنا أن نعيد بناء حياتنا القومية كشعب له قضية مقدسة حتى نؤدي دورنا كاملاً في تحرير الوطن. وهذا هو الكيان الفلسطيني الذي شملته قرارات الجامعة العربية في دورتها الأخيرة.

إن الكيان الفلسطيني هو تنظيم عام للشعب الفلسطيني، هو توكيد لشخصيته القومية وإبراز لوجوده على الصعيد العربي، وفي المجال الدولي.

لست أقول هذا تنكراً للوحدة العربية في النضال والمصير، فنحن طلاب وحدة لكن النضال العربي ووحدة المصير يواجهان فراغاً، خطراً إذا لم يكن لشعب فلسطين تنظيم قومي يعبئ طاقاته للعمل النضالي. إن أهل فلسطين طلاب وحدة، وقد كان شعارهم « فلسطين عربية في إطار الوحدة العربية»، ولكن الوحدة هي الحاصل الكبير، تنظيم جميع الشعوب العربية.

وليس معنى الكيان الفلسطيني، ليس معنى التنظيم الفلسطيني، أن يقع تحرير فلسطين على أهل فلسطين، هذا منطق باطل من أساسه وظالم من أساسه. لا يصح أن يقف أهل فلسطين وحدهم وهم على أطلال النكبة، إن أمامهم إسرائيل مسنودة بالصهيونية العالمية والاستعمار. إن تبعة تحرير فلسطين تقع على عاتق الأمة العربية حكومات وشعوباً. لكن كيف يمكن أن نتصور تحرير فلسطين من غير أهل فلسطين، في معزل عن أهل فلسطين، كيف يمكن أن نخوض معركة التحرير بدون أهل فلسطين، بدون رجالها الذين تمرسوا بجبالها ووديانها، بمدنها وقراها، بدون أبنائها المتعطشين إلى البذل والفداء يحدوهم الشوق إلى الوطن السليب والحنين إلى مرقد الآباء والأجداد.

هذا هو الكيان الفلسطيني، إنه تنظيم وعمل وتحرير، إنه قوة طليعية نضالية في ميدان النضال العربي، إنه تضحيات وبطولات، لا مناصب ولا وزارات إنه عرق لا يجف ودمع لا يكفكف ودم غير ضنين، هذا هو الكيان الفلسطيني.

ولكن أيها الإخوان إن الكيان الفلسطيني لا تصنعه الجامعة العربية ولا الدول العربية. إنه صنع أهل فلسطين، ووليد إرادتهم، وهكذا يجب أن يكون. إن تبعة إقامة الكيان الفلسطيني تقع على أهل فلسطين.. بالتنظيم والتصميم، وليس على الحكومات العربية إلا أن تيسر السبل.

ومن أجل ذلك فإني أهيب بكم أن تحزموا أمركم لتنظيم صفوفكم وجمع شملكم. علينا جميعاً أن نكون جبهة قومية واحدة. جميع الهيئات، جميع النوادي، جميع الجمعيات، كلنا جميعاً، نحن مطالبون بأن نهيئ أرواحنا وعقولنا وعزائمنا للتنظيم الشعبي الشامل. وأن أمامنا المراحل الثلاث:

المرحلة الأولى: ونحن فيها الآن، علينا أن نفكر جميعاً ونتشاور فيما بيننا حيث كنا، بالمراسلة، بالمشافهة، بالاجتماع، فلنتبادل الرأي والمقترحات.

المرحلة الثانية: لنتزاور من استطاع منا السفر، وسأزوركم من جانبي في مخيماتكم ومواطنكم بعد الانتهاء من الأمم المتحدة لنرى أفضل السبل لهذا التنظيم، أهو بالانتخاب، أم بالتطوع، أهو في مؤتمر عام شامل أو في مؤتمرات نعقدها هنا وهناك، إلى غير ذلك مما يتصل بالتنظيم.

المرحلة الثالثة: هي قيام الكيان في ضوء ما تهدي إليه الدراسة والمشاورة. وقد يثور حول هذا خلاف أو جدل. غير أن مصير هذا الكيان مرهون بالعمل لا بالجدل، مرهون بالتنظيم والنضال. وهناك يكون الامتحان الكبير.

ولسنا في حاجة إلى إيضاح كبير عن معالم الكيان الفلسطيني:

إنه أداة سياسية تعمل في الميدان السياسي وتعبئ الكفاءات السياسية الفلسطينية لتعمل في المجال الدولي وعلى الصعيد العربي.

إنه أداة تنظيمية تعمل على إنشاء صندوق قومي لفلسطين يموّل حركة النضال القومي وتكون موارده من أهل فلسطين ومن الدول العربية حكومات وشعوباً ومن الدول الصديقة المحبة للحرية والعدل والسلام.

إنه أداة نضالية تمكن أهل فلسطين من النضال، تكفل التدريب والتسليح للقادرين على حمل السلاح.

وعلى الجملة إن الكيان الفلسطيني يهدف إلى تعبئة أهل فلسطين ليؤدوا دورهم في تحرير فلسطين إلى جانب جهود الأمة العربية.

هذا هو الطريق لتحرير فلسطين أيها الإخوان. ولست أدعوكم إلى طريق لا أسير فيه معكم، علينا أن نسير معاً، وأن نسير جميعاً، فإن هلكت في الطريق فاحملوني أيها الرفاق إلى فلسطين عربية حرة مستقلة.

(٣)

الكيان الفلسطيني ما هو؟
من أحاديث الشقيري لأبناء فلسطين
إثر مؤتمر القمة العربي الأول، كانون الثاني/يناير ١٩٦٤

إخواني أهل فلسطين:

أحدثكم الآن عن طريق الإذاعة وأنا أتهيأ للسفر إليكم لأحدثكم وجهاً لوجه حيثما كنتم، سواء في المخيمات أو المدن أو القرى، في الضفة الغربية أو في قطاع غزة أو في سائر أرجاء الوطن العربي الكبير.

ولن يكون حديثي بكاءً ونحيباً لما نزل بنا، ولا حنيناً للوطن السليب وشوقاً لمرابعه الجميلة، ولا ترداداً للأماني العذاب والآمال الجسام. ذلك كله قد انقضى عهده في الأعوام التسعة عشر الماضية، فقد ندبنا كثيراً، وكثيراً تفجعنا.

ولكني أحدثكم اليوم عن التنظيم، التنظيم البناء الذي ينتظرنا. أحدثكم عن العمل، العمل الهادف الذي يواجهنا. أحدثكم عن الكفاح، الكفاح الثوري الذي ندنو منه ويدنو منا.

نحن، أيها الاخوة اللاجئون والمقيمون، أمام فرصة العمر التي كنا نسعى لها في الأعوام الطوال التي مرت بنا، الأعوام التي تعاقبت ونحن نزخر بالأمل من غير عمل، لقد انقضت الأيام والليالي ونحن نتحرق شوقاً إلى الكفاح من أجل وطننا السليب. وحالنا اليوم نعرفه حق المعرفة، بل إننا نعيشه بكل آلامه وحسراته: اللاجئون منا مشردون من ديارهم يقاسون ألوان العذاب والحرمان، والمقيمون منا تقطعت أوصالهم بالوطن الحبيب، وجميعنا بين لاجئ ومقيم متعاهدون على تحرير أرضنا المقدسة بالمهج والأرواح.

ولكن . . . ولكن منذ وقعت الكارثة ونحن نعيش عيش الأفراد، لا عيش الشعب الواحد، الشعب الذي يعمل لقضيته. صحيح أنه كانت لنا في هذه الحقبة جهود لخدمة بلادنا، وصحيح أيضاً أن منظمات فلسطينية قد قامت تهيئ نفسها قدر طاقاتها وإمكاناتها للعمل من أجل فلسطين. ولكن هذه الجهود جميعها كانت محدودة ومشتتة، وبقيت قضية فلسطين تعاني فراغاً قومياً كبيراً فلم يكن شعبنا منظماً تنظيماً كاملاً، ولم تكن لنا قيادة شاملة تمثل إرادة الشعب وتتجاوب مع الشعب. وانتهى بنا الأمر بعد تسعة عشر عاماً من الكارثة أننا أمام كارثة أخرى: نحن شعب من غير كيان، وقضية من غير قيادة. كان السؤال الرهيب . . . أين شعب فلسطين؟ أين منظماته؟ أين حركته النضالية؟

هذا هو الفراغ الكبير الذي تعانيه قضية فلسطين منذ كانت الكارثة ومن هنا وجب علينا أن نسد هذا الفراغ بالتنظيم، وجب علينا أن يكون شعبنا منظماً تنظيماً كاملاً، اللاجئون والمقيمون، العمال والفلاحون، الطلاب والشباب، الرجال والنساء، الشعب بكل فئاته وهيئاته ومنظماته، وفي طليعته قيادة واعية مناضلة منبثقة من إرادته نابعة من مشيئته، تعمل جاهدة لتعبئة طاقاته وكفاءاته من أجل تحرير الوطن.

ونحن الآن نبدأ من الصفر في كثير من جوانب قضيتنا، ولكننا لسنا أمة بلا ماض، فنحن أمة لنا تاريخ وتاريخ مجيد في الكفاح الوطني: فمنذ بدأ الاحتلال البريطاني عام ١٩١٨ إلى أن انتهى في عام ١٩٤٨ وشعبنا يقاوم الاستعمار والصهيونية بإباء وشمم وكفاح وقتال، فبذلنا الأموال والأرواح وسقط الألوف من شهدائنا دفاعاً عن الوطن إلى أن حلت بنا الكارثة، وأنتم تعرفون أسبابها وما من حاجة لذكرها.

ولهذا فنحن إن بدأنا اليوم تنظيمنا القومي، فإننا لا نبدأ حياة جديدة ولكننا نستأنف حياتنا القومية، نستأنف السير في طريق النضال بكل ما تتطلبه جسامة الكارثة وتطور الحياة العربية وظروف العالم الدولية. إن هدفنا القومي لا يتغير ولا يتبدل ففلسطين وطننا العريق ونحن شعبها الأصيل. ولكن تنظيمنا يجب أن يرتفع إلى مستوى الأحداث التي نعيشها من عربية ودولية. وإلى جانب هذا وذاك عامل هام لا يصح أن يغيب عن البال، فمنذ وقعت الكارثة نشأت أجيال فلسطينية فتية واعية، انضمت إلى قافلة الشعب الفلسطيني وهذه الأجيال الصاعدة على جانب عظيم من الكفاءة والعلم والإخلاص ويجب أن يكون لها مكان مرموق في قيادة الحركة الوطنية في مجال التحرير.

من أجل ذلك وجب علينا أن نتنادى إلى تنظيم شامل، إلى تعبئة كاملة لكلّ فئات

الأمة وكفاءاتها وطاقاتها، فالقضايا التحررية لا تبدأ إلا بالتعبئة الروحية والمادية ولولا ذلك ماكان وطن ولا تحرير. وإن لنا في القضايا التحريرية في العالم أسوة حسنة في تجاربها الفتية. ولقد شهدتُ هذه القضايا ورافقتُ سيرها في الأمم المتحدة. جميع القضايا التحريرية في آسيا وفي أفريقيا كانت وراءها شعوبها، وكانت شعوبها وراءها منظمة معبّأة. ولو شئنا أن نستعرض هذه القضايا واحدة واحدة، العربية منها مثل الجزائر، والإفريقية منها مثل جنوب أفريقيا، والآسيوية منها مثل إندونيسيا، لوجدنا أن الشعب صاحب الشأن هو الذي كان حاملاً أعباء الكفاح في سبيل قضيته على الدوام.

ولست أريد أن أقول إن شعب فلسطين سيحمل وحده أعباء الكفاح لتحرير وطنه فذلك مالا يخطر ببال لأسباب تدركونها. فإن تحرير فلسطين واجب قومي يقع على عاتق الأمة العربية بأسرها حكومات وشعوباً والشعب الفلسطيني في الطليعة، ولكن حتى يستطيع الشعب الفلسطيني أن يكون في الطليعة، وأن يؤدي دوره يجب أن يكون منظماً في سعيه لتحرير وطنه، يجب أن يكون مستعداً حين تأتي ساعة العمر التي نرجو أن نكون فيها على موعد مع النصر.

ومنذ وقعت الكارثة والدول العربية تزيد من قوتها العسكرية والاقتصادية والاجتماعية، وفي مطلع هذا العام اجتمع مؤتمر الذروة العربي فأنشئت القيادة العربية الموحدة. كل ذلك عظيم وخطير. ولكن أين مكاننا من هذه المعركة؟ نحن أهل فلسطين لم نتهيَّأْ حتى الآن لمعركة التحرير. والمسؤولية في ذلك تقع أولاً على عاتق الدول العربية، وعلى عاتق الشعب الفلسطيني ثانياً.

ونحن مؤملون خيراً في أن تنهض الدول العربية بواجباتها، غير أننا يجب أن نبادر إلى القيام بواجباتنا، وإثبات وجودنا وإبراز شخصيتنا وتعبئة طاقاتنا، وهذا هو معنى الكيان الفلسطيني في مفهومه الصحيح، فليس الكيان الفلسطيني لهواً ولعباً، ولا زخرفاً وزينة، ولا هتافاً وخطباً، ولا مناصب ورواتب ولكنه تنظيم واستعداد ثم كفاح ونضال.

لقد اجتمعت الأمة العربية في مؤتمرها الأخير بملوكها ورؤسائها وكان لقاء تاريخياً نرجو أن يكون له ما بعده، ولهذا أصبح من واجبنا نحن الشعب الفلسطيني أن نتجمع حول قضيتنا المقدسة وأن نلتقي حول الكيان الفلسطيني حين يبرز إلى عالم الوجود. وإن واجب النضال يدعونا جميعاً، يناديا جميعاً بأن نوحد صفوفنا وراء أهدافنا فلا هيئات ولا منظمات ولا أحزاب ولا جماعات، ولكن شعب واحد، وراء هدف واحد، وفي كفاح واحد.

وإني لأدعوكم أيها الإخوان كما أدعو نفسي، أن نكون مستعدين لاستئناف

حياتنا القومية بكل إيمان وعزيمة وصبر، وبكل إخاء ومحبة واتحاد، فإن تحرير الوطن لا يتم بالتباغض والتحاسد، ولا بالتخريب والتشكيك، ولا بالهزء والسخرية، ونحن الآن أمام فرصتنا التاريخية لأول مرة، الفرصة التي كنا ننتظرها مع كل فجر خلال تسعة عشر عاماً طوالاً، وإننا نملك أن نجعل الفرصة ناجحة وموفقة، فيجب أن نقبل عليها، يجب ألا نسمح لهذه الفرصة أن تضيع من أيدينا فإن ضاعت لا سمح الله فلا نعلم متى تجيء مرة ثانية.

لقد كنا نتنادى لإنشاء الكيان الفلسطيني منذ زمان طويل فها قد لاحت الفرصة وهي الآن أمام أعيننا وفي قبضة أيدينا. إن مؤتمر الملوك والرؤساء قد فتح الطريق أمام الشعب الفلسطيني، أمام كيان الشعب الفلسطيني فعلى هذا الشعب الباسل المناضل أن يستعيد ثقته وإيمانه وأن يسترد كرامته وأن يعد نفسه لمعركة النصر.

وليس الكيان الفلسطيني لغزاً من الألغاز أو سراً من الأسرار. كائنة ما كانت الأسماء والأزياء وكائنة ما كانت الأشياء والأشخاص، إن معناه يسير بسيط.

إن الكيان وسيلة لا غاية، إنه تنظيم وجهاز، يعيد للشعب شخصيته وقدرته على العمل، على الكفاح، على التحرير.

إن الكيان قيادة وطنية جماعية مناضلة قاعدته الكبرى هو الشعب بأسره.

إن الكيان كفاح في كل ميدان، في ميدان التحرير، وفي ميادين السياسة والدعاية والتنظيم والتوعية.

إن الكيان ليس مجرد شعارات وعبارات ولكنه أجهزة وطنية نامية حية عاملة، كل واحد منا يؤدي واجبه ضمن تنظيم كامل شامل.

الكيان الفلسطيني معسكرات تدريب للطلاب والشباب، للرجال والنساء، ولجميع القادرين على حمل السلاح.

الكيان الفلسطيني قوات فلسطينية تنشأ وتدرب لتؤدي دورها الكبير في معركة التحرير.

الكيان الفلسطيني هبات ومساعدات وقروض من شعب فلسطين ومن الدول العربية وشعوبها ومن الدول الصديقة، تدخل الصندوق القومي لفلسطين بأمانة وتخرج بأمانة.

الكيان الفلسطيني تنظيم فيه اتحادات النساء والعمال والطلاب ونقابات العمال والمحامين والأطباء والمهندسين.

الكيان الفلسطيني تلتقي فيه تنظيمات الشباب وفرق الكشافة والنوادي الرياضية. الكيان لفلسطيني ينشئ مكاتب الإعلام ويبعث الوفود ويشترك في كل مجال دولي داخل الأمم المتحدة وخارجها.

هذا هو الكيان بأهدافه القريبة والبعيدة، وعلى هذا فليس الكيان فرداً واحداً أو مجموعة محدودة ولكنه سيكون الشعب الفلسطيني بأسره. . . سيكون لكل فلسطيني مكانه في الكيان وسيكون لكل فلسطيني مجال في ميدان الخدمة العامة. وإن شرف التحرير مفتوح أمامنا جميعاً رجالاً ونساءً، شباباً وكهولاً.

ويتضح من ذلك أيها الإخوان، أن الكيان ليس حكومة ولا يجب أن يكون، فإن هدفنا الأول والأخير هو التحرير. لقد تلقيت في أثناء اجتماع الملوك والرؤساء عشرات من الرسائل والبرقيات يقترح فيها مرسلوها أن أعلن قيام جمهورية فلسطين ولكني كتبت إليهم شاكراً ومعتذراً أن تحرير فلسطين لا يتم بإقامة جمهورية فلسطينية ولكنه يتم بقيام حركة شعبية فلسطينية تؤازرها الدول العربية. ولهذا يجب أن يكون شعارنا التحرير ثم تقرير المصير، على أنه يجب أن يكون واضحاً لنا جميعاً، أن طريق التحرير ليس قصيراً ولا يسيراً، ذلك بأن النضال القومي محفوف بالمصاعب والمتاعب. وهي في قضية فلسطين أكثر تعباً وأشد نصباً. فنحن نواجه خصماً منظماً وهي إسرائيل، ووراءها قوة ضخمة هي الصهيونية العالمية، ووراءها استعمار غاشم يقاتل آخر معاركه.

ومن هنا كان واجباً علينا أن نقابل التنظيم بالتنظيم والكفاءة بالكفاءة والاستعداد بالاستعداد، وإلا وقعنا ومعنا الأمة العربية في كارثة أشنع من كارثة ١٩٤٨، ونحمد الله أن في الشعب الفلسطيني تصميم على التنظيم وثورة من الكفاءة وعزيمة على الاستعداد. وإني كذلك لا أستطيع أن أقول لكم إن قضية فلسطين تقف الآن على أبواب النصر، فلست أريد أن أكذبكم أو أخدعكم، إن تحرير فلسطين لايتم بين يوم وليلة، إن تحرير فلسطين محتاج إلى أهل فلسطين وإلى الأمة العربية. وإن تحرير فلسطين لا يتم بدون أهل فلسطين ولا غنى لأهل فلسطين عن الدول العربية. إن معركة تحرير فلسطين تفرض واجبات على أهل فلسطين وتفرض واجبات على الدول العربية ومتى قام كل فريق بواجباته استطعنا أن نحرر فلسطين.

وعلينا أن نسرع بواجباتنا نحن شعب فلسطين، علينا أن نبدأ بالكيان أن نبدأ التنظيم، أن نبدأ التدريب العسكري، أن نبدأ بإنشاء قواتنا الفلسطينية، أن نبدأ بإنشاء الصندوق القومي، أن نبدأ بإنشاء مكاتبنا الإعلامية، أن نبدأ نشاطنا القومي في كل مجال وفي كل ميدان. فإذا بدأنا السير وصلنا، وإذا لم نبدأ فسنظل مكاننا نندب

حظنا العاثر ونبكي وطننا الضائع، وسنلتقي في عام ١٩٨٠، وفي عام ١٩٩٠ وفيما بعد ذلك من الأعوام والعالم يشهدنا ونحن نندب ونبكي، إذا بقي منا من يندب ويبكي.

ولكننا إذا بدأنا اليوم بإيمان وعزم، بإيثار وإنكار للذات فسنكون جاهزين ومستعدين يوم تدق ساعة التحرير.

لقد حلت بنا كارثة ١٩٤٨ ولكن الكارثة الكبرى هي أن تلوح الفرصة ونحن غير منظمين ولا جاهزين ولا مستعدين.

ويقيني الذي لا يرقى إليه شك، أن شعب فلسطين الأبي البطل الذي قاتل الاستعمار ثلاثين عاماً وسجّل آيات رائعات من البسالة والشجاعة سيكون عند العهد به في هذه المرحلة التاريخية من حياتنا القومية.

نحن ننتظر هذه الأيام منذ أعوام، إن الألوف من الشباب والطلاب، من الرجال والنساء، يتطلعون إلى يوم الجهاد والنضال، إن إخواننا اللاجئين في المخيمات يتشوقون إلى حياة المعسكرات، إن شعب فلسطين بأسره ينتظر فرصته التاريخية لتحرير وطنه.

إن الفرصة تلوح الآن أمامنا، فتعالوا يا شعب فلسطين نتنادى إليها ونتداعى حولها ونعمل لتحقيقها، و﴿**إن تنصروا الله ينصركم**﴾ و﴿**إن ينصركم الله فلا غالب لكم**﴾[1]، والسلام عليكم.

(١) **القرآن الكريم**: «سورة محمد،» الآية ٧، و«سورة آل عمران،» الآية ١٦٠ على التوالي.

(٤)

عـرض الشقيـري نتائـج اتصالاتـه العربيـة والفلسطينيـة أمام لجنة المتابعـة المؤلفة بموجـب قرار مؤتمر القمة العربـي الأول، نيسـان/أبريـل ١٩٦٤

يسرني أن أنتهز فرصة الاجتماع الثاني للجنة المتابعة لأتحدث إلى حضراتكم عن مدى التقدم الذي أحرزه موضوع الكيان الفلسطيني والمراحل التنفيذية التي قطعها حتى الآن والمرحلة الباقية التي ستؤدي إلى قيام الكيان الفلسطيني مستكملاً كل أجهزته.

وأود أن أشير بادئ ذي بدء إلى أن فكرة الكيان الفلسطيني والهيكل العام الذي تقع ضمن إطاره لم تكن جديدة في ذهني، فمنذ أن كنت أميناً عاماً مساعداً في الجامعة العربية والموضوع يشغل حيزاً كبيراً في فكري، إذ إن قضية فلسطين على الصعيدين العربي والدولي كانت تلح دائماً بإبراز الشخصية الفلسطينية وإقامة كيان لشعب فلسطين يمكنه من العمل لخدمة بلاده في جميع المجالات العسكرية والسياسية والإعلامية والتنظيمية.

وبعد أن اختارني السيد الأمين العام للجامعة لأكون عضواً في لجنة الخبراء لبحث موضوع الكيان الفلسطيني تنفيذاً لقرار مجلس الجامعة الصادر بتاريخ ٢٩ شباط/ فبراير ١٩٦٠ تجسد موضوع الكيان الفلسطيني في عدة مقترحات متعددة قدمتها للجنة الخبراء في اجتماعاتها المتعاقبة التي عقدت في القاهرة وصوفر وبحمدون وشتوره.

ثم جاء اختياري بعد ذلك ممثلاً لفلسطين لدى الجامعة العربية في شهر أيلول/ سبتمبر ١٩٦٣ وأفضيت إلى مجلس الجامعة بالمعالم الرئيسية التي يجب أن يكون عليها الكيان الفلسطيني ليصبح قادراً على الاضطلاع بالمسؤولية القومية في

تحرير فلسطين، وقد قرر مجلس الجامعة أن أقوم بزيارات للدول العربية تمهيداً لإنشاء الكيان الفلسطيني.

وعقب انتهاء دورة الأمم المتحدة قمت بجولة في الدول العربية في شمال أفريقيا فزرت، تونس وليبيا والجزائر والمغرب، وخلال هذه الجولة عرضت على أصحاب الجلالة والفخامة الملوك والرؤساء ووزرائهم ما يجب أن يتوافر في الكيان الفلسطيني ليكون أداة صالحة تمكن الشعب الفلسطيني من القيام بدوره الرئيسي في تحرير وطنه وتقرير مصيره، وقد لقي ذلك العرض العام استجابة وتأييداً كريمين. كما أتاحت لي تلك الجولة الاتصال بالفلسطينيين في شمال أفريقيا، فأعربوا عن حماستهم لقيام الكيان الفلسطيني بدون إبطاء.

وفي كانون الثاني/ يناير ١٩٦٤ انعقد الاجتماع التاريخي لمجلس ملوك العرب ورؤسائهم بناء على الدعوة الصادرة من الرئيس عبد الناصر، وكان في جملة ما قرروه السعي لإنشاء الكيان الفلسطيني على خير القواعد السليمة. وبعد صدور هذا القرار وضعتُ الخطوط الرئيسية للكيان الفلسطيني في وثيقتين رئيسيتين:

الأولى مشروع الميثاق القومي لفلسطين ويتضمن الأهداف الأساسية والمبادئ العامة لقضية فلسطين بالنسبة لشعب فلسطين، والأمة العربية حكومات وشعوباً، ثم بالنسبة للعالم الدولي.

والوثيقة **الثانية** مشروع النظام الأساسي لمنظمة التحرير وهي تحدد الإجراءات اللازمة للدعوة إلى مؤتمر وطني لفلسطين يعقد في مدينة القدس في ١٤ أيار/ مايو ١٩٦٤ وينبثق عن هذا المؤتمر قيادة فلسطينية تتولى مسؤولية العمل لقضية فلسطين في جميع الميادين على الصعيدين العربي والدولي. ويُعرض هذان المشروعان على المؤتمر الوطني ليضعهما في الصيغة النهائية التي يراها.

والقاعدة الأساسية التي يقوم عليها هذان المشروعان: أن الكيان الفلسطيني يبنيه الشعب الفلسطيني، وأن دور الدول العربية هو التيسير والتسهيل قبل قيامه والمعاونة والتأييد بعد قيامه. وأن الكيان الفلسطيني له شخصية حرة مستقلة يتعاون مع الدول العربية جميعها داخل نطاق الجامعة وخارجها.

وبعد إعداد هذين المشروعين رأيت أن أتصل بالدول العربية والشعب الفلسطيني تنفيذاً لقرار مجلس الملوك والرؤساء. وكان أول اتصالاتي بالجمهورية العربية المتحدة فاستقبلني سيادة الرئيس جمال عبد الناصر وعرضت على سيادته في هذه المقابلة مشروع الكيان الفلسطيني ومراحل الخطة العملية لإنشائه، وقد أعرب سيادة الرئيس عن تأييده وتشجيعه لجميع الخطوات التي تؤدي إلى قيام الكيان

الفلسطيني، ثمّ قابلت سيادة الدكتور محمود فوزي وزير الخارجية للجمهورية العربية المتحدة، وقدمت لسيادته الميثاق القومي لفلسطين والنظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية فوجدت استجابة كاملة.

وفي القاهرة استقبلت عدداً من وفود الفلسطينيين المقيمين في الجمهورية العربية المتحدة ووفوداً أخرى قدمت من البلاد العربية الأخرى. وكان الإجماع تاماً على ضرورة قيام الكيان الفلسطيني المقترح وتأييده تأييداً تاماً.

وبعد الفراغ من الاتصالات الرسمية والفلسطينية في القاهرة شرعت أكمل جولتي في الدول العربية، فبدأت أولاً بزيارتي للمملكة الأردنية الهاشمية، لأن للمملكة وضعاً خاصاً بالنسبة للقضية الفلسطينية ولأن فيها كثرة الشعب الفلسطيني والأرض الفلسطينية. واجتمعت بالملك حسين ووزرائه عدة اجتماعات وكذلك عقدت مؤتمرات شعبية كبرى في أريحا ـ القدس ـ رام الله ـ البيرة ـ بيت لحم ـ بيت جالا ـ بيت ساحور ـ الخليل ـ نابلس ـ جنين ـ طولكرم ـ قلقيلية ـ معسكر الحسين. وقد ضمت هذه المؤتمرات الألوف من الفلسطينيين اللاجئين والمقيمين، كما عقدت عدة ندوات دراسية مع الطبقات المثقفة من الفلسطينيين

وقد أظهرت الاجتماعات على المستوى الرسمي والفلسطيني استجابة كاملة وتأييداً تاماً للكيان الفلسطيني والمراحل العملية المقترحة للسير في تحقيقه. وقد أصدر مجلس الوزراء الأردني برئاسة الملك حسين قراراً بالتأييد الكامل، كما وافق على افتتاح المؤتمر.

وسافرت بعد ذلك إلى سوريا وبدأت اتصالاتي على المستوى الرسمي والفلسطيني فاجتمعت بسيادة اللواء أمين الحافظ رئيس المجلس الوطني وسيادة اللواء محمد عمران نائبه وسيادة الدكتور حسان مريود وزير الخارجية وشرحت لهم مشروع الكيان الفلسطيني والطريقة التي يجب أن نبدأ بها لإقامته، وقد أبدى المسؤولون في الجمهورية السورية التأييد لقيام كيان فلسطيني قادر على تحمل المسؤوليات القومية.

وبالنسبة للإخوان الفلسطينيين فقد استقبلت عشرات الوفود الذين يمثلون اللاجئين سواء من هم في المخيمات أو من سكان المدن والقرى، وقد أعربوا عن تأييدهم الكامل للكيان الفلسطيني والمبادرة إلى إنشائه واستعدادهم لتأييد المؤتمر بكل إمكانياتهم.

ومن دمشق سافرت إلى بغداد فاجتمعت بسيادة رئيس الجمهورية المشير عبد السلام عارف وسيادة رئيس الوزراء وسيادة وزير الخارجية وعدد كبير من المسؤولين العراقيين، فبسطت مشروع الكيان الفلسطيني والدعوة لعقد المؤتمر الوطني في

القدس وكان التجاوب والتأييد تامين. وقد استقبلت عدداً كبيراً من وفود الفلسطينيين كما عقدت مؤتمراً شعبياً كبيراُ في قاعة الخلد تجلّى فيه إجماع الفلسطينيين على تأييد الكيان والاستمرار في تحقيقه. وغداة انتهاء زيارتي للعراق صرح ناطق رسمي بلسان الخارجية العراقية بالموافقة على إنشاء الكيان وتأييده مع تمنيات النجاح للمؤتمر.

وفي الكويت زرت صاحب السمو أمير دولة الكويت وولي عهده رئيس مجلس الوزراء، ووزير الخارجية، ووزير المالية، فشرحت مراحل العمل لإنشاء الكيان الفلسطيني، ولقيت استجابة تامة، واستقبلت عدداً كبيراً من وفود الفلسطينيين كما عقدت مؤتمراً شعبياً كبيراً في ثانوية الشويخ أعرب فيه المجتمعون عن تأييدهم المطلق لجميع الخطوات المقترحة للكيان الفلسطيني، وبعد انتهاء زيارتي للكويت أصدر ناطق رسمي بلسان وزارة الخارجية الكويتية تصريحاً بالموافقة والتأييد.

ومن الكويت سافرت إلى البحرين وقطر وفيها لقيت ترحيباً من صاحبي العظمة حاكميها ورجالهما المسؤولين وعقدت فيها اجتماعات شعبية مع الفلسطينيين أعلنوا فيها وقوفهم وراء الكيان وعزمهم على تأييده.

وفي لبنان اجتمعت بفخامة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ووزير الخارجية فأعربوا جميعاً عن تشجيعهم واستعداد لبنان لتأييد الكيان الفلسطيني، ورغماً عن الظروف الانتخابية التي كان يمر بها لبنان فقد وجدت كل تسهيل لمهمتي. وقد استقبلت في بيروت عشرات الوفود من الفلسطينيين كما عقدت مؤتمراً شعبياً كبيراً في صيدا وآخر في طرابلس، وقد أعربت جماهير الشعب الفلسطيني عن التأييد للكيان والخطوات المقترحة لإنشائه.

ومن بيروت سافرت إلى جمهورية السودان عن طريق القاهرة وغداة وصولي الخرطوم اجتمعت بمعالي الفريق الرئيس عبود ومعالي وزير الخارجية وعدد كبير من المسؤولين، وقد لقيت في السودان كل تأييد وتشجيع وترحيب، وقد استقبلت وفداً من الفلسطينيين فكان تجاوبهم كإخوانهم الفلسطينيين في بقية الدول العربية، وأديت صلاة الجمعة في مسجد أم درمان، وشرحت لجماهير المصلين من الشعب السوداني قضية فلسطين في ظروفها الحاضرة ومراحل الكيان الفلسطيني، وزرت اتحاد نقابات العمال ونادي الثقافة وشرحت الكيان الفلسطيني وقضية فلسطين في ظروفها الراهنة، وفي المؤتمر الصحفي الذي عقدته في الخرطوم لشرح الكيان الفلسطيني، أدلى وزير الإعلام ببيان مستفيض أعلن فيه تأييد السودان حكومة وشعباً للكيان الفلسطيني.

وبعد عودتي للقاهرة زرت سيادة المشير عبد الله السلال في قصر الحرية بالقاهرة

وعرضت عليه مشروع الكيان الفلسطيني بمراحله المختلفة ووجدت من سيادته كل استجابة وتأييد، واتصلت كذلك بسيادة السفير الأستاذ طاهر رضوان المندوب الدائم للمملكة العربية السعودية، وأعربت له عن رغبتي في زيارة المملكة العربية السعودية في أول فرصة للحج.

ولا يبقى عليّ استكمالاً لجولتي إلا زيارة قطاع غزة حيث يوجد ما يزيد على ٤٠٠ ألف فلسطيني بين لاجئ ومقيم. وكنت قد قمت بزيارة القطاع في شهر أيلول/ سبتمبر ١٩٦٣ وعقدت مؤتمرات شعبية كبرى ضمن جماهير الشعب الفلسطيني شرحت فيها المعالم الرئيسية للكيان الفلسطيني وكان التجاوب والتأييد على أشده. وسأزور القطاع في خلال الأيام المقبلة لاتخاذ الترتيبات النهائية ليتمكّن إخواننا الفلسطينيون في قطاع غزة من المساهمة بدورهم الفعال في إنشاء الكيان الفلسطيني.

وعلى الجملة فقد عقدت في جولتي في البلاد العربية مؤتمرات صحفية شرحت فيها مهمتي كما تحدثت في ندوات في الإذاعة والتلفزيون عن الكيان الفلسطيني وأهدافه وخططه. ومما هو جدير بالذكر أن عدداً كبيراً من إخواننا أبناء الأقطار الشقيقة قد اشتركوا في المؤتمرات الشعبية التي عقدتها، ولهذا فقد جاءت هذه الجولة بمجموعها حملة توعية كبرى لقضية فلسطين بصورة عامة وللكيان الفلسطيني بصورة خاصة. وقد أعلن عدد كبير من شباب البلاد العربية عن رغبتهم في التطوع لتحرير فلسطين والمساهمة في جميع الجهود الرامية لخدمة قضية فلسطين. وقد وضعت الصحف العربية وأجهزة الإعلام في البلاد العربية كل إمكانياتها في شرح أهداف الكيان الفلسطيني.

أما بالنسبة للشعب الفلسطيني بكل فئاته وخاصة الأجيال الناشئة، فقد كان الحماس منقطع النظير للكيان الفلسطيني، وفي الهتافات والنداءات التي أطلقها الشعب الفلسطيني، وفي الاجتماعات الشعبية الكبرى بدا جلياً أن التسعة عشر عاماً التي انقضت على النكبة ما فتت في عزيمة الشعب الفلسطيني، وأن التصميم على خوض معركة تحرير الوطن السليب يزداد على الأيام مضاء وعزماً.

ومن الهتافات التي أطلقتها ألسنة الشعب في كل مكان، بصورة عفوية «يا شقيري بدنا سلاح»، «يا شقيري هات سلاح وخذ رجال»، «يا شقيري هات سلاح وخذ تحرير». والمهم أن الدعوة إلى الكفاح لم تكن مجرد شعارات وعبارات، ولكن كل الدلائل كانت صريحة في أن وراءها تصميماً قاطعاً وعزماً أكيداً على خوض معركة التحرير.

ومن أجل ذلك فإن الكيان الفلسطيني يجب أن يبرز فيه الجهد العسكري للشعب

الفلسطيني بصورة جديه وجلية وهذا هو إيمان كل مواطن فلسطيني، اللاجئون في المخيمات والمواطنون في المدن والقرى. ويجب عليّ أن أقرر أمام لجنتكم الموقرة وهو ما أرجو أن يكون واضحاً كل الوضوح أن الكيان الفلسطيني معناه عند الشعب الفلسطيني، السلاح، والكفاح، وأن الكيان يصبح هزيلاً وضعيفاً غير جدير بثقة الشعب الفلسطيني والرأي العام العربي إذا لم تكن الناحية العسكرية الفلسطينية بارزة فيه بروزاً قوياً. ولهذا أرجو أن يكون واضحاً بصورة قاطعة أن استمراري شخصياً في العمل بالكيان الفلسطيني مرهون بالإمكانات العسكرية التي تتيسر لهذا الكيان لجعله قادراً على القيام بدوره الرئيسي في تحرير الوطن السليب.

هذا مجمل ما تمّ في زيارتي للدول العربية في المشرق والمغرب والتي استغرقت قريباً من ثلاثة أشهر ولم يبق أمامنا إلا استكمال المرحلة التحضيرية للمؤتمر الفلسطيني الذي سينعقد في مدينة القدس في ١٤ أيار/ مايو ١٩٦٤.

ويسرني أن أعلمكم أنني قد وجهت الدعوة إلى أصحاب الجلالة الملوك والرؤساء ليحضروا حفل افتتاح المؤتمر شخصياً أو من ينوب عنهم، فسيجتمع الشعب الفلسطيني في ذلك اليوم على قضيته المقدسة لأول مرة بعد النكبة ويقودها في طريق التحرير. وإنني لعلى ثقة بأن هذا المؤتمر التاريخي سيهيئ للشعب الفلسطيني الفرصة التي كان يتطلع إليها منذ زمن بعيد في أن يمسك بزمام قضيته ويعمل لتحرير وطنه مؤيداً بالأمة العربية حكومات وشعوباً.

وأريد في ختام تقريري هذا أن أعرب عن شكري العظيم لجميع الحكومات العربية لما تفضلت به من التسهيل والتيسير للقيام بالمهمة الجليلة التي عهد بها إليّ مجلس ملوك ورؤساء الدول العربية، وأود كذلك أن أوجه شكري الخاص لسيادة الأمين العام لما أسداه إليّ من العون الصادق منذ بدأت عملي كممثل لشعب فلسطين لدى الجامعة العربية.

والله أسأل أن يلهمنا السداد والتوفيق.

(٥)

كلمة الشقيري

لمناسبة ذكرى ١٥ أيار/مايو سنة ١٩٦٤

إخواني أبناء فلسطين:

ها نحن اليوم في الخامس عشر من شهر أيار/ مايو ١٩٦٤، نقف مرة أخرى أمام الذكريات كما وقفنا لتسع عشرة سنة خلت منذ أن وقعت كارثة فلسطين.

وفي كل عام يتنادى الشعب الفلسطيني حيثما كان في مهاجره ومنازله ومعه الأمة العربية، ليؤكد للعالم المرة بعد المرة أن فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير، وأن شعب فلسطين جزء لا يتجزأ من الأمة العربية، وأن قيام إسرائيل باطل مهما طال الزمان، وأن تحرير فلسطين آت لا ريب فيه كائنة ما كانت التضحيات.

ولو رجعنا بالذاكرة إلى الوراء نستعرض هذه السنين الطوال التي مرت من عمرنا ونحن بعيدون عن وطننا السليب، بعيدون عن مرابع الصبا والشباب، بعيدون عن مراقد الآباء والأجداد، لوجدنا عن حق ويقين أن وقوفنا أمام هذه الذكرى لم يكن يعدو الكلام، فالمؤتمرات التي كنا نعقدها، والندوات التي كنا ندعو إليها، والخطب التي كنا نلقيها، والقصائد التي كنا ننظمها، لم تكن في مجموعها إلا ندباً وعويلاً، أو احتجاجاً واستنكاراً.

هذا ما كان من أمرنا في السنين السالفة، وأنه ليحزننا أن تقف جهودنا عند هذا الحد فإن الوطن لا يفتدى بالرثاء والبكاء، ولا يستنقذ بالكلام، ولكن من الإنصاف للشعب الفلسطيني، الشعب المجاهد المناضل الصابر، أن نقرر الحقيقة الثابتة أن شعب فلسطين ليس بالشعب القوّال، ولكنه شعب كفاح ونضال، وأنه لم يتوقف عن الجهاد إلا بعد أن استنفد كل وسائل الجهاد، وحُمل على الهجرة من الوطن الحبيب.

ولست أريد أن أعود بعيداً إلى تاريخ هذا الشعب البطل وكفاحه الباسل على مدى ثلاثين عاماً خلال الانتداب البريطاني فإنه ليكفي أن نقف قليلاً بكل خشوع وإجلال أمام المعالم الكبرى للطريق الشاق الطويل الذي سلكه الشعب الفلسطيني بكل شمم وإباء.

يكفي أن نعلم أن شعب فلسطين قد صمد أمام الغزوة الصهيونية المعززة بالاستعمار لمدة مائة عام انتهت في ١٥ أيار/ مايو ١٩٤٨ وكان كل ما استطاع اليهود شراءه ٣ في المائة من أرض فلسطين. وهذا القدر بيع أكثره على أيدي المالكين الغائبين.

ويكفي أن نعلم أن شعب فلسطين قد صمد في وجه الاستعمار البريطاني ونازل القوات البريطانية بالسلاح في عدة ثورات ابتدأت منذ ١٩١٩، وكان آخرها الثورة الكبرى عام ١٩٣٦ التي امتدت أربعة أعوام سقط خلالها آلاف الشهداء من شبابنا البواسل ورجالنا الأبطال.

ويكفي أن نعلم أن شعب فلسطين قد صمد في كل ميادين النضال، وهو الشعب الذي أعلن في عام ١٩٣٦ الإضراب التاريخي الذي امتد ستة أشهر كاملة، بما لم يستطع أن يصبر عليه أي شعب من الشعوب التي كافحت لنيل حريتها واستقلالها.

ويكفي أن نعلم أن شعب فلسطين قد صمد في هذا العراك الطويل بكل فئاته وطبقاته، فقد خاضه الشعب بأسره، وفي طليعته الفلاحون والعمال، والرجال والنساء والطلاب والشباب.

هذه بعض المعالم الرئيسية لكفاح الشعب الفلسطيني في زمن لم يكن الوعي العربي متكاملاً، ولا كانت لنا حكومات عربية ولا جيوش عربية، وأيام لم تكن الحركات التحررية بارزة في العالم، ولا كان الرأي العام الدولي متفتحاً للحريات والمبادئ الإنسانية كما نراه اليوم.

ولست أريد كذلك أن أعود بعيداً إلى أسباب الكارثة التي حلت بفلسطين، وأنزلت بالأمة العربية هذا العار الذي ما يزال قائماً أمام وجوهنا. ولكنا في يومنا هذا يجب أن نضع أناملنا على أهم جوانبها، والحقيقة الصارخة في هذا الصدد: أن شعب فلسطين ليس مسؤولاً عن كارثة فلسطين، وأن الأمة العربية بشعوبها ليست مسؤولة عن كارثة فلسطين، فلقد دافع شعب فلسطين عن فلسطين إلى أن استنفد كل أسباب الدفاع، وقد تطوع المئات من أبناء الأمة العربية في حرب فلسطين وساروا زحفاً على الأقدام واستشهد الكثير منهم على أرض فلسطين.

ولكن كارثة فلسطين قد حلت بنا لأن القيادة العربية السياسية لم تكن على مستوى المعركة، مضافاً إلى ذلك أن الأعداء من الصهيونية والاستعمار كانوا من القوة والتنظيم فوق ما يطيقه شعب فلسطين.

وهكذا وقعت النكبة التي لم يشهد التاريخ العربي مثيلاً لها في كل أدواره، بل لم يشهد تاريخ الإنسانية كلها شبيهاً لها في كل عصوره. ولقد عرف التاريخ ألواناً من الاستعمار، وصنوفاً من المظالم ولكن لم يسبق أن اقتلع شعب من وطنه وأخرج من دياره، مدنه وقراه، مصانعه ومزارعه، معابده ومرابعه.

ومع النكبة تشتت شعب فلسطين في ديار العرب وخارجها وانهدم كيانه. وقد كان لهذا الشعب كيانه وقد تجلى هذا الكيان في تجمع الشعب في وطنه. وتجلى هذا الكيان في ما كان له من الهيئات والأحزاب والتنظيمات والصحف والأندية، تجلى في أعواد المشانق التي نصبت للألوف من رجالنا، تجلى في مضاجع الشهداء الذين سقطوا على أرض الوطن الغالي، تجلى في الإضرابات العديدة التي أعلنها الشعب، تجلى في الثورات التي خاضتها الأمة بكل شجاعة وبسالة، تجلى في تاريخ الشعب الفلسطيني لثلاثين عاماً كافح خلالها الاستعمار والصهيونية معاً من غير خور ولا هوادة.

ومنذ أن تشتت شعب فلسطين كان طبيعياً، بل كان أمراً إنسانياً أن يعين أبناء فلسطين أفراداً يبحثون عن أنفسهم وعن ذوي قرباهم، وأن ينصرفوا للحياة اليومية.

ولكن هول النكبة لم يصرف أهل فلسطين عن فلسطين، وصحيح أن أهل فلسطين لم يكن لهم تنظيم يجمع شملهم ولم تكن لهم قيادة شاملة تتولى أمورهم، غير أن قضية فلسطين كانت حية في المنازل وفي الخيام، في المدارس وفي المعابد، في الندوات وفي السهرات، في الأهازيج وفي الأناشيد وفي الأتراح. ولم يقتصر الأمر على ذلك فقد أخذ شبابنا في تأسيس المنظمات تحمل شعارات التحرير، وفعلوا ذلك من مواردهم الخاصة فكان ذلك آية أخرى على تصميم هذا الشعب المناضل وإيمانه بقضيته المقدسة.

وظل هذا حال القضية الفلسطينية، شعبها بعيد عنها، وهي بعيدة عن شعبها، والدول العربية تعالج قضية فلسطين خارج الجامعة وداخلها، وتدافع عنها الوفود العربية في الأمم المتحدة وفي المجالات الدولية، ولكن فلسطين شخصية فلسطين، وكيان فلسطين لم يكن موجوداً لا على الصعيد العربي ولا على الصعيد الدولي. تلك حقيقة مريرة عاشت معنا وعشنا معها كل هذه السنين العجاف.

وفي خلال التسعة عشر عاماً التي دافعتُ فيها عن قضية فلسطين مع الوفود

العربية كان السؤال الذي يطاردني: أين هو الشعب الفلسطيني صاحب القضية؟ لقد طاردني هذا السؤال في الأمم المتحدة، وفي مؤتمر باندونج وفي جميع المؤتمرات الدولية في آسيا وفي إفريقيا. وكان سؤالاً رهيباً يطرحه الأعداء إنكاراً لوجود القضية ويطرحه الأصدقاء إشفاقاً على هذه القضية. كان سؤالهم، أين هذا الشعب الذي تدافعون عن قضيته؟

ومن أجل ذلك أصبح واجباً قومياً أساسياً أن نبني كياناً لفلسطين ولشعب فلسطين وأن يبني هذا الكيان أهل فلسطين.

هناك قضية عرفها العالم كله باسم قضية فلسطين فلا بدّ لهذه القضية من شعب، ولا بد لهذا الشعب من أن يكون منظماً وهذا هو أول معاني الكيان: التنظيم.

وهذا الشعب الفلسطيني غني بالطاقات والكفاءات، فلا بد من تعبئة هذه الطاقات والكفاءات وهذا هو ثاني معاني الكيان: التعبئة.

وهذا الشعب مصمم على تحرير وطنه، ولا يمكن أن يتم تحرير فلسطين من غير أهل فلسطين وهذا هو ثالث معاني الكيان: التحرير.

هذا هو الكيان الفلسطيني في حقيقته وجوهره، إنه تنظيم للشعب الفلسطيني، وتعبئة لطاقاته الروحية والمادية، وإعداد لقدراته ليأخذ دوره الطليعي في تحرير وطنه.

وقد بقي الكيان الفلسطيني زمناً طويلاً موضع تفكير ونقاش في الدوائر العربية والفلسطينية، وليس من الخير أن نستعرض ذلك الماضي ونحن على حاضر فيه الكثير من الرجاء والأمل.

ويكفي أن نستشعر بكل ألم ومرارة، ونحن الآن في ١٥ أيار/ مايو من عام ١٩٦٦ أن شعب فلسطين قد سلخ من عمره تسعة عشر عاماً طوالاً وهو من غير تنظيم ولا كيان. وهذا النقص الخطير ما مر من غير ثمن، فقد دفع ثمنه شعب فلسطين والأمة العربية بأسرها حكومات وشعوباً.

غير أن الله جلّت قدرته قد أراد بهذه القضية خيراً فكان مؤتمر القاهرة الذي دعا إليه السيد الرئيس جمال عبد الناصر واستجاب له جميع الملوك والرؤساء وكان من أعظم ما قرره المؤتمر إنشاء الكيان الفلسطيني.

ولست أريد أن أحدثكم، أيها الإخوان، طويلاً عن الكيان الفلسطيني مراحله وأجهزته وأهدافه، فقد تحدثت إليكم ملياً في المؤتمرات الشعبية الكبرى التي تجمعنا بها في البلاد العربية، وقد كانت هذه المؤتمرات، ونحن نلتقي بها لأول مرة بعد النكبة، هي الكيان الفلسطيني في أبسط صوره ومعانيه.

ولكن أهم ما يجب أن نذكره، ونحن ندخل عاماً جديداً بعد النكبة أننا نحن شعب فلسطين، أمام فرصتنا التاريخية لأول مرة، وأن علينا أن ندفع هذه الفرصة في طريق العمل والنجاح. لقد أقر الملوك والرؤساء إنشاء الكيان الفلسطيني، ولكن إنشاء الكيان الفلسطيني هو واجب مقدس على شعب فلسطين، وأنه كذلك حق مقدس لشعب فلسطين.

إن الكيان الفلسطيني لا يبنيه الملوك والرؤساء ولا تبنيه الدول العربية ولا الجامعة العربية. إن كيان فلسطين يبنيه شعب فلسطين، وهو قادر على بنائه، كما بنت الشعوب العربية كيانها وإن واجب الدول العربية إزاء الكيان أن تيسر له الأسباب قبل قيامه وأن تسنده وتمده بعد قيامه.

ولكي يكون هذا الكيان قادراً على الاضطلاع بمسؤوليته القومية، وجب أن تبرز الشخصية الفلسطينية حرة مستقلة، وبهذا يتعاون الكيان الفلسطيني مع الدول العربية جميعها، كل بحسب طاقاتها وظروفها. ولقد أوضحت غير مرة في الاجتماعات الكبرى وفي الندوات الدراسية الأسباب التي تدعو إلى عدم إنشاء حكومة ذات سيادة في الوطن أو في المهجر، فإن كل جهود الدول العربية معنا يجب أن تنصرف إلى تحرير الوطن السليب.

إن همّنا الأول والأخير هو التحرير وبعد ذلك يكون تقرير المصير. وتقرير المصير يشمل كل شيء، ويتناول الوجود والكيان، يتناول الحكم والسيادة والنظام العام ويتناول المبادئ السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بل يتناول الاستقلال أو الاتحاد أو الوحدة. كل ذلك لا كلام فيه ولا جدال فيه، ولا تفكير فيه، إلا بعد التحرير. إنّ الأفكار العقائدية والمذاهب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بالنسبة إلى فلسطين وأبناء فلسطين ليس هذا وقتها ولا داعي لإثارتها. وكل ما تطلبه قضية فلسطين في هذه المرحلة من الكفاح أن يكون الفلسطيني فلسطينياً أولاً وأخيراً، ولاؤه لفلسطين يعمل لتحريرها ضمن إطار الوحدة العربية كقضية قومية تستلهم طريقها وهدفها من وحدة النضال ووحدة المصير.

تلك أيها الإخوان، المعاني الرئيسية للميثاق الوطني والنظام الأساسي اللذين وضعتهما كمشروعين للكيان الفلسطيني. ولقد وضعت في هذين المشروعين تجاربي الطويلة المتواضعة بصدد قضية فلسطين بالنسبة إلى شعب فلسطين وبالنسبة إلى الأمة العربية، وبالنسبة إلى العالم الدولي. وقد لقي هذان المشروعان قبولاً عاماً لدى أوساط الشعب الفلسطيني والأوساط الرسمية للدول العربية.

ومع ذلك فإنّني سأقدم هذين المشروعين أمام المؤتمر الوطني الفلسطيني الذي

سيعقد في مدينتنا الخالدة ـ بيت المقدس ـ كمشروعين ليقرر المؤتمر بشأنهما ما يقرره فإن هذا العصر هو عصر الشعب. ولم يعد بمقدور فرد واحد أو جماعة معينة أن تفرض رأيها على الشعب.

وإني أعلم أن الكيان الفلسطيني كما رسمته في هذين المشروعين، ليس كياناً كاملاً ولا كياناً مثالياً فالظروف والملابسات المحيطة بقضية فلسطين من ناحية فلسطينية وعربية ودولية تفرض علينا هذا الطريق ولا أعرف طريقاً سواه، في يومنا هذا. ومن استطاع أن يدلني على طريق آخر نستطيع السير فيه فاني مستعد أن أسير وراءه. وقد جرت مناقشات عديدة بصدد هذين المشروعين للكيان الفلسطيني بعضها أملاه الهوى وبعضها أملاه الرأي وسواه كان هذا أو ذاك فاني أعرف مواطن النقد في هذين المشروعين.

إن النقد، والنقد البناء، واجب وحق وإني لأعرف بنفسي مواطن النقد في الميثاق والنظام وإني لأستطيع أن أكتب في نقدهما مائة مقالة ومقالة. ولكن ما هو أهم من النقد وأجدى أن نضع مشروعاً بديلاً، مشروعاً يمكن إنجازه وتحقيقه، مشروعاً تتوافر فيه عناصر النجاح، لا مشروعاً يداعب الآمال والأحلام.

إن الكيان، أيها الإخوان، يجب أن نبنيه حجراً حجراً، ومرحلة مرحلة، يجب أن نبني معسكرات التدريب، يجب أن ننشئ الكتائب الفلسطينية يجب أن نقيم مكاتب الدعاية، يجب أن تكون لنا صحافة وإذاعة، يجب أن نؤسس الصندوق القومي الفلسطيني، يجب أن ننطلق إلى العالم الدولي ندعو إلى قضيتنا في كل مجال وعلى كل صعيد. هذا هو الكيان الفلسطيني كما يجب أن يكون.

وهذا الكيان لا يبنى بالكلام، ولكن يبنى بالعمل، العمل الهادف الدائب، يبنى بالصبر على العمل وتذليل المصاعب وإنكار الذات والسمو عن الأهواء الفردية والنزعات الشخصية. وهذا الكيان يجب أن يكون ثورياً ونضالياً. ونحن شعب الثوار والأحرار، ولكن الثورية، ليست كلاماً ثائراً، ولا جدلاً ثائراً، فالثورة عمل لا جدل، والثورة مثابرة ومصابرة، لا مناجزة ومهاترة.

وفي الكيان الفلسطيني متسع لجميع أبناء فلسطين، لشعب فلسطين بأسره، فليس المؤتمر الوطني المزمع عقده في الثامن والعشرين من هذا الشهر، هو كل القضية الفلسطينية، ولا هو كل العمل لقضية فلسطين. إنه بداية الطريق وفي هذا الطريق سيسير الشعب كله، ولن يُحرم أحدٌ من شرف التحرير.

إن تحرير فلسطين، أيها الإخوان، أسمى وأقدس وأغلى من أن يكون تعييناً أو انتخاباً أو اختياراً، إنه تطوع وتبرع، وبذل وفداء، تضحية وإيثار، وكلنا نتنادى

لأداء هذا الواجب الأسمى، وإن فلسطين السليبة، تختار كل أبنائها، تنادي كل أبنائها للعمل في سبيل فلسطين.

إن الميدان واسع رحيب، والجبهة عريضة مترامية الأطراف، وكل شبابنا رجالنا، وفتياتنا ونسائنا، سيدعون إلى معسكرات التدريب ليتدربوا على حمل السلاح.

وكل فئاتنا المثقفة ستدعى إلى أعمال التنظيم والدعاية والسياسة والتوعية في الوطن العربي وفي العالم الدولي. وكل القادرين على بذل الأموال سيدعون إلى البذل بأريحية وسخاء.

الشعب كله ستشمله التعبئة العامة، الروحية والمادية، ولن يكون أحد من أبناء فلسطين بعيداً عن ميدان الشرف، فكلّ فلسطيني، سيكون في الميدان حيث يريد أن يكون، وحيث يستطيع أن يكون.

ولا بد لي قبل أن أختم كلمتي إلى إخواني أبناء فلسطين من أن أوجه كلمة تنبيه وتحذير، فمنذ أن أصدر مؤتمر القاهرة قراره بإنشاء الكيان، والحملات الاستعمارية والصهيونية تتوالى ضد الكيان الفلسطيني، وقد رأيت هذه الحملات في جولتي في البلاد العربية أمامي ومن خلفي، رأيتها في مقالات ومنشورات، وفي إشاعات وافتراءات. ولكن شعب فلسطين لا تجوز عليه مثل هذه الحملات فقد تمرس بالنضال وقد زادته النكبة وعياً ونضجاً وإدراكاً.

ولقد لقيت الشعب الفلسطيني في كل البلاد العربية مزدرياً لهذه الحملات، ويكفي هذا الشعب فخراً أنه قد داس المنشورات المعادية بالأقدام، وفي معسكرات اللاجئين جمعت هذه المنشورات في كومة واحدة وأشعلت فيها النيران.

أقول هذا لأنّني أعلم أن الاستعمار وأعوانه لا يتركون هذا الكيان الفلسطيني من غير رائجات ودعايات، لن يتركوا هذا الكيان الفلسطيني ينمو ويكبر، لأنهم يعلمون أن الكيان متى كبر ونما سيكون قوة ضاربة تقوم بدور طليعي في تحرير فلسطين، وتحرير فلسطين معناه زوال الاستعمار من الوطن العربي وزوال ربيبته إسرائيل.

من أجل هذا فإن خصوم الكيان: الاستعمار والصهيونية وأعوانهما سيمضون في عدائهم للكيان بالمكائد، وكيدهم للكيان بالأموال، والافتراء على الكيان بالأراجيف.

ولا أريد أن أرد على هذه الأراجيف واحدة واحدة، فالشعب الفلسطيني ماض في إنشاء كيانه وهذا أبلغ رد على الافتراءات والحملات.

وحتى قبل أن ينبثق الكيان بكل أجهزته، بصورة رسمية واقعية، بدت طلائع الكيان هاتفة بالجد والعزيمة، باعثة على الأمل والرجاء.

في اليوم العشرين من شهر نيسان/ أبريل ١٩٦٤ افتتحنا في قطاع غزة، في النصيرات، أول معسكر فلسطيني للتدريب على حمل السلاح وفنون القتال، وإن الشباب والطلاب مدعوون للتدريب في هذا المعسكر ولطالما تطلعوا إلى هذا اليوم. وقد أطلقنا على هذا المعسكر اسم دير ياسين لنرد على هذه المذبحة الرهيبة لا بالبكاء والرثاء، ولكن بالتدريب والتنظيم.

هذا أول معسكر فلسطيني، أرضاً ورجالاً، وتدريباً ومالاً، وإنا لنرجو أن نبني العديد من هذه المعسكرات في الوطن العربي الكبير، حيثما نزل إخواننا من أبناء فلسطين.

هذا هو المعنى الكبير للكيان الفلسطيني، وهو معنى جدير بهذا اليوم. اليوم الخامس عشر من شهر أيار/ مايو ١٩٦٤، وحين نلتقي في الخامس عشر من شهر أيار/ مايو في العام المقبل، نرجو أن نتحدث عن الكيان بلغة الكتائب والمعسكرات فهي اللغة التي يفهمها العالم الدولي، اللغة التي تفهمها الأمم المتحدة.

سنة الله في خلقه ﴿**ولن تجد لسنة الله تبديلا**﴾.

(٦)

خطاب الشقيري في افتتاح المؤتمر الفلسطيني الأول المنعقد في مدينة القدس في ٢٨ أيار/مايو ١٩٦٤

في هذا اليوم التاريخي، وفي مدينة القدس الخالدة، يجتمع شعب فلسطين لأول مرة بعد كارثة فلسطين، فما أعظم هذا اللقاء وما أكرم معناه وأبعد مداه.

ولقد شهدت هذه المدينة الباسلة منذ أن دخلها سيدنا عمر بن الخطاب وهو يسوق جمله وعليه مولاه، شهدت أياماً فاضلة جليلة اقتحمت على التاريخ العربي طريقه فغيّرت مجراه وصعدت به إلى ذروة الأمجاد الإنسانية، وما أيام صلاح الدين الأيوبي إلا واحدة منها. واليوم تشهد هذه المدينة حدثاً تاريخياً سيقتحم على الحياة العربية طريقها ليغير مجراها فيعيد إلى الديار المقدسة عروبتها وحريتها وأمنها وقدسيتها.

ونحن إذ نعقد هذا المؤتمر الوطني تطالعنا هذه المعاني بارزة واضحة، وأكبر هذه المعاني أننا نجتمع لأول مرة بعد تسعة عشر عاماً من عمر الكارثة، وهذه أكبر المعاني حقاً، فقد تألبت على هذا الشعب الباسل قوى الصهيونية والاستعمار مجتمعة متساندة، فأقامت إسرائيل على أرضنا، وتحالفت على إخراجنا من وطننا وتشريدنا تحت كل سماء وكوكب، ثم راحت ترهق اللاجئين منا عاماً بعد عام بالبؤس والحرمان، وهي تحسب أن هذا الشعب لن يجتمع أبداً.

ولكن مؤتمرنا هذا في يومنا هذا جاء ليعلن للدنيا بأسرها، أننا نحن أهل فلسطين وأصحابها الشرعيين قد التقينا، قد اجتمعنا، على تحرير فلسطين.

ونحن هنا وفود فلسطين، قد تنادينا إلى هذا المؤتمر العتيد على أرض فلسطين، على الخطوط الأمامية من فلسطين، نشهد أرضنا وبلادنا، معابدنا

ومرابعنا، مدننا وقرانا في الوطن السليب، ونحن هنا لا نمثل الفلسطينيين في سوريا ولبنان والعراق وقطاع غزة، ولكننا نحن هنا شعب واحد، ووطن واحد، وكفاح واحد.

بل إن معنا في هذا المؤتمر إخواناً لنا، نحن نمثلهم لأنهم لا يستطيعون الوصول إلينا، إخواناً لنا يصابرون جهد الطاقة الإنسانية في سبيل حماية عروبتهم وصون لغتهم، أولئك هم إخواننا الفلسطينيون في المنطقة المحتلة، إنهم معنا ونحن معهم، إنهم الآن يحضنون أجهزة الراديو، ويستمعون إلينا بقلوبهم وجوارحهم، إليهم تحياتنا وإعجابنا، رجالاً ونساءً، شباباً وأطفالاً، ونحن معهم على عهد وموعد، وكل آت قريب.

وإن مؤتمرنا هذا ليضم أجيال الكفاح منذ كان الكفاح، ويضم أجيال النكبة منذ وقعت النكبة، فبيننا الجيل الذي أطل من الحرب العالمية الأولى ليستمع إلى وعد بلفور الذي أصدرته الحكومة البريطانية ظلماً وعدواناً، فثار على هذه السياسة الظالمة بالاستنكار والاحتجاج والإضراب والسلاح، وبيننا الجيل الذي شهد عهد الانتداب البريطاني بكل مظالمه ومغارمه فنازل الاستعمار بالسلاح عام ١٩٢١و ١٩٢٩ و١٩٣٦ و١٩٣٩، وكان من آيات الكفاح ذلك الإضراب الذي امتد ستة أشهر كاملة لم يعرف له تاريخ الحركات التحررية مثيلاً. وبيننا الجيل الذي غصت به السجون والمعتقلات، ونسفت منازلهم وهدمت قراهم وعلق أبناؤهم على أعواد المشانق، وبيننا أخيراً الجيل الصاعد الذي له من ذكريات الوطن ظلال خفيفة يعيش دوماً في النكبة، وتعيش النكبة فيه.

كل هذه الأجيال بكل ذكرياتها القريبة والبعيدة إنما تمثل الكفاح الدائم للشعب، وستظل أجيالنا الحاضرة والمقبلة تتعاقب عليها أعباء الكفاح، حتى نحرر الوطن السليب، وندق أعلامنا على عكا وحيفا وسائر الشاطئ الخصيب.

وهذا المعنى الكبير الذي يتجلى في تجمع الشعب الفلسطيني، يجاوره معنى كبير يوازيه في جلاله وخطره، ذلك هو اجتماع الأمة العربية ممثلاً بيننا بإخواننا الأجلاء ممثلي الملوك والرؤساء للدول العربية.

إنهم اليوم معنا ووراءهم الأمة العربية بكل طاقاتها الروحية والمادية، وكما كان مؤتمر الذروة العربي أول اجتماع عالٍ يلتقي فيه المشرق العربي والمغرب العربي على قضية فلسطين، فمن حقنا أن نسجل باغتباط أننا نشهد اليوم أول مؤتمر فلسطيني

ينعقد على مقربة من خطوط الهدنة، لنعلن على الملأ أن الشعب العربي الفلسطيني مصمم تصميماً لا يلين، وعازم عزماً لا ينثني، على تحرير وطنه مهما عظمت التضحيات، ومهما طال الزمان.

وليس ما أقوله مجازاً ولا حماساً، فإنه الحقيقة الراسخة التي تعيشها الأمة العربية لا بملوكها ولا برؤسائها فحسب، ولكن في صميم جماهيرها، في بواديها وحواضرها.

وفي جولتي الأخيرة في الوطن العربي من المحيط إلى الخليج شهدت بنفسي لهفة الأمة العربية على فلسطين ولوعتها عل ضياعها وتحرقها على الكفاح لتحريرها.

لقد شهدت احتفالات تونس لتحرير بنزرت فكان الشعب في تونس يهتف لفلسطين إلى جانب هتافه لبنزرت.

وشهدت ذكرى استقلال ليبيا في طرابلس فكان الشعب الليبي يهتف لفلسطين إلى جانب هتافه لاستقلال ليبيا.

وشهدت مؤتمراً كبيراً في الجزائر فأعلن شعب الجزائر أن سيادة الجزائر لا تتم إلا بتحرير فلسطين.

وشهدت اجتماعات وطنية في المغرب فكان المغرب يهتف لتحرير فلسطين إلى جانب هتافه لحريته واستقلاله.

وخطبت في مساجد الخرطوم ونواديها فكان الشعب في السودان يهتف لفلسطين وتحرير فلسطين.

وفي قاعة الخُلْد في بغداد كان شعب العراق يرد على خطابي مطالباً بالتطوع والسلاح.

والتقيت بالشعب في صيدا ـ لبنان في مؤتمر شعبي كبير، وكانت الجماهير تصيح، من هنا الطريق إلى فلسطين.

وفي سوريا وقفت مع الإخوان في القرى الأمامية المطلة على الجليل، وكان السؤال الصارخ على أفواه الجميع، متى نحرر هذه الربوع الغالية من الوطن الغالي.

وفي الكويت كان حديث الشعب إليّ أشد حماسة من حديثي إليهم، الأموال

والرجال فداء فلسطين وكذلك كان هذا الشعور الفياض في قطر والبحرين.

وفي الجمهورية العربية المتحدة شهدت احتفالات أسوان فكان بناة السد العالي يهتفون في أذن الرئيس خروشوف لتحرير فلسطين ولم يجف العرق على جباههم.

أما في الأردن، وقد كانت لي اجتماعات كبرى في ضفتيه، فقد شهدت الفلسطيني أردنياً والأردني فلسطينياً، الكل سواء في الكفاح تجمعهم أُخوَّة المصير والسلاح، واستقر في ضميري أن أهل الكرك وعمان والسلط وإربد عازمون على تحرير فلسطين مع أهل عكا وحيفا ويافا لا جنباً إلى جنب بل قلباً إلى قلب.

ولو أتيح لي أن أزور الجزيرة العربية لرأيت فيها المشاعر العربية نفسها سواء بسواء وكلها تتطلع بالتأييد لفلسطين وكيان فلسطين.

وإني إذ أتحدث عن كيان فلسطين أجدني أمام حقيقة مفجعة، لقد تداولنا هذا التعبير «الكيان الفلسطيني» سنوات عديدة، إنه تعبير غريب على الحياة العربية والدولية. إنه تعبير جديد لا سابقة له في تاريخ الأمم، وكل الشعوب التي كافحت لنيل حريتها لا تعرف هذا التعبير، لم يعرف تاريخ الكفاح العربي شيئاً اسمه الكيان السوري والمصري، والعراقي، أو الجزائري، ولم تعرف آسيا الكيان الإندونيسي ولا أفريقيا الكيان النيجري، ولا عرفت أمريكا اللاتينية الكيان الكوبي ولكن فلسطين فريدة الكارثة، وحيدة الفاجعة، فكان لها من وضع غريب ووحيد.

وواضح أن السبب في ذلك أن كل الشعوب التي ابتليت بالاستعمار بقيت مستقرة في وطنها آمنة في ديارها، تكافح في أرضها، في جبالها ووهادها، في شواطئها وسهولها، في غاباتها وأحراشها، ولكن شعب فلسطين قد اقتلع من وطنه، وأخرج من دياره، وهدم كيانه فأصبح لابد له من أن يبني لنفسه كياناً ليستأنف حياته القومية وينهض بدوره الكامل في تحرير وطنه وتقرير مصيره.

هذا هو السبب وراء هذا التعبير الفريد، الكيان الفلسطيني، إنه تعبير مفجع ينطلق من الفاجعة التي حلت بفلسطين، ولكن يجب أن يكون واضحاً أن هذا الكيان ليس كياناً انفصالياً فنحن دعاة وحدة، ولا كياناً انعزالياً فنحن رسل تضامن وإخاء، وإنه لمن يمْن الطالع لمؤتمرنا أننا نعقده في أيام نتبادل فيها التهاني لاتفاق الوحدة الذي تم أخيراً بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية، فإن الوحدة.. هي أعز آمال شعب فلسطين، إننا لندعو الله أن يكون اتفاق القاهرة ـ

بغداد له ما بعده، وأن تزداد رقعة الوحدة العربية سعة وعمقاً، فإن الوحدة هي الطريق إلى فلسطين.

ومن معاني هذه الوحدة أن انبثاق الكيان الفلسطيني في مدينة القدس لا يهدف إلى سلخ الضفة الغربية عن المملكة الأردنية الهاشمية ولكننا نهدف إلى تحرير وطننا المغتصب غرب الضفة الغربية. ونحن لا نتعرض للكيان الأردني من قريب أو بعيد، فقد كانت هذه الديار على مر التاريخ وطناً واحداً وشعباً واحداً وما وضعه الاستعمار من حواجز على مدى ثلاثين عاماً أعجز من أن يفصم روابط السنين والأجيال، وإننا لن ننسى أبداً أن القرون الوسطى قد شهدت معارك فلسطين لا على أسوار عكا والقدس ولكن على أسوار الكرك، ونحن في عهد الصواريخ، أجدر بأن نرفض التفريق والتجزئة، ويجب أن يكون شعارنا الوحدة الآن وفي كل آن وزمان، ومن أجل ذلك فإن أي عون عسكري أو سياسي أو اقتصادي للمملكة الأردنية إنما هو عون عسكري لفلسطين، وإننا لندعو الأمة العربية بأسرها حكومات وشعوباً أن تعتبر أن الأردن هو المنطلق الكبير لتحرير فلسطين فهنا الهضاب المشرفة، وهنا الجبال المطلة، وفوق هذا وذاك هنا الشعب المتعطش للثأر، المتلهف إلى الجهاد والاستشهاد.

وإننا إذ نجتمع لبناء الكيان الفلسطيني إنما نهدف أن نضيف قوة جديدة في الساحة العربية عامة والكيان الأردني خاصة، ونحن شعب كان لنا كيان يوم كنا في وطننا، وقد تمثل هذا الكيان في أحزابنا ومنظماتنا ولجاننا القومية، تمثل في الفلاحين الذين استشهدوا وفي العمال الذين علقوا على أعواد المشانق، وفي الطلاب والشباب، في الرجال والنساء الذين حصدوا قتلاً، واضطهدوا سجناً واعتقالاً وتعذيباً، تمثل في كفاح مرير نهض به الشعب بكل فئاته قرابة ثلاثين عاماً وبذل في سبيله المهج والأرواح.

تلك كانت سيرتنا أيام كنا في وطننا نكافح الصهيونية والاستعمار معاً، إلى أن خرجنا من ديارنا، لا جبناً ولا استكانة، ولكن لأن القوة العربية لم تكن يومئذ على مستوى المعركة. وإذا كان الركب العربي قد خطا خطوات واسعة في ميدان القوة العسكرية والاقتصادية فقد بقي علينا نحن الشعب الفلسطيني أن نسير في موازاة هذا الزحف العربي، فنبني كياننا ونجمع صفوفنا ونعبئ كل طاقاتنا وكفاءاتنا فتعود القضية لشعبها ويعود الشعب لقضيته.

أقول هذا لأن الشعب الفلسطيني منذ أن حلت الكارثة بوطنه قد أفلت الزمام

من يده، ولم يعد يمارس مسؤولياته القومية بشأن قضيته على حين كنا نرى في هذه الحقبة الأخيرة جميع القضايا التحررية في العالم تقوم عليها شعوبها، منظمة في ميدان التحرير، على خير ما تكون التعبئة والتنظيم.

ولقد كان لي شرف الدفاع عن كثير من القضايا التحررية العربية والدولية إلى جانب الوفود العربية، سواء حين كنت رئيساً للوفد السوري أو رئيساً للوفد السعودي، وكانت كل هذه القضايا تتجسد أمام الأسرة الدولية بشخصية شعوبها، عقلاً وضميراً، ولحماً ودماً، إلا قضية فلسطين فلم يكن شعبها متجسداً فيها، وكان السؤال الرهيب الخطير الذي يدوي خلال تسعة عشر عاماً في أروقة الأمم المتحدة وخارجها، أين هذا الشعب الفلسطيني الذي تتحدث المحافل الدولية عن قضيته؟

لذلك كانت الحاجة ملحة في أن يقوم الكيان الفلسطيني وأن تهيأ الفرصة كاملة أمام الشعب الفلسطيني لينهض بتبعاته الوطنية في تحرير وطنه.

ولقد جرت محاولات متعددة في الماضي داخل الجامعة العربية وخارجها لإنشاء الكيان الفلسطيني، فلم تفلح تلك المجهودات لأسباب متعددة، إلى أن انعقد مؤتمر الملوك والرؤساء في القاهرة فأقرّ بالإجماع العمل على إنشاء الكيان الفلسطيني.

ومنذ أن صدر ذلك القرار بإنشاء الكيان أخذ الاستعمار والصهيونية وأعوانهما، يطلقون الأراجيف من حوله، ويشنون عليه الدسائس، ولكن الأمة العربية ومنها شعب فلسطين لا تجوز عليها هذه المكائد، وكان طبيعياً أن يقف الاستعمار هذا الموقف فهو يريد أن يصفّي قضية فلسطين ويعفّى عليها. .

وإنكم لتجدون أيها الاخوة الهيكل العام للكيان الفلسطيني في مشروعين: **الأول** الميثاق القومي، و**الثاني** النظام الأساسي لمنظمة التحرير، وقد وضعت في هاتين الوثيقتين خلاصة تجاربي المتواضعة بشأن قضية فلسطين بالنسبة لشعب فلسطين وبالنسبة للأمة العربية حكومات وشعوباً وبالنسبة للعالم الدولي. وهذان المشروعان مطروحان أمام المؤتمر الوطني للدرس والمناقشة، والتعديل والتبديل، إنهما مطروحان للقبول أو للرفض، فاقبلوا ما شئتم وارفضوا ما شئتم، فإن قضية فلسطين هي ملك شعب فلسطين، وإن شعب فلسطين هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة بشأن قضية فلسطين.

ولهذا فإني أتقدم إليكم بهذا الهيكل العام للكيان، أعرضه ولا أفرشه، ومن كان لديه مشروع آخر يمكن تحقيقه ويستطيع أن يضع يده على الوسائل التي تيسر الإنجاز والتنفيذ فإني مستعد أن أسير وراءه بأن أعمل في خدمته وأن أضع نفسي تحت تصرفه، فإن قضية فلسطين تتطلب منا جميعاً التجرد والإخلاص والتفاني وإنكار الذات

ولست أدّعي أن هيكل الكيان كما وضعته أمامكم هو الكمال والمثال، ولكني أدّعي مخلصاً وصادقاً أنه خير بداية نستطيع أن ننهجها على ضوء الظروف التي تحيط بقضية فلسطين سواء من ناحية فلسطينية أو عربية أو دولية.

ولكن كائنة ما كانت البداية، فإن هنالك أمراً ثابتاً لا يرقى إليه الشك، ذلك أن الكيان الفلسطيني يجب أن يبنيه شعب فلسطين، يبنيه بعقله وإرادته وعزيمته. إن شعب فلسطين غني بالكفاءات والطاقات. وإخواننا المهاجرون هنا يساهمون في بناء وطنهم العربي الكبير بإخلاصهم وقدراتهم الخلاقة وهم قادرون على بناء كيانهم بأنفسهم، ومن حق شعب فلسطين أن يبني كيان فلسطين. إن كيان فلسطين لا تبنيه الدول العربية لا متجمّعه ولا منفردة، وليس دور الدول العربية إلا أن تيسّر قيامه وتدعم كفاحه، ذلك هو حقنا وذلك هو واجب الدول العربية.

غير أن الحقيقة الصارخة التي يجب ألا تغيب عن بالنا هي أن الكيان الفلسطيني لا يكون قوياً وثورياً بقوة التعابير التي نكتبها، ولا بثورية الشعارات التي نطلقها ولكنه يكون قوياً وثورياً بالإمكانات الثورية التي تضعها الدول العربية تحت تصرف الشعب الفلسطيني.

وهنا يبرز جسد الكيان وروحه، يبرز عقله وضميره، فإن الكيان الفلسطيني، فلسطيني وعربي، فلسطيني البناء، ولكنه عربي الوسائل والإمكانات، تقدمها الدول العربية، فإذا كانت الوسائل هزيلة كان الكيان هزيلاً وإذا كانت الوسائل قوية كان الكيان قوياً ثورياً، وإن شعب فلسطين سيبذل لوطنه الأرواح والأموال، ولكن مصير الكيان مرهون في النهاية بالدول العربية، والدول العربية جميعها، فإن بذلت ويسّرت ودعّمت نهض الكيان بكل أعباء التحرير.

وهنا لا بد لي أن أعلن بصراحة أننا نحن أهل فلسطين سنرفض السير في أي طريق إلا طريق الكفاح والسلاح، فقد سئم شعب فلسطين ومعه الأمة

العربية، القرارات التي لا تنفذ والتصريحات التي لا تطبق.

وإني كواحد من هذا الشعب الباسل أعلن في مؤتمرنا هذا أنه يجب أن يجند القادرون منا على حمل السلاح رجالاً ونساءً وهذا في نظري هو جوهر الكيان الفلسطيني، وإذا خلا الكيان من الناحية العسكرية كان كلاماً في كلام وكياناً من غير كيان.

وإن الشعب الفلسطيني يريد منظمة التحرير الفلسطينية أن تكون ثورية نضالية، فإن شعب فلسطين هو شعب من الثوار والأحرار، قد نختلف في قدراتنا وطاقاتنا شأن جميع الشعوب، ولكننا في مجموعنا شعب ثائر، وكل فلسطيني منا هو إنسان ثائر فمن لم يكن ثائرا بفطرته ونشأته، فهو ثائر بكارثته ونكبته وهو ثائر بخبرته وتجربته.

أقول بتجربته وخبرته لأن الشعب الفلسطيني قد رأى في التسعة عشر عاماً الماضية أن قضية فلسطين ليس لها حل سياسي أو دبلوماسي، وليس لها حل في الأمم المتحدة ولا في المحافل الدولية الأخرى. إن قضية فلسطين لا تحل إلا في فلسطين ولا تحل في فلسطين إلا بالسلاح والكفاح، ولا تحل في فلسطين إلا بتعبئة الأمة العربية حكومات وشعوباً وفي مقدمتها شعب فلسطين.

وعلى هذا اصبح واجباً لزاماً أن يهيأ ابن فلسطين لتحرير فلسطين، وأن يهيأ جندياً وفدائياً، فحرام أن تظل طاقات هذا الشعب مهدرة، حرام أن يموت اللاجئون في الخيام بدلاً من أن يستشهدوا في ميدان الشرف، وحرام أن تمضي السنوات وكل الذي نفعله في أيار/ مايو من كل عام أن نبكي وطننا الضائع ونندب حظنا العاثر.

وإنا لنعلم أن قضية فلسطين باعتبارها قضية تحريرية لا تحل إلا كما حلت جميع القضايا التحررية في العالم، ولذلك نعلن من هذا المؤتمر أننا نأبى أنصاف الحلول، نحن نرفض التقسيم، نحن نرفض التدويل، نحن نرفض التوطين، وعهدنا وميثاقنا أن نمضي في الكفاح إلى أن تعود فلسطين وأن نعود إلى فلسطين.

وتحقيقاً لهذه الغاية المقدسة وجب علينا نحن الشعب الفلسطيني أن نعبئ كل طاقاتنا ومواردنا إلى جانب طاقات الأمة العربية ومواردها، ففي معركة تحرير فلسطين لا غنى عن أهل فلسطين ولا غنى لأهل فلسطين عن الأمة العربية، فنحن في هذه المعركة سواء بسواء.

أما بالنسبة لشعب فلسطين فلا بد لكياننا أن تكون له بداية، بداية نستطيع أن نسير بها من غير انتظار طويل، لهذا فإن صورة الكيان الفلسطيني كما أضعها أمامكم ترسم البداية، البداية التي يمكن السير بها في عامنا هذا فنحن لا نحتمل تسعة عشر عاماً آخر.

إن أمامنا فرصة العمر فيجب ألا تضيع في الجدل بل يجب أن نبنيها بالعمل وبالصبر على العمل.

وصورة الكيان تتمثل حية في حقائق حية، وهذا هو الميثاق أمامكم، والنظام أمامكم، الكيان الفلسطيني كتائب فلسطينية مسلحة تشكلها القيادة العربية الموحدة بالتعاون مع الدول العربية.

الكيان الفلسطيني صندوق فلسطيني يجبي الأموال بأمانة وينفقها بأمانة وحساباته مفتوحة للشعب.

الكيان الفلسطيني مكاتب سياسية في جميع أرجاء العالم لكسب الأصدقاء والتماس العون والمدد أينما وجدناه.

الكيان الفلسطيني تنظيم سياسي لجميع فئات الشعب اللاجئ والمقيم، الطلاب والشباب، الرجال والنساء، فالكيان للشعب وفي خدمة الشعب ومفتوح لكل أفراد الشعب. ومن شاء أن يعمل ومن شاء أن يبني فليتفضل، إن ميدان العمل رحب فسيح للذين يعملون، للذين يعزمون على البناء.

وإنني على يقين ونحن اليوم على بداية الطريق أننا لن نقف وحدنا، فمعنا **أولاً** الأمة العربية ونحن معها، ومعنا **ثانياً** الدول المتحررة في أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وخاصة الدول الاشتراكية، ومعنا **ثالثاً** أحرار العقل والضمير في كل أرجاء العالم، ومعنا أخيراً قوى الحرية والسلام والعدل في جميع الشعوب التي تناصر الحرية والسلام والعدل.

وإنكم لترون أنني لم أشر إلى الدول الغربية، فالسياسة الغربية هي سبب هذه الكارثة الرهيبة وهذا الظلم الصارخ، السياسة الغربية هي التي أوجدت إسرائيل وما تزال تمدها بالمال والسلاح، والسياسة الغربية هي التي ما فتئت تعلن أن إسرائيل وجدت لتبقى.

هذه هي معالم الطريق أيها الإخوان نسير فيها جميعاً، يسير فيها الشعب الفلسطيني بأسره، إن الكيان الفلسطيني مفتوح أمامنا جميعاً، لكل فلسطيني

مكان في هذا الكيان، إن شرف الكفاح حق لنا جميعاً وواجب علينا جميعاً، لا استئثار ولا احتكار، الشعب كله في المعركة، لأن الوطن للشعب والشعب للوطن.

إن العالم يتطلع إلينا، الأعداء والأصدقاء فلنحقق رجاء الأصدقاء ولنخيّب أمل الأعداء. إن التاريخ يطل علينا، فلنكتب أمجد صفحاته، ولنكتب اليوم في أول هذه الصفحات أن شعب الكفاح يعود اليوم إلى طريق الكفاح وهذا هو الكيان.

(٧)

كلمة الشقيري في الجلسة الرابعة للمؤتمر الوطني في القدس أواخر أيار/مايو ١٩٦٤

حضرات الإخوان:

هنالك طريقة واحدة لأشكركم على هذه الثقة، لا بالكلام المنمق ولا بالعبارات الموشاة، وإنما بعهد إليكم وميثاق بين أيديكم، أن أسير معكم إلى النهاية في منظمة التحرير إلى آخر نفس من حياتي.

وحين أقول أسير معكم إلى النهاية، لا أعني أن أكون رئيس اللجنة التنفيذية إلى النهاية، وإنما أعني أن أظل في منظمة التحرير رئيساً أو عضواً إلى النهاية، وسأعمل كل جهدي ما بقي من عمري لأن أعمل بإرشاداتكم وتوجيهكم لتحقيق كل مطالب الشعب العربي الفلسطيني في الكفاح ومن أجل تحرير وطننا.

أيها الإخوان:

الذي يعرف تاريخ الكيان للسنين التسعة عشر الماضية وينظر لما حققناه إلى دقيقتنا هذه، من حقه أن يعجب ومن حقه أن يعتز ومن حقه أن يفخر، لقد كانت هنالك صعوبات ضخمة في الطريق، صعوبات أكثرها صادرة عن الجهات الأجنبية وعن الجهات الدولية التي لا تريد لهذا الكيان أن يولد ولا تريد له إذا ولد أن يكبر وأن ينمو لأنها تعلم أن هذا الكيان إذا ولد وإذا كبر وإذا نما معناه تحرير فلسطين وزوال إسرائيل.

أيها الإخوان:

أرى أن علي أمانة أرجو أن أستطيع حملها ولكني أريد معاونتكم لحملها، أريد معاونتكم جميعاً: المؤتمر كله والشعب العربي الفلسطيني كله وأعضاء اللجنة التنفيذية الذين سيقع الاختيار عليهم في النهاية، ومن غير هذه المعاونة ومن غير هذه الوحدة الوطنية التي تشمل الشعب الفلسطيني كله يكون الطريق طويلاً ويكون الطريق صعباً، ولكن بتعاوننا وتضامننا ووحدتنا الوطنية وحدة الكفاح ووحدة ثورية نضالية نستطيع أن نقصر الدرب إلى فلسطين وأن نبلغ أرضنا المغتصبة ونعود إليها وتعود فلسطين إلينا.

إن أول واجباتي أيها الإخوان بعد انتهاء هذا المؤتمر أن أقوم بالاتصالات بالدول العربية كلها وبطبيعة الحال بإخواني الشعب الفلسطيني، ولن أفتر عن الاتصال بإخواني الشعب الفلسطيني حيثما كانوا لأن هذه القضية ليست لرئيس اللجنة التنفيذية ولا للجنة التنفيذية ولا للمؤتمر الوطني هذا، ولكنها للشعب العربي الفلسطيني كله مقيمه ومهاجره.

إن هذه القضية يجب أن تظل بين يدي الشعب، لقد كان من أسباب كارثتنا، الأسباب الماضية، أن الشعب كان بعيداً عن القضية والقضية كانت بعيدة عن الشعب.

هذه القضية لا تفلح إلا إذا انبثق الدفع الثوري فيها من صفوف الشعب، من صفوف العمال والشباب والطلاب والمقيمين والعائدين والأساتذة والشيوخ والعلماء والشعراء والوزراء وكل طبقات الأمة، لا فرق بين مقيم وعائد ولا فرق بين من هم في الأردن ومن هم في الكويت، أو في العراق، أو في العربية السعودية، كلنا شعب واحد ولنا هدف واحد هو تحرير فلسطين.

وإن واجبي الثاني بعد الاتصال بالدول العربية هو أن أعبر عن رغبات الشعب الفلسطيني ورغبات مؤتمركم إلى مؤتمر الملوك والرؤساء. لقد كنت في اجتماع الذروة الأول الذي انعقد في القاهرة، وقد كان وجودي يومئذ في ذلك المؤتمر وجود واحد منكم اختارته جامعة الدول العربية ليمثل الشعب الفلسطيني لدى مؤتمر الملوك والرؤساء.

ولكني اليوم سأذهب إلى الإسكندرية لا مندوباً من جامعة الدول العربية

ولكن ممثلاً لشعب فلسطين، وثقوا أيها الإخوان أني حين أمثل الشعب الفلسطيني في مؤتمر الملوك والرؤساء في الإسكندرية، ذلك الاجتماع المقبل لن أكون فيه خانعاً ولا خاضعاً وإنما أجلس كعربي بكل عزة الشعب الفلسطيني كتفاً إلى كتف.

ليس للشعب الفلسطيني الآن دولة وليس للشعب الفلسطيني ملك ولا رئيس، ولكني مع هذا كممثل للشعب الفلسطيني سأحك كتفي إلى جانب أكتاف الملوك والرؤساء.

أيها الإخوان:

إن لغتي هناك ستكون لغتكم وإن لهجتي هناك ستكون لهجتكم بكل مرارتها وبكل قسوتها، بكل شدتها وبكل عمقها، لن أكون دبلوماسياً ولا سياسياً ذلك لأني أمثل نضال شعب بكامله له إرادة ثورية إرادة حرة لا إرادة دبلوماسية أو سياسية.

أيها الإخوان:

أنا لا أتكلم الآن بالحماسة وقد تجاوزت الخمسين وما هي بعمر الحماسة ولكني أتكلم بشعوركم وعاطفتكم وإيماننا بقضيتنا. وكونوا على ثقة أيها الإخوان حينما أتحدث في مؤتمر الملوك والرؤساء في الإسكندرية سيكون في طليعة حديثي الجانب العسكري للكيان.

لقد بنينا حتى الآن الشيء الكثير من كياننا الفلسطيني؛ تذكروا أيها الإخوان أن الكيان كان محالاً، أن الكيان أمامه المصاعب، الكيان السياسي لم يكن أمامه ظروف تسمح بانبثاقه وقيامه، الشخصية الفلسطينية لم يكن أمامها ظروف تأذن بقيامها، العمل العسكري لم يكن هنالك أي مجال للتفكير فيه.

أنتم الآن قد قررتم في جملة ما قررتموه الكيان السياسي والشخصية الفلسطينية وقررتم كذلك التجنيد لكل الفلسطينيين، والتدريب لكل الفلسطينيين والكتائب الفلسطينية المسلحة تشكلها القيادة العربية الموحدة، وأنا أعلم أنكم تريدون المزيد، أنا أعلم أنكم تريدون أكثر من هذا. لقد وصلنا إلى هذا ولكن ما يزال على أوراقنا حتى هذا الذي وصلنا إليه، ونحتاج إلى جهد مضن وإلى عرق وإلى سهر لننقل قراراتنا وأوراقنا إلى الأرض حتى نرى الجندي الفلسطيني والبندقية على كتفه في معركة التحرير.

أيها الإخوان:

إن عهدي إليكم معكم، ونحن كلنا الشعبُ الفلسطيني بجهدي المتواضع ولكنه الكبير بكم والمعتز بكم. إن هذا الذي قررناه وأنتم تريدون أكثر منه والمزيد منه، أنا أعمل له كل جهدي وكل طاقتي لأنقله من الورق إلى الميدان، ولن نقف عند هذا الحد فلا بد لنا من مرحلة أخرى نحقق المزيد من آمالكم، وهي في عيونكم وقلوبكم وهي مستقرة في ضميري والسلام عليكم.

(٨)

كلمة الشقيري في مؤتمر القمة العربي الثاني في الإسكندريّة، أيلول/سبتمبر ١٩٦٤

في مطلع هذا العام كان لي شرف المشاركة في اجتماعكم التاريخي الأول بوصفي ممثلاً لفلسطين مختاراً من قبل الجامعة العربية، ويسعدني في هذا اليوم أن يكون لي شرف المشاركة في اجتماعكم الثاني بوصفي رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية مختاراً من المؤتمر الفلسطيني الأول، الممثل لإرادة الشعب الفلسطيني في تصميمه على الكفاح لتحرير وطنه وتقرير مصيره.

والواقع أن هذا الأمر هو بذاته تجسيد لقرار صدر عنكم، وهو بدوره تجسيد لأمنية أصيلة ملحة طالما تطلع إلى تحقيقها شعب فلسطين، فلقد كان إنشاء الكيان الفلسطيني في اجتماعكم الأول قراراً صاغه الأمل والتمني، وهو الآن في اجتماعكم هذا، اجتماعكم الثاني، حقيقة قائمة، وحقيقة حية تنبض بمشاعر الشعب الفلسطيني، وتترجم عزمه الثابت على النضال من أجل استرداد وطنه السليب.

وإني إذ أنهي إليكم في هذا اليوم ماتم بصدد إنشاء الكيان الفلسطيني يجب أن أقرر بادئ ذي بدء أن الحقيقة الأولى التي استلهمتها في تنفيذ المهمة التي عهدتم بها إليّ هي أن الكيان الفلسطيني كيان لفلسطين، وكيان لشعب فلسطين، يبنيه لنفسه بعقله وإرادته، ويختار نهجه وطريقه وشكله، بمحض مشيئته واختياره، وأن دور الدول العربية بالنسبة إلى الكيان، أعني بهذا دوركم أنتم بالنسبة إلى هذا الكيان، لا بناءه ولا إنشاءه، بل التيسير والتسهيل قبل قيامه.

والحقيقة الثانية هي أن شعب فلسطين كأي شعب عربي آخر، له مقوماته القومية الكاملة تعززها طاقات مبدعة، وكفاءات خلاّقة، وبطولات تثير الإعجاب، وأنه

يجب أن يكون لكيانه الوطني شخصية مستقلة، متعاونة غير منعزلة، تشترك مع الأمة العربية، ونحن شعب فلسطين جزء لا يتجزأ منها، في آمالها وآلامها وفي إرادتها الهادفة المصممة على الوحدة العربية الشاملة.

وعلى أساس هاتين الحقيقتين مضيت في طريقي أسعى لإنشاء الكيان الفلسطيني، فأعددت قبل كل شيء مشروعين أحدهما ميثاق قومي يحدد الأهداف العامة والمبادئ الأساسية لقضية فلسطين بالنسبة إلى شعب فلسطين، بالنسبة إلى الأمة العربية، وبالنسبة إلى العالم الدولي.

والمشروع الثاني هو النظام الأساسي لقيام منظمة التحرير الفلسطينية. وقد عرضت هذين المشروعين، الميثاق والنظام على الدول العربية، وعرضتهما على الشعب الفلسطيني في مواطنه وفي مهاجره، وعقدت ندوات دراسة ومؤتمرات شعبية كبرى في العالم العربي كله ضمت الآلاف والآلاف من أبناء فلسطين، فكانت أكبر حملة توعية قومية لقضية فلسطين لا لشعب فلسطين وحده بل للأمة العربية بأسرها. وكانت النتيجة القاطعة التي ارتسمت في ذهني، وأقولها بكل جوارحي ومن أعماق ضميري، أن التجاوب الرسمي والتجاوب الشعبي كان صادقاً وعميقاً ومشجعاً. وبهذا انتهى ما يجدر أن يسمى بالمرحلة الأولى، مرحلة الاستفتاء العام لإنشاء الكيان الفلسطيني.

ثم انتقل سعيي بعدها إلى المرحلة الثانية وهي المرحلة التي يجدر أن أسميها مرحلة البناء والإنشاء، ففي اليوم الثامن والعشرين من شهر أيار/ مايو ١٩٦٤ انعقد المؤتمر الفلسطيني الأول الذي ضم ما يزيد على أربعمائة من مندوبي الشعب الفلسطيني توافدوا على مدينتهم الخالدة لأول مرة بعد الكارثة ولأول مرة بعد تسعة عشر عاماً.

ولقد كان هذا المؤتمر بمن شهده من أبناء فلسطين، ومن شهده من ممثلي الملوك والرؤساء، حدثاً تاريخياً دفع قضية فلسطين من الركود والجمود إلى النشاط وإلى الحركة، وتجلّى به أكبر معاني الكيان الفلسطيني، وهذا المعنى الكبير، هو تجمّع الشعب الفلسطيني على قضيته لأول مرة بعد تشتت وتشرد، وتصميمه على تنظيم صفوفه وتعبئة طاقاته وموارده الروحية والمادية لخوض معركة التحرير التي يتطلع إليها منذ أن حلّت به الكارثة.

ولقد أعلن المؤتمر قيام منظمة التحرير الفلسطينية، وأقر ميثاقاً قومياً ونظاماً أساسياً، ولم يكن كله الميثاق الذي وضعته، ولم يكن كله النظام الذي أعددته، فأقرّ

من الميثاق ما أراد أن يقر، وأقر من النظام ما أراد أن يقر. وكنت أريد من ميثاقي هذا ومن النظام، أن أعرضه لا أن أفرضه، وأنا لا أستطيع أن أفرضه ولا يستطيع إنسان أن يفرضه على الشعب الفلسطيني.

كل هذه التفصيلات يا سيدي الرئيس موجودة أمامكم في ثلاثة تقارير قدمتها إلى لجنة المتابعة تناولت الكيان الفلسطيني منذ صدر قراركم، إلى اليوم الذي انتهى فيه تأليف اللجنة التنفيذية، وبهذا تم ما أردتم وتحقق ما طلبتم.

والآن وقد تم إنشاء الكيان الفلسطيني فإن أمامكم في هذه الساعة، وأقول هذه الساعة بكل ضبط وبكل تحديد، أمامكم مرحلة أهم وأعظم، أهم من الكيان الفلسطيني وإنشائه، أعظم من التنظيم الذي انتهينا إليه بانبثاق منظمة التحرير الفلسطينية، لقد انتهى البناء والإنشاء، ونحن نقف اليوم أمام مرحلة التنظيم والعمل، وهذا هو المطروح أمامكم الآن.

إن منظمة التحرير ليست غاية في ذاتها، إن التحرير هو الغاية، والمنظمة هي الأداة وهي الوسيلة، لقد فرغنا من الأداة والوسيلة، وبقي علينا أن نبدأ في تحقيق الغاية، وأن نسير فيها مرحلة بعد مرحلة، معززين بالأمة العربية بأسرها حكومات وشعوباً، وهذا ما هو أمامكم الآن في هذه الساعة فإن الغاية التي نحن هنا معكم من أجلها، هي أن تتيسر لنا جميع الأسباب المادية والمعنوية التي تمكن شعب فلسطين من القيام بدوره التاريخي الكبير في تحرير وطنه.

وتحقيقاً لهذه الغاية المقدسة وضعت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية خطة عامة، وأرفقنا بها مذكرات مفصلة ومدروسة تتناول مختلف جوانب القضية الفلسطينية، العسكرية والسياسية والتنظيمية والمالية والإعلامية، رجاء أن تقرها الدول العربية، فمن الناحية العسكرية أكدت خطتنا ضرورة المبادرة لإنشاء قوات فلسطينية مسلحة ومعسكرات تدريب شعبية وتعزيز الأوضاع العسكرية في القرى الأمامية من فلسطين.

ومن الناحية المالية وضعت الخطة المبادئ الرئيسية لتمويل حركة الكفاح العربي لتحرير فلسطين ضمن إطار شامل، وعلى أسس مالية لا تتناول الميزانيات الرسمية لأن هذا هو شأنكم، ولكنها تتناول موارد الشعوب العربية الكريمة السخية.

ومن النواحي السياسية والتنظيمية والدعائية والإعلامية جددت الخطة بصورة مفصلة طريقة العمل تحقيقاً لهذه الأهداف.

ولقد ذكرت يا سيادة الرئيس الناحية العسكرية أولاً لأن مقترحاتنا بشأنها تؤلف الحد الأدنى لمطالب الشعب الفلسطيني، مطالب الشعب الفلسطيني الذي يستمع إليكم وينتظرنا جميعاً، لأن منظمة التحرير الفلسطينية من غير إنجاز لهذه المطالب في جوهرها تصبح جسداً من غير روح. وبالتالي يصبح وجود اللجنة التنفيذية واستمرارها، بل منظمة التحرير كلها، أمراً لا مبرر له.

ولا أريد الآن في هذه اللحظة أن أتعرض لتفصيلات هذه الخطة فهي بين أيديكم جملة وتفصيلاً، ولكن الذي أريد أن أؤكده لمجلسكم الموقر أن خطتنا تنبع من بديهيات أساسية:

الأولى: إن شعب فلسطين مصمم تصميماً قاطعاً لا ينثني على تحرير وطنه، وهو يعلن بين يديكم الآن استعداده بكل طاقاته وفئاته حيثما كان في مدنه وقراه أو في مخيماته ومعسكراته، لبذل كل طاقاته الروحية والمادية تحقيقاً لهذه الغاية المقدسة.

الثانية: إنه كائنة ما كانت احتمالات الخطة العربية، وقد استمعتم إلى احتمالات متعددة لهذه الخطة العربية من فم القائد العام للقيادة العربية الموحدة، أقول كائنة ما كانت هذه الخطة، وكائنة ما كانت احتمالاتها المتعددة، لا غنى عن شعب فلسطين في تحرير فلسطين، ولا بد لتحرير فلسطين من إعداد شعب فلسطين عسكرياً وروحياً.

الثالثة: إن احتلال فلسطين على أيدي إسرائيل ومن ورائها الاستعمار، فضلاً عما فيه من أخطار مصيرية على الأمة العربية بأسرها، هو أكبر عار لحق الأمة العربية كلها منذ بدأ الإنسان الأول يستشعر معنى العار، لهذا فإن تحرير فلسطين تبعة قومية كبرى تقع على عاتق الأمة العربية بأسرها حكومات وشعوباً، ونحن مستعدون أن نكون طليعتها.

الرابعة: إن قضية فلسطين، من غير انتقاص للجهود السياسية والدعائية، ليس لها في نظرنا حل سياسي أو دبلوماسي لا داخل الأمم المتحدة ولا خارجها.

الخامسة: إن كارثة فلسطين يجب أن تكون عامل وحدة بين الدول العربية. إن كارثة فلسطين يجب ألا تكون عامل فرقة، بل يجب أن تكون عامل وحدة، وحدة حقيقية عميقة الجذور، وحدة وجدان وحدة ضمير، لا وحدة مظهر ووحدة شكل، وحدة تعبئ تعبئة عميقة وصادقة كل طاقات الأمة العربية وكل ثرواتها المادية والروحية في معركة التحرير. وتفرض هذه الكارثة عليكم أنتم المجتمعين حول هذه

المائدة، أن تخرجوا بقضية فلسطين بالنسبة إلى الكيان الفلسطيني بقرار إجماعي، فنسمو بقضية فلسطين عن الاعتبارات الشكلية وعن الاعتبارات الشخصية كائنة ما كانت.

هذه هي الخطة التي تقدمنا بها إليكم وهذه هي بديهياتها الأساسية، وإنها في الواقع لتعبر تعبيراً عميقاً لا عن إرادة شعب فلسطين فحسب بل عن إرادة الأمة العربية جمعاء. أنا لا أتحدث عن إرادة الأمة العربية، عبثاً أو لهواً أو عفواً، وإنما أتحدث حديث العارف، حديث الواثق، ولقد مارست بنفسي الشعار الحبيب «من المحيط إلى الخليج» ما مارسته بالنداء والهتاف، ولكن مارسته بالتطواف والتجوال في الوطن العربي كله، في حواضره وفي بواديه مع الشعب العربي كله في كل مستوياته، في هذه الأشهر الثمانية التي قضيتها في الوطن العربي، وكان آخر مطافنا الإسكندرية ثغرنا العربي الكبير.

وأنا أتحدث عن مشاعر الأمة العربية بعد هذه الزيارات لثمانية أشهر خلت ولا تزال انطباعاتها حية في نفسي، خضراء في فؤادي، فإن كل الأمة العربية مفجوعة على فلسطين متلهفة لتحرير فلسطين، وفي هذه اللحظة التاريخية تعيش معكم الأمة العربية، ويعيش معكم شعب فلسطين، كلهم يعيشون معكم وأجهزة الراديو في مضاجعهم وتحت وسائدهم، في الحواضر وفي المدن وفي القرى، وفي المخيمات، وفي الكهوف، وفي جحيم فلسطين المحتلة. إنهم يتابعونكم ويستمعون إليكم، يستمعون إليكم بأمل وقلق، ولكن بلهفة وشوق، لهفة إلى حمل السلاح، وشوق إلى الكفاح.

لقد انبثق عن مؤتمركم الأول جهازان رئيسيان لتحرير فلسطين. الأول القيادة العربية الموحدة، وقد أسندت إلى رجل كفء يحسن تقدير المسؤوليّة كما شاهدناه في اجتماعنا هذا، لا ينطق عن هوى، إنما ينطق عن مسؤوليّة وهو يريد أن يكون القائد المنتصر لا القائد المتخاذل، ومن ورائه مجموعة متخاذلة متفككة، لا إرادة ولا عزيمة.

هذا هو الجهاز الأول الذي أعددتموه لخوض معركة التحرير، والجهاز الثاني هو منظمة التحرير الفلسطينية.

إن منظمة التحرير الفلسطينية لها دور في تحرير فلسطين لا يقل عن دور القائد العربي، وإذا كانت القيادة العربية الموحدة متكفلة بتنسيق الجهود العسكرية وتوحيدها فإن منظمة التحرير الفلسطينية تعلن على مستوى المسؤولية، أنها مستعدة إذا تيسرت

كل الأسباب، أن تعبئ شعب فلسطين تعبئة ثورية، وروحية ومادية، ليؤدي هذا الدور شعب فلسطين في معركة التحرير.

أمامكم أيها الرؤساء كيان شعب فلسطين كحقيقة واقعة بل إن أمامكم شعب فلسطين بأسره بأرواحه وأمواله نذرها لفلسطين ولتحرير فلسطين، وقد بقي على الدول العربية، الدول العربية جميعها، أن تمد شعبنا الباسل البطل بكل أسباب النصر والتأييد، أن تمدنا بالسلاح وأن تمدنا بالمال وهذا هو حقنا وهذا هو واجبكم، وأرجو أن تصبح نجواكم في فندق فلسطين عهداً وعزماً وعملاً على تحرير فلسطين، وهذا هو الطريق إلى فلسطين.

(٩)

كلمة الشقيري إلى أبناء فلسطين:
في ذكرى وعد بلفور، ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٤

إخواني أبناء فلسطين:

في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩١٧، أصدرت الحكومة البريطانية تصريحاً مشؤوماً عرف بوعد بلفور، أعلنت فيه عن عطفها على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وبعد ثلاثين عاماً من ذلك التاريخ البغيض قامت على أرض وطننا فلسطين ما يسمى بدولة إسرائيل، وبذلك وقع أفدح ظلم عرفته الإنسانية في تاريخها الطويل منذ كان الإنسان الأول إلى يومنا هذا.

ولست أقول ذلك غلواً في المجاز أو إغراقاً في الخيال، فإن الكارثة التي حلت بفلسطين وشعب فلسطين قد تجاوزت كل ما سجل التاريخ القديم والحديث من مظالم ومغارم نزلت عبر العصور بالأمم والشعوب، فما عرف التاريخ، حتى ولا أساطير التاريخ، أن شعباً آمناً وادعاً قد اقتلع من وطنه الأصيل، وأخرج من مدنه وقراه، من مزارعه ومصانعه، وبعيداً عن معابده ومراقد آبائه وأجداده.

وإذا كانت الحكومة البريطانية قد وضعت في مثل هذا اليوم الحجر الأساسي لهذه الكارثة العارمة التي أدت إلى قيام الوطن القومي اليهودي، فإن الحكومة الأمريكية وفي مثل هذا الشهر من عام ١٩٤٧ قد استكملت معالم الكارثة بإقامة دولة يهودية في فلسطين، ولا تزال الأمة العربية تعاني من شرورها ما يملك عليها، كل جوارحها، بل كل آفاق حياتها ووجودها.

ومن حقنا لذلك، أن يكون هذا الشهر من كل عام ذكرى الكارثة بجميع آلامها

وفواجعها نرفع فيه صيحاتنا ونعقد فيه عزائمنا، صيحاتنا في وجه الاستعمار الغربي لأبشع جريمة نكراء ارتكبتها بريطانيا وأمريكا مجتمعتين، وعزائمنا على أن نحرر وطننا السليب مهما تعاظمت التضحيات وتكاثرت المصاعب.

ولسنا نتجنّى على بريطانيا في ما نقول، فقد عملت في خلال ثلاثين عاماً، وبالحديد والنار، على إغراق وطننا بالآلاف من المهاجرين اليهود، وأمدتهم بكل أسباب القوة والمنعة، وجعلت لهم جيشاً مدرباً على التقتيل والتدمير، في حين بذلت قصارى جهدها لإفقار الشعب العربي في فلسطين، وجردته من أسباب الدفاع، ولم تغادر البلاد إلا بعد أن تركت قراه مفتوحة ومدنه عزلاء.

ولا نتجنّى كذلك على أمريكا، فقد وضعت في أروقة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ كل ثقلها وجميع إمكانياتها السياسية والاقتصادية لإنشاء دولة يهودية على أرضنا الطاهرة.

وها نحن نقف اليوم أمام هذه الذكريات الدامية، وقد خلفنا وراءنا تسعة عشر عاماً من الكارثة، تعيش فينا ونعيش فيها ليلنا ونهارنا حيثما كنا في مواطننا أو مهاجرنا.

وإن جيل الرجال والكهول من شعبنا البطل قد عاش هذه الكارثة منذ مولدها في أعقاب الحرب العالمية الأولى، ورافق أحداثها الرهيبة، فشهد اليهود في بلادنا خمسين ألفاً ثم أصبحوا سبعمائة وخمسين ألفاً في عام ١٩٤٧، وإلى أن أصبحوا ما يزيد على مليونين في يومنا هذا.

لقد شهد هذا الجيل ثوراتنا المسلحة على الاستعمار والصهيونية في أعوام ١٩١٩، ١٩٢٠، ١٩٢١، وكذلك في عام ١٩٢٩ ثم شهد الإضراب الكبير الذي امتد ستة أشهر بكاملها ثم الثورة الكبرى التي امتدت من ١٩٣٦ إلى ١٩٤٠.

وشهدت الأجيال المتلاحقة بعد ذلك من عام ١٩٤٢ إلى عام ١٩٤٧ الإرهاب الدموي اليهودي مسلحاً ومدرباً على أيدي الاستعمار، ينزل على شعب أعزل جرده الاستعمار نفسه من كل قوة وسلاح.

وشهدت أجيال أخرى بعد ذلك حرب فلسطين في عام ١٩٤٨ حين كانت القيادات العربية الرسمية على غير مستوى الجد والنضال.

تلك هي معالم الكارثة كما نذكرها في مثل هذا اليوم من كل عام، نذكرها

بالأسى العميق، ولكن من غير ذلّ ولا انكسار، نذكرها بالفجيعة الموجعة ولكن من غير ضعف ولا وهن فلقد كافح شعبنا الباسل عن وطنه المقدس بالأموال والمهج والأرواح.

لقد حملنا السلاح ثلاثين عاماً فسقط منا الشهداء بالألوف، وغصّت بنا المعتقلات والسجون، ودمرت السلطات البريطانية الغاشمة قرانا ومدننا وبيوتنا، وأحرقت مزارعنا ومصانعنا ـ كل ذلك قبل أن تصبح الصهيونية دولة على أرضنا، فلما أصبحت دولة تولتها أمريكا بالرعاية والحصانة وأمدتها بالسلاح والمال، وما تزال.

وفي مثل هذا اليوم، بل وفي كل عام يرسلها الشعب الفلسطيني مدوية صائحة، أننا ما خرجنا من وطننا هاربين ولا جبناء، ولا فرّطنا في أرضنا ولكن تألبت علينا الصهيونية والاستعمار، وهما شر القوى الباغية في التاريخ الحديث وانتهت بنا الكارثة إلى التشريد والتشتت. وكان من أفدح نتائجها أن فقد الشعب كيانه وتراخت الصلة بينه وبين قضيته المقدسة فبات بعيداً عنها وأصبحت بعيدة عنه.

ولكن التاريخ قد انفتح على صفحة جديدة: ففي مطلع هذا العام أقر الملوك والرؤساء في اجتماعهم التاريخي في القاهرة إنشاء الكيان الفلسطيني. وفي شهر أيار/مايو اجتمع المؤتمر الفلسطيني الأول في بيت المقدس في مدينتنا الخالدة، وأعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية تعبيراً عن إرادة الشعب الفلسطيني وتصميمه على تحرير وطنه، وفي أيلول/سبتمبر اجتمع الملوك والرؤساء في الإسكندرية واتفقوا على الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلة للشعب الفلسطيني، واعتمدوا إنشاء جيش التحرير الفلسطيني ليؤدي دوره الطليعي في تحرير الوطن السليب، وبهذا أصبح عام ١٩٦٤ في تاريخ الكفاح العربي عام فلسطين وشعب فلسطين، يشق طريقه بالتنظيم والتصميم بأخوة السلاح ووحدة الكفاح.

ثم تلا ذلك انعقاد مؤتمر الدول غير المنحازة فأعلن تأييده لحق شعب فلسطين في وطنه وكفاحه التحريري ضد الاستعمار والصهيونية.

إخواني أبناء فلسطين

هذا هو سجل العام ونحن نقترب من نهايته أضعه أمامكم لننطلق منه إلى

العمل الدائب والتفكير الهادف والتخطيط الواضح، فلقد ألفنا في مثل هذا اليوم في السنين التسع عشرة الماضية أن نذكره بالتوجع والبكاء، بالخطب والمراثي، بالحداد والسواد. ولكن شؤم هذا اليوم لا يسمح بالدموع والرثاء، ولكن بالكفاح والسلاح.

شؤم هذا اليوم لا يزول بالاحتجاج والاستنكار ولكن بالتصميم والتنظيم، بالتوعية والتعليم، وبالتسليح والتدريب. وها نحن نقف عند هذه الذكرى وأمامنا كفاح ينتظرنا وننتظره، كفاح في ميدان متعدد الجهات، متعدد الأسلحة والأسباب.

أمامنا أولاً وقبل كل شيء جيش التحرير الفلسطيني تعمل منظمة التحرير في هذه الأيام على بنائه وإنشائه. وإن لجنتنا العسكرية هي الآن في اجتماعات متصلة مع القيادة العربية الموحدة في القاهرة لوضع الخطة الكاملة لإعداد شعبنا الباسل لمعركة التحرير. وبعد أن ننتهي من وضع الخطة سنبدأ بإنشاء الجيش في سيناء وغزة وسورية والعراق.

إن إنشاء الجيش هو شغلنا الشاغل ونحن نكرس له كل فكرنا وجهدنا ووقتنا، فإن منظمة التحرير من غير جيش التحرير جسد من غير روح وكيان من غير كيان. ولقد قلتها عالية باسمكم جميعاً في اجتماع الملوك والرؤساء في الإسكندرية: إننا لن نكون في منظمة التحرير من غير جيش التحرير.

ثم يأتي بعد ذلك التنظيم الشعبي. وقد بدأت منظمة التحرير في تنظيم الشعب، فإن إيماننا الذي لا يتزعزع هو أن المنظمة هي الشعب وأن الشعب هو المنظمة. وهانحن آخذون في إنشاء مكاتب تمثل المنظمة لدى الدول العربية وتعنى بشؤون إخواننا أبناء فلسطين.

وإلى جانب ذلك فإن المنظمة ستنشئ قريباً مكاتبها الإعلامية في الخارج مبتدئة بمكتب نيويورك ليساهم إلى جانب الوفود العربية في الدفاع عن قضية فلسطين في الأمم المتحدة.

وفي يوم الشؤم هذا، يعزينا أن خمسة وفود من أبناء فلسطين يطوفون في أرجاء العالم ويشرحون الظلامة الكبرى التي حلّت بشعب فلسطين، ويناشدون جميع الدول المحبة للعدل والحرية أن يؤيدوا كفاح شعبنا البطل في تحرير وطنه الغالي.

هذا هو الميدان الرحيب الذي تضرب المنظمة في كل جهاته، فلن نترك ميداناً واحداً إلا وننازل فيه إسرائيل. إنه كفاح شاق ومرير نبدأه من مهاوي الكارثة، من العدم، ولكننا نبدأه بإيمان وعزم.

لم يكن لنا كيان منذ خرجنا من ديارنا، ولكن هاهو الكيان قد أصبح قائماً. ولقد كان مولده محفوفاً بالمكاره والدسائس، ولكن وعي الشعب وتصميمه قد انتصر في النهاية فقام كيان الشعب وهو الآن حقيقة حية تنبض بكل آمال الشعب.

ومنذ وقعت الكارثة والشعب الأبيّ يطالب بأن يعود زمام القضية إلى يديه. يطالب بالتدريب وبالمال والسلاح، يطالب بأن تهيأ له فرصة الكفاح. وها نحن أخيراً أمام فرصة العمر وجهاً لوجه، فقد أجمعت الدول العربية كلمتها وأخذت نفسها بالعهد الوثيق على أن تستجيب لمطالب الشعب، ومن أجل ذلك فقد أصبحنا أمام مسؤولياتنا القومية، أمام واجباتنا الوطنية وأنا على يقين بأن شعب فلسطين سينهض بمسؤولياته وواجباته. نحن طليعة الأمة العربية لتحرير فلسطين، وستكون أول قوافل الشهداء منا، ومنا سيكون البذل والفداء.

إخواني أبناء فلسطين

إن الاستعمار وأعوانه يقفون لمنظمة التحرير بالمرصاد، لقد أخذوا يناصبونها العداء، إنهم يكيدون لها بالأراجيف وحرب الأعصاب، إنهم يدبرون لها الدسائس والمؤامرات. ولكنهم لن يفلحوا أبداً، ذلك بأن منظمة التحرير ليست أحمد شقيري ولا رفاقه من أعضاء اللجنة التنفيذية، فنحن أشخاص زائلون.

ولكن منظمة التحرير هي الشعب كله، أبناء فلسطين جميعاً، المقيمون واللاجئون، العمال والفلاحون، الطلاب والشباب، الرجال والنساء، وسيكافح الشعب لبقاء المنظمة ونموها كما كافح لقيامها ونشوئها. وإن إسرائيل وهذه إذاعتها وصحفها تكشف عن خباياها، ليسعدها أن ينهدم الكيان الفلسطيني، يسعدها أن تزول منظمة التحرير، يسعدها أن يقضى على جيش التحرير قبل أن يرى النور.

هذا ما تريده إسرائيل وأنصار إسرائيل، ولكن الأمة العربية قد قالت كلمتها وأجمعت أمرها فسيحيا كيان فلسطين لأهل فلسطين وستظل منظمة التحرير ومعها جيش التحرير في خدمة الهدف الكبير. التحرير وتقرير المصير.

في هذا اليوم المشؤوم من هذا العام الذي ينبض بالحياة والحركة، نحس لأول مرة، بعد تسعة عشر عاماً من النكبة أننا نتجمع، نحس أننا نتهيأ وأننا نستعد لليوم الكبير، للزحف إلى فلسطين. إلى الوطن الحبيب.

هذا هو شعارنا العظيم في هذا اليوم المشؤوم، وإنا على موعد مع النصر، والنصر على موعد معنا، وسنعود إلى فلسطين وتعود فلسطين إلينا.

(١٠)

كلمة الشقيري في افتتاح إذاعة فلسطين في القاهرة، ١ آذار/مارس ١٩٦٥

باسم الله العلي القدير، ناصر الحق وهازم الباطل.

باسم شعب فلسطين الثائر، المتلهف لحمل السلاح، المتحفز للكفاح، لتحرير وطنه.

باسم الأمة العربية المناضلة لاستكمال حريتها وسيادتها واستقلالها في الوطن العربي الكبير.

باسم الحرية الإنسانية الزاحفة في مسيرتها الظافرة، لا تعرف جنساً ولا لوناً ولا أرضاً.

باسم هذا كله، افتتح إذاعة منظمة التحرير، من القاهرة حاضرة العرب الكبرى.

ومنذ هذه اللحظة التاريخية، ينطلق على أمواج الأثير، صوت فلسطين صوت الكفاح والنضال لا سترداد الوطن السليب.

سينطلق هذا الصوت، إلى أهل فلسطين، في المدن والقرى، في ما بقي من فلسطين، وهم يبرون أمامهم مرابعهم الجميلة، متحفزين لإجلاء العصابة الدولة، والدولة العصابة بكل ما يملكون من المهج والأرواح.

سينطلق هذا الصوت، إلى العائدين، الرابضين في الخيام، المرابطين في الكهوف ما هدّهم البؤس والحرمان، بل زادهم على مر السنين إيماناً على إيمان.

سينطلق هذا الصوت إلى أبناء فلسطين في سوريا ولبنان والعراق والسعودية والكويت وحيثما كانوا في دنيا العرب وفي المهاجر، يتطلعون إلى الزحف المقدس بإرادة ماضية وعزيمة صادقة..

سينطلق هذا الصوت إلى فلسطين المحتلة، ومن فيها من رجالنا ونسائنا وشيوخنا وشبابنا وأطفالنا، المقيمين على العهد، الصابرين المصابرين، التائقين إلى الوعد واللقاء، اللقاء مع السلاح، والموعد مع النصر.

وسينطلق هذا الصوت كذلك، إلى الأمة العربية جمعاء، في حواضرها وبواديها، من المحيط إلى الخليج، فكلنا في المعركة سواء، نلقي في الميدان بكل الطاقات والعزمات.

إلى هؤلاء جميعاً، سترسل هذه الإذاعة، صيحاتها الهادرة، وأصواتها الثائرة لتهز الأسماع كل الأسماع، والقلوب كل القلوب، فها قد انقضى تسعة عشر عاماً وشعب فلسطين يتحدث بالهمسات والحسرات، في الكهوف وبين الحجرات، حديثاً شارداً كتشريده، حائراً كتشتيته.

ولكن منذ هذا اليوم، سيطلق الشعب البطل، شعب فلسطين، إلى الفضاء الرحيب إلى أرجاء الوطن العربي الكبير، كل آماله الزاخرة، وآلامه المتوثبة، يبعثها عالية مدوية بنبرته ولهجته، بل بغضبته وثورته.

وإذا كانت الإذاعة، أي إذاعة، حاجة قوية ملحّة، في حياة الأمة المستقرة في وطنها، الآمنة في ديارها، الرافلة في نعماء الحرية والسيادة والاستقلال، فإنها أدعى وأوجب، بل إنها أحتم وألزم، لأهل فلسطين وقد تمزق جمعهم، وتشتت شملهم، وتباعدت ديارهم ومنازلهم، لهذا أصبح لا بد لأهل فلسطين من إذاعة تتلاقى أرواحهم حولها، وتتجمع أسماعهم على أخبارها وأحاديثها، وبهذا يلتقي الشعب دوماً على آماله، ويحيا مع وطنه ويظل مشدوداً إليه بروحه ووجدانه يعيشه بعقله وضميره، وقدماه على عتبات الكفاح.

وإن السبيل إليكم يا إخواني أبناء فلسطين، هو هذا المذياع القائم أمامي الآن، يناجيكم وينابيكم، يتحدث إليكم، بأمانيكم وآمالكم، في ليلكم ونهاركم في المنازل والأكواخ، في الخيام وفي الكهوف، في المصانع والمزارع، في المكاتب والمعاهد، وليدعوكم جميعاً إلى تحقيق شعاراتنا الثلاثة، إلى الوحدة الوطنية، إلى التعبئة القومية، وإلى التحرير.

وهكذا يعيش معكم هذا المذياع، على ذكر فلسطين، وتعيشون معه على ذكر

فلسطين، فإن فلسطين عندنا هي كل جوارحنا، بل هي كل حياتنا، نحيا لها، ونموت من أجلها.

واعلموا يا إخواني أبناء فلسطين، أن إذاعتكم هذه ستكون إذاعة ثورية، جديرة بأمة ثورية، لها قضية ثورية:

أخبارها: أولاً أخبار فلسطين وشعب فلسطين، دائماً وأبداً، حتى تظل قضيتنا المقدسة ملتهبة الحياة، مشتملة الوجود، متوهجة النضال.

أحاديثها: مجابهة الاستعمار، وعميلته الصهيونية العصابة الدولة، وفضح مناوراته ودسائسه وتعزيز للحق في كل ميدان، وتنديد بالباطل في كل مجال.

القصة فيها: سيرة شعب فلسطين في بطولات الفلاحين، وبسالة العمال، وأمجاد الشهداء من الرجال والنساء، من الشباب والطلاب، لنجدد هذه السيرة ونحن أشد نظاماً وأقوى عزماً.

الشعر فيها: التغني بمرابع الوطن الفاتنة، وخمائله الرائعة، بأغواره وأنجاده، بوهاده وجباله بشواطئه وأنهاره، بالكروم التي أنشأها الآباء، والحدائق التي غرسها الأجداد، بالمدن التي بنتها أكتاف الرجال، بالقرى التي أنشأتها سواعد الشباب أجيالاً بعد أجيال.

الرواية فيه: مسرحية التحرير كما نريدها حقيقة حية نابضة، أبطالها رجالنا ونساؤنا وشبابنا، حوارها التوعية والتوجيه، ومشهدها التعبئة والتنظيم، وختامها ﴿**نصر من الله وفتح قريب**﴾[1].

الغناء فيها: صيحات المجاهدين وتكبيرات المناضلين، لا بكاء ولا رثاء ولا ذل ولا انكسار، النغم عزم والإيقاع اندفاع، واللحن هادر ثائر.

هذه هي إذاعتكم يا أبناء فلسطين، لن تكون تسلية ولا لهواً ولا عبثاً، فحرام علينا اللهو والعبث ونحن في غير فلسطين.

هكذا ستكون إذاعتكم في يومنا هذا، وهكذا ستكون مناهجها، أما في الغد القريب المرتقب، فستنهض إذاعتكم بأخبار جيش التحرير، بأخبار المعركة من أرض المعركة.

وإني إذ أفتتح هذه الإذاعة باسم منظمة التحرير، إنما أفتتح جبهة رئيسية في

---

(١) **القرآن الكريم**، «سورة الصف،» الآية ١٣.

الميدان الكبير، ميدان التحرير، وإنها لجبهة حقاً، لها استراتيجية ذكية، ولها سلاحها وعتادها.

وان معركة التحرير متعددة الجبهات، متنوعة الأسلحة، كثيرة المقاتل، وفي زماننا هذا لم يعد القتال فارساً لفارس، ولا حتى جيشاً لجيش، ولكن القتال اليوم، هو أمة بكاملها أمام أمة بكاملها، بكل طاقاتها وإمكانياتها، تقاتل بالكلمة المرسلة كما تقاتل بالقذيفة الموجهة.

ولقد اخترع الإنسان أفتك الأسلحة وأشدها تدميراً، على الأرض وفي البحر والفضاء ولكن هذا الإنسان لم يستطع، ولن يستطع، أن يجد سلاحاً أمضى من الكلمة، وستظل الكلمة في قداستها وسحرها، وأثرها وخطوها، أقوى ما في الوجود على مر الزمان والأجيال.

وهذه هي الرسالات والنبوات، والحروب الاستقلالية والحركات التحررية كلها بدأت بالكلمة، ومن أجل ذلك فإن هذا المذياع الصغير أمامي، وذلك الراديو الصغير بين أيديكم، يؤلفان قوة هائلة في معركة التحرير، فإن الكفاح، لابد فيه من الأرواح قبل السلاح، فكم من أمة في الحربين العالميتين الماضيتين، شهدناها تستسلم وهي كاملة السلاح والعتاد، وكم من أمة انتصرت وقد قاربت على النفاد من السلاح والعتاد.

ويكفينا أن نذكر، أن العدوان الثلاثي على مصر، قد استهدف في طليعة ما استهدف أن يضرب أبراج صوت العرب، من الجو، جاعلاً منها هدفاً عسكرياً يجب تدميره حتى تخرس تلك النبضات الحية الدافقة، بين القاهرة والأمة العربية.

بل علينا أن نذكر كذلك أن الأحداث العسكرية، داخلية وخارجية، تبادر أول ما تبادر أن تضع يدها على دار الإذاعة حين تضع يدها على المنشآت الحربية.

تلك هي الكلمة بكل أبعادها وأعماقها، وستكون إذاعتكم يا أبناء فلسطين، كلمة الثورة والنضال، كلمة التحرير والكفاح، سنظل نرددها ونجسدها، بعناد وإصرار حتى يكتب الله لنا النصر.

ويومئذ سنحمل معنا، مذياعنا هذا، ومعه شعرنا وغناؤنا ونشيدنا وقصصنا إلى فلسطين الحبيبة، إلى متحف النصر إلى متحف التحرير، يرونه بعيداً ونراه قريباً وكل آت قريب.

(١١)

كلمة الشقيري في افتتاح الندوة العالمية للاتحاد العام لطلاب فلسطين في القاهرة، ٣١ آذار/مارس ١٩٦٥

أيها الأصدقاء والرفاق:

سارعت في العودة من بكين، عاصمة الشعب الصيني العظيم، لأصل إلى القاهرة قلعة النضال العربي، وأبادر للترحيب بكم، باسم منظمة التحرير الفلسطينية الممثلة لإرادة الشعب الفلسطيني في كفاحه لتحرير وطنه.

وإنه ليطيب لي أن أوجه إليكم أجمل عبارات التحية وأصدق مشاعر التقدير والامتنان لتلبيتكم دعوة الاتحاد العام لطلبة فلسطين، فالاتحاد إحدى القواعد الشعبية لمنظمة التحرير، والطلاب هم الذين ينتظرهم المستقبل القريب لحمل أمانة النضال العربي لاستكمال السياسة وتحقيق الوحدة العربية الشاملة.

ولقد كانت فكرة جليلة حقاً أن تنعقد هذه الندوة لدراسة مختلف جوانب القضية الفلسطينية وأن يدعى إليها هذه النخبة الممتازة من رجال الفكر الحر في عالمنا المعاصر، وفيهم من ساهم في تأييد الحركات التحررية في آسيا وأفريقيا وأمريكيا اللاتينية.

ويزيد من أهمية هذه الندوة أن تنعقد بعد قيام منظمة التحرير الفلسطينية وتجمع الشعب الفلسطيني على قضيته، وانطلاقه لتنظيم صفوفه، وإعداد طاقاته وكفاءاته القومية لخوض معركة التحرير معززاً بجهود الأمة العربية حكومات وشعوباً.

ولهذا فإن دراساتكم وأبحاثكم لن تكون مكرسة للعلم وحده، على جلاله وقدره، فلستم أمام مسألة أكاديمية ولكنكم ستجدون أنفسكم أمام قضية حية، تفور بالآمال والآلام، وراءها شعب عريق أخذ الآن يهيئ نفسه للكفاح المسلح من أجل تحرير وطنه واسترداد حريته وكرامته الإنسانية.

وإنكم تعلمون أن قضية فلسطين قد شغلت أذهان العالم الدولي زمناً طويلاً، فقد

تعاقبت على بحثها عصبة الأمم ومنظمة الأمم المتحدة، وتناولتها بالدرس المستفيض عشرات من اللجان البرلمانية والدولية والفنية كما ناقشها كثير من المؤتمرات الدولية، العالمية والإقليمية، وانطلقت من أجلها أقلام المئات من الكتاب والساسة والقادة العسكريين. ولعلّني لا أكون مبالغاً إذا قلت إن ما كتب عن قضية فلسطين يؤلف مكتبة بكاملها، لم تظفر بمثلها أية قضية دولية في تاريخنا الحديث. وخلال عملي في الأمم المتحدة تسعة عشر عاماً متوالية، لم أجد قضية أغرقت سجلات الأمم المتحدة أكثر من قضية فلسطين إلا موضوع نزع السلاح. ومع هذا فإن قضية فلسطين ما تزال في حاجة إلى مزيد من البحث والدرس، ومزيد من التأليف والنشر، ذلك لأن الكثير مما كتب ونشر قد طمس معالم الحق. وليس سراً أن الاستعمار والصهيونية وإسرائيل قد عبأت جهوداً هائلة وأموالاً وافرة لإبراز وجهة النظر الإسرائيلية وحجب وجهة النظر العربية.

وأكثر ما تجلت هذه الظاهرة الرهيبة في العالم الغربي، في الصحافة والإذاعة والتلفزيون، وفي المؤسسات البرلمانية حيث ينشط أنصار الصهيونية في تأييد إسرائيل وتجاهل حق العرب في فلسطين، حتى بدا أن حرية النشر في العالم الغربي بالنسبة لقضية فلسطين، لها معنى واحد وهو الحرية في تأييد الباطل والتنديد بالحق، وأن هذا الذي يسمي نفسه بالعالم الحر يفهم الحرية على أنها حرية الكذب والتضليل من غير مبالاة بالقيم الإنسانية والمثل العليا.

ولذلك كان من الطبيعي أن تنعقد هذه الندوة تطلعاً إلى العقول الحرة، والضمائر الحية، وإلى أصحاب الأقلام الذين كرسوا أنفسهم للبحث عن الحقيقة المطلقة، بعيداً عن مغريات الصهيونية والاستعمار.

ومن هنا جاءت القيمة الأدبية الرفيعة لهذه الندوة التي اجتمعتم لها من كل أنحاء الأرض، لتتدارسوا في ما بينكم قضية فريدة، ليس لها مَثَل في التاريخ الإنساني في كل ما عرفه من أحداث دامية، وسجله من كوارث رهيبة، قضية شعب آمن مسالم، اقتلع من وطن آبائه وأجداده، وكل ذنبه أنّه يريد أن يعيش في وطنه، كما تعيش الشعوب في أوطانها، آمنة مطمئنة، متمتعة بحريتها وسيادتها واستقلالها.

ولا أريد أن أضع أمامكم الآن، تاريخ هذه القضية، وما رافقها من تطورات ومضاعفات، فستجدون أمامكم دراسات مستفيضة، تتسم بروح البحث العلمي، ولكني أريد أن أؤكد لكم بما لا يرقى إليه الشك، أن قضية فلسطين لا تستند إلى العواطف القومية فحسب، ولكن وراءها فيضاً زاخراً من واقع التاريخ، والحق الطبيعي، ومبادئ القانون الدولي، وشرعة العدل والإنصاف، ففيها يلتقي العلم والحق، يعززهما تنظيم لا ينثني، عزمت عليه الأمة العربية وفي طليعتها شعب فلسطين، من أجل تحرير الوطن السليب.

أقول هذا أمامكم، وعلى أمواج الأثير، ليكون واضحاً وقاطعاً أن تحرير فلسطين هو أكبر أهداف الأمة العربية، عليه يتوقف مصيرها ووجودها، ومن أجل ذلك فإنه لا يمثل أنصاف الحلول، ولا يخضع لتسويات تقوم على أساس المساومة أو سياسة الأخذ والعطاء.

وليس هذا الموقف نابعاً من عاطفة متطرفة وإنما أملاه التفكير الهادئ، والحساب الدقيق لحياة الأمة العربية في حاضرها ومستقبلها القريب والبعيد.

وإن هذا التحديد الواضح لموقفنا، هو تحديد مسؤول، أعلنه باسم منظمة التحرير الفلسطينية، نيابة عن شعب فلسطين، وتشترك معنا في كل مسؤولياته الأمة العربية جمعاء. ويستند هذا الموقف إلى حقيقة تاريخية هي أن فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير، وأن شعبها جزء لا يتجزأ من الأمة العربية، ولذلك فإن قيام إسرائيل على تراب فلسطين وإجلاء أهلها الشرعيين إنما هو عدوان صارخ على شعب فلسطين وعلى الأمة العربية، وأن دفع هذا العدوان وتصفية آثاره لا بد فيه من الكفاح، كفاح السلاح.

وفي خلال التسعة عشر عاماً الماضية دخلت قضية فلسطين في غمرة واسعة من مناقشات الأمم المتحدة على غير طائل، فزاد ذلك من إيمان الأمة العربية بأن قضية فلسطين ليس لها حل سياسي أو دبلوماسي داخل الأمم المتحدة أو خارجها، وأن حرب التحرير هي الطريق الوحيد لإعادة الوطن إلى الشعب، وعودة الشعب إلى الوطن.

وإني أحذر أن يظن أحد أن النزاع بيننا وبين إسرائيل يقوم على أساس عنصري أو كراهية دينية أو صراع عقائدي أو خلاف على حدود ترسم هنا أو هناك، فإن النزاع أعمق من ذلك كله، وأكثر أبعاداً وآماداً.

إن النزاع مع إسرائيل يتصل بوجود إسرائيل، فنحن نرى، عن حق وتصميم، أن وجود إسرائيل في حقيقته وجوهره باطل من أساسه، وأنه يجب أن يزول من جذوره كما زال الوجود الاستعماري في كثير من أقطار آسيا وأفريقيا وأمريكيا اللاتينية.

بل إن قضية فلسطين أشد هولاً من جميع القضايا الاستعمارية التي ابتليت بها الشعوب المضطهدة: فإن التمييز العنصري في أفريقيا الجنوبية، وهو المشكلة التي هزت الضمير العالمي، قد ترك الشعب في وطنه، أما في فلسطين فإن الشعب قد اقتلع من وطنه. وستشهدون يوم زياراتكم مخيمات اللاجئين أبشع ظلم حل بالإنسان منذ كان الإنسان، كما ستشهدون هول الكارثة التي أنزلتها كل من بريطانيا والولايات المتحدة بهذا الشعب البطل.

وهاتان الدولتان تعلنان إلى هذا اليوم أنّ إسرائيل وجدت لتبقى، ونحن نعلن من جانبنا أن لا مكان لإسرائيل في وطننا، وعلى الذين يريدون لإسرائيل البقاء، أن

يحملوها على أكتافهم من جذورها ويغرسوها في أوطانهم، فإن وطن العرب للعرب.

ذلك هو موقفنا الذي لا نحيد عنه، فلسطين لنا ونحن لها، طال الزمن أو قصر، وما إسرائيل إلا غزوة من الغزوات التي اجتاحت فلسطين على مر التاريخ ثم زالت أو أزيلت، وهذا هو منطق الثوار الأحرار، منذ كان الثوار الأحرار في هذا العالم. هذا هو منطق الثورة الافرنسية منطق الثورة الدستورية الإنجليزية، منطق الثورة الأمريكية، منطق الثورة الروسية، منطق الثورة الصينية، ولكن الغرب قد خان ثوراته. وقضية فلسطين تقع في صميم هذه الروح الثورية الإنسانية، كما تقع في صميم المفاهيم التحررية التي تمضي في مسيرتها المناضلة نحو النصر.

ونحن أمة سلام، ولكن لا سلام مع إسرائيل وفيها تتمثل النازية بأبشع صورها. نحن نؤمن بالتعايش السلمي، ولكن لا تعايش مع إسرائيل وفيها تجمعت عوامل الاستعمار والتمييز العنصري بأقبح مظاهره.

ونحن نؤمن بالمفاوضات، ولكن لا مفاوضات مع إسرائيل، فالشعوب لا تفاوض على أوطانها ولا تساوم على حريتها وسيادتها.

ونحن نؤمن بحق الشعوب في تقرير مصيرها، ولكن إسرائيل أشتات من مواطني جميع الدول، يقررون مصيرهم في مواطنهم الأولى.

ونحن نؤمن بالفكر الحر والحركات التقدمية، أمّا الصهيونية فهي حركة عدوانية عنصرية تعصبية، لا بد أن تلاقي المصير الذي لقيته النازية والفاشستية سواء بسواء.

تلك هي المعالم الرئيسية لقضية فلسطين كما يراها شعب فلسطين ومعه الأمة العربية جمعاء، وكما تراها معنا الشعوب الحرة المناضلة، المتطلعة إلى عالم يسوده الحق والعدل، والسيادة الوطنية وكرامة الإنسانية.

وإننا على ثقة بأن ندوتكم وفيها هذا العدد الوافر من أعلام الفكر وأحرار الضمير ستكشف عن جوانب الحق والعدل في هذه القضية التي طال عليها الظلم والعدوان.

ونحن الأمة العربية وفي طليعتها الشعب الفلسطيني، سيقع على أكتافنا الشرف الكبير في أن نحمل دراساتكم من الندوة إلى الميدان، إلى ميدان الشرف والنضال. وإن الحرية الإنسانية وحدة لا تتجزأ، وكلنا نشترك في حمل أمانتها السامية، أنتم رواد الحق، ونحن طلائع التحرير. والنصر محتوم كالقدر. ومن أجل هذا الهدف المقدس، سنحمل السلاح، وسننتصر، وموعدنا في فلسطين.

(١٢)

كلمة الشقيري في افتتاح المؤتمر الأول لعمال فلسطين المنعقد في غزة في ١٤ نيسان/أبريل ١٩٦٥

باسم الله العظيم القاهر

باسم رسوله المهاجر الثائر

باسم شعب فلسطين بعزمه الهادر وإيمانه العامر

أفتتح هذا المؤتمر، مؤتمر عمال فلسطين، ينعقد على هذه التربة الغالية من أرض فلسطين، وقد نذرنا أنفسنا جميعاً، أن نكون الطلائع الثورية الشعبية، نحمل الأمانة الكبرى، أمانة الكفاح، ونجاهد لتحقيق الهدف الأقدس، تحرير فلسطين الوطن السليب.

ومن غير ديباجة ولا مقدمة، قفزت إلى هدف التحرير، لأنّني أعلم علم اليقين أنكم اجتمعتم اليوم، لتنظيم صفوفكم ولا يحدوكم إلا هدف واحد، ليس لكم سواه، ألا وهو تحرير فلسطين.

وأرى لزاماً عليّ بادئ ذي بدء، أن أحييكم جميعاً وفداً وفداً، وتحيتي الأولى إلى الوفود العمالية من الدول الصديقة، تحية مملوءة بالحب والتقدير والإعجاب فقد تجشموا مشاق السفر إلى هذه المدينة العربية الأصيلة، ليروا جانباً من تمزيق الوطن وتشتيت الشعب، والعمال حيثما كانوا أنصار الحرية حيث كانت، فالحرية الإنسانية وحدة لا تتجزأ، وما انبثقت الحركة العمالية إلا صوتاً للحق ودفاعاً عن العدل، وقضية فلسطين هي صفوة الحق والعدل.

وأحيي كذلك التنظيمات العمالية العربية، والاتحادات الاشتراكية، والجبهات التحررية، وقد تنادت من الوطن العربي الكبير لشهود هذا المؤتمر العتيد، فإن تحرير

فلسطين لا يقع على عمال فلسطين ولا على شعب فلسطين فحسب، ولكنه واجب العروبة الأول تحمله الأمة العربية كلها، وفي طليعتها ثوارها الأحرار، وشعبنا طليعة الطليعة.

وختام التحية إلى عمال فلسطين أحييهم جميعاً، عمال القطاع وعمالنا القادمين من الوطن العربي الكبير، وعمالنا الوافدين من الأقطار الأجنبية، فإذا كانت الكارثة قد ذهبت بنا كل مذهب، وشردتنا تحت كل سماء وكوكب، فإن التحرير يجمعنا مهما طال الزمان وتباعدت الديار.

وإن هذا المؤتمر يثير كثيراً من الذكريات، ذكريات النضال والكفاح في فلسطين، فليس مؤتمركم هذا بداية الوجود لعمال فلسطين، ليس هذا اليوم هو مولد الحركة العمالية لأبناء فلسطين.

صحيح أن مؤتمركم هذا هو المؤتمر الأول، ولكنه الأول بعد الكارثة، فلقد نشأت الحركة العمالية في فلسطين، أيام كنا في فلسطين، وإن بينكم من عمال فلسطين، من رافق هذه الحركة وساهم في نشاطها، وإن ننسَ فلا ننسى منظمات العمال في حيفا ويافا وعكا والناصرة وطبريا وصفد وبيسان وبئر السبع. وأنا أذكر الآن مدننا الغالية في الوطن السليب، نذكرها ولا ننساها، وكيف ننسى ماضينا المجيد في ديارنا، ونحن أمة لنا ماض عريق أصيل، في وطن عريق أصيل. وعلينا أن نذكر كذلك أن عمالنا في فلسطين كانوا دائماً وأبداً يعيشون لفلسطين، لقد كافحوا طويلاً من أجل عروبة فلسطين، لقد وقفوا مع الشعب كله، مع الفلاحين والمثقفين، مع الطلاب والشباب، مع أصحاب المصانع والمعامل، ناضلوا جميعاً للحفاظ على الوطن، غصت بهم المعتقلات والسجون، حملوا السلاح في الساحات والميادين، في الجبال والوديان، في المدن والقرى، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا.

ذلك كان دور جماهير العمال في فلسطين أثناء الانتداب البريطاني، سيرة بطولات رائعة، وبسالة ماجدة، امتدت ثلاثين عاماً، ما عرف العمال فيها كللاً ولا مللاً، كفاح ضد بريطانيا ونضال ضد الصهيونية، فما وهنت عزائمهم ولا تقاعست إرادتهم، شأنهم في ذلك شأن الشعب، فما أعظم هذا الشعب وما أعظم عمال الشعب.

وأنا أثني على العمال بكل جدارة واستحقاق، بكل تقدير وإعجاب، والذين هم في مثل عمري من أهل فلسطين، يذكرون بطولة بحارة يافا عام ١٩١٩، لقد تفتحت آذاننا في ذلك العهد على دوي القنابل يفجرها بحارة يافا، يفجرونها في وجه

المهاجرين اليهود الوافدين على أرضنا تسندهم الحراب البريطانية، وبهذا كان بحارة يافا أولى طلائع الثورة في فلسطين، ضربوا المثل الأعلى في التضحية والفداء.

ثم تعاقبت السنون، والشعب الفلسطيني يشنها ثورة بعد ثورة، ينازل القوات البريطانية بكل إيمان وعزم، حتى جاء الإضراب الكبير عام ١٩٣٦، هذا الإضراب الذي امتد ستة أشهر بكاملها، توقفت خلالها كل مرافق الحياة، الإضراب التاريخي الذي لم يشهد له التاريخ مثيلاً في جميع الحركات التحررية في العالم، ذلك الإضراب كان للعمال فيه نصيب كبير، فتحملوا تبعاته بأرزاقهم وما أضيقها، وبأرواحهم وما أعزها وأغلاها.

هذا هو التراث الكريم لعمالنا في فلسطين، وهذا هو سجل كفاحكم ونضالكم يا عمال فلسطين، ومن أجل ذلك فإن مؤتمركم هذا وراءه تاريخ حافل مجيد، إن مؤتمركم هذا هو امتداد لنضال عمالي طويل، وإذا كان الحزن يملأ قلوبنا أن بين الماضي والحاضر تسعة عشر عاماً من الفراغ المرير عاشها عمال فلسطين، كما عاشها شعب فلسطين بعيداً عن قضيته، لا يمارس نشاطاً بل لا يمارس وجوداً، فإننا اليوم نتطلع بالأمل والثقة والعزم إلى الحاضر، نربطه بالماضي ونشده إلى المستقبل، فنتدافع إلى التنظيم والإعداد، إلى التدريب والتجنيد، إلى السلاح والكفاح، فذلك كله هو الطريق إلى فلسطين.

وفي هذا الطريق، طريق الكفاح والنضال، درب عريض لعمال فلسطين، يسيرون جنباً إلى جنب وكتفاً إلى كتف، بل قلباً إلى قلب مع جميع أبناء فلسطين، ليؤدوا ضريبة البذل والفداء، بالمهج والأرواح، ذلك هو ميثاق منظمة التحرير: سلاح وكفاح.

وإن منظمة التحرير تفتح أبوابها على مصراعيها لجماهير العمال، كما تفتح أبوابها لجميع أبناء الشعب، فليست المنظمة برئيسها ولا بأعضائها، ولكنها لكم جميعاً، فالمنظمة للشعب، والشعب هو القاعدة الكبرى للمنظمة.

ومن أجل هذا فإني أعلن لمؤتمركم أن جميع ميادين النشاط القومي ميسرة بين أيديكم. إن أبواب جيش التحرير مفتوحة أمامكم، إن معسكرات التدريب مهيأة لكم، ونحن معكم في المجالات العالمية، في الحركات العمالية الدولية، انطلقوا إليها إننا معكم لمنطلقون. ولو أن مؤتمركم هذا قد انعقد منذ أسابيع، لوجب أن يكون أحد ممثليكم رفيقي إلى الصين، في تلك الزيارة التاريخية الناجحة، ولا بد لي أن أذكر في هذا المقام بأن قادة العمال في الصين قد أعربوا عن تأييدهم لكفاحنا من أجل تحرير فلسطين، وإني لعلى ثقة بأنّ وفود الدول الصديقة ووراءهم شعوبهم

هم معنا في نضالنا، فإننا تجمعُنا وإياهم رفاقة الكفاح وزمالة السلاح.

وإني واثق بأن مؤتمركم هذا سيضع الأساس المتين، في التنظيم العمالي الكبير الذي نتطلع إليه بكل أمل ورجاء، إنكم تمثلون قطاعاً كبيراً من الشعب الفلسطيني، وإني أدعوكم إلى ثلاث، هي شعاراتنا الوطنية في ميثاقنا التاريخي: أدعوكم إلى الوحدة الوطنية، وحدة الهدف، ووحدة الصف، فإن معركة التحرير ترفض الخلاف والشقاق، بل إن معركة التحرير تأبى الجدال، إن معركة التحرير تسمو عن القيل والقال، إن الوحدة الوطنية هي مفتاح النصر، ولا نصر إلا بالحرب الجماعية، فلا نحارب زرافات ووحداناً، ولا شرازم وشيعاً، ولا أحزاباً وأشتاتاً، ولكن نحارب شعباً واحداً وقلباً واحداً.

و أدعوكم إلى التعبئة القومية، نضع في الميدان كل طاقاتنا الروحية والمادية، فإن عدونا مسلح منظم ووراءه الاستعمار بكل مكائده ودسائسه، بكل زبانيته وعماله، ومعه الرجعية بكل أراجيفها وأموالها، وعلينا أن نعبئ كل إمكانياتنا في المعركة، وأن يكون عيشنا بعد اليوم إعداداً للنضال واستعداداً للقتال.

وأدعوكم أن يكون هدفنا الأول والأخير، التحرير ثم التحرير، فلا يشغلنا عنه شاغل، فالأمة التي سلبت وطنها وأخرجت من ديارها، تنام وتستيقظ على التحرير، تسمو إلى مستواه بالقول والفكر والعمل، فالتحرير قدس الأقداس، وهو القبلة والمحراب.

هذه هي شعاراتنا، نؤمن بها، ونعمل لها، وندعو إلى تحقيقها.

إخواني العمال:

لقد اجتمعتم اليوم في غزة، أما في غدنا المرتقب، فنحن على موعد في فلسطين، فما أعظم الموعد وما أسعد اللقاء..

(١٣)

خطاب الشقيري في ذكرى النكبة في ١٥ أيار/مايو ١٩٦٥ في جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسوله الأمين

باسم الله العلي القدير . . . وباسم نبيه محمد الثائر المهاجر. افتتح باسم الله . . لأن الله هو القوة وهو الحق . . لأن القوة من أسمائه والحق من صفاته، ونحن في يومنا هذا ما جئنا لحفلنا هذا للبكاء ولا للرثاء.

ما جئنا في يومنا هذا إلى حفلنا هذا للندب أو العويل أو لنرسل الكلام دمعا والشعر بكاء فإن الوطن لا يسترد بالبكاء وأن الأرض لا تستنقذ بالرثاء وإنما اجتمعنا هنا في قلعة العرب الكبرى، اجتمعنا لا لنرسل الحسرات والزفرات على وطن ضائع وعلى حظ عاثر وعلى ماض للنكبة مرير سرت أقداره إلى كل قلوبنا وفي أفئدتنا وأصبح الشهر الحزين لهذا الشعب لـ سبعة عشر عاماً طوالاً في الكهوف وفي الخيام، ما اجتمعنا من أجل الندب والرثاء، لكننا اجتمعنا هنا لنتعاهد على القوة والعزة سبيلاً إلى تحرير فلسطين.

وافتتح باسم محمد بن عبد الله ذلك له لأنه وطن مسراه ووطن معراجه يذكرنا بجلائل شمائله وما أكثرها وبعظيم صفاته وخلاله وما أوفرها وأعزها، ولكن في يومنا هذا وفي عامنا هذا علينا أن نستذكر أول ما نستذكر . . أن محمداً بن عبد الله كان الرسول الثائر المهاجر وهذا هو يوم الشعب الثائر المهاجر.

وليس لنا أن نتساءل فيمَ ثورة هذا الشعب الثائر؟ ليس لنا أن نتساءل فيمَ هجرة هذا الشعب المهاجر؟ فإن سبعة عشر عاماً من النكبة لتشتت شعبنا تحت كل سماء وكوكب.

إن سبعة عشر عاماً من هذه النكبة تجيب عن سؤالنا هذا: فيمَ ثورة الشعب الثائر وفيم هجرة الشعب المهاجر؟

في مثل هذا اليوم منذ سبعة عشر عاماً تجمعت العصابات اليهودية في وطننا... في مرابعنا وفي مدننا التي بنيناها أجيالاً بعد أجيال.. في عكا بمروجها وفي حيفا والأمواج تضرب شواطئها حنيناً إلى الأهل وحنيناً إلى الإخوان... في يافا بأزاهيرها وشذاها في اللد وفي صفد برباها الشامخة وفي بيسان بكرومها بنخيلها وفي كل شبر من أرجائها، في كل بقعة غالية من بقاعها مدّ الإجرام الصهيوني سيادته وسلطانه على ديارنا. سبعة عشر عاماً وكل ربوة من رباها وكل جبل من جبالها يضج بالحنين والشوق إلينا ونحن نضج بالحنين والشوق إليها.. وليس علينا غير أن تعصر قلوبنا عواطف الشوق والحنين إلى الديار، فلنا أسوة في رسول الله، لنا أسوة حسنة في محمد بن عبد الله حين كان مهاجراً إلى المدينة المنورة وقد جاءه أصيل الفغاري من مكة يحدثه عن بطاحها يحدثه عن سهولها وجبالها يحدثه عن أهلها وبطونها وأرجائها والرسول يبكي شوقاً إلى مكة وحنيناً إلى مكة، فيقول: «قف يا غفاري لا تشوقنا يا غفاري فإن الوطن هو الحبيب إلينا». لنا أسوة بمحمد بن عبد الله... إذا كانت عيناه قد دمعت حنيناً إلى الوطن وإلى الديار فلا ضرر علينا أن تعصف بنا عواطف الحنين إلى الوطن والشوق إلى الوطن، ولكننا في حنيننا هذا وفي يومنا هذا في شوق إلى السلاح وشوق إلى الكفاح.

وفي مثل هذا اليوم أيها الإخوان، منذ سبعة عشر عاماً بعد أن أعلنت إسرائيل قيام دولتها في وطننا، وقف عدو الإنسانية رئيس الولايات المتحدة الأمريكية هاري ترومان بعد دقيقة واحدة من إعلان قيام إسرائيل وقف في البيت الأبيض، حاشا لله في البيت الأسود، يعلن اعترافه بالدولة الباغية العاتية على وطننا وأرضنا، وبهذا يعلن رئيس الولايات المتحدة أكبر خيانة إنسانية في تاريخ الإنسانية.

إن الولايات المتحدة لها صفات مشرفة في ثورتها يوم قامت على الاستعمار البريطاني، وقامت بتلك الثورة الخالدة تطرد الإنكليز من ديارها وتعلن السيادة والاستقلال للشعب الأمريكي، لكن ترومان قد لطخها بالعار.. وسيظل هذا العار إلى أن تزول إسرائيل ويزول معها الاستعمار.. لا أقول هذا تجنياً على الولايات المتحدة ولا إسرافاً في الحكم عليها... ليس في الشعب العربي عداء عريق أصيل... عداء تقليدي للولايات المتحدة.. على العكس من ذلك... كان بيننا وبين الولايات المتحدة الأمريكية ود وصفاء، كان شعب فلسطين والأمة العربية يعربان عن إعجابهما بالولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى... الرئيس ولسون يوم إعلان المبادئ الأربعة عشر يوم أعلن حرية الشعب.. يوم أعلن تقرير

المصير . . . للشعوب صغيرها وكبيرها هللت الأمة العربية بالإعجاب والإكبار والإجلال للولايات المتحدة، وغمرت العالم موجة من الفرح والحبور والإكبار لسياسة الولايات المتحدة التي تعلن حرية الشعوب.

وإني لأذكر كما يذكر جيلي في الديار الشامية بعد عام ١٩١٩، كنا صبياناً في الشوارع ورأينا كبارنا يطوفون في الشوارع بالعرائض . . وكانت لجنة تعرف باسم لجنة (كنج كرين) أوفدها الرئيس ويلسون للتعرف على رغبات الأمة العربية في ديار الشام . . . وكانت الكلمة مجمعة على أن عرب ديار الشام يريدون الاستقلال أولاً . . . فإذا لم يكن الاستقلال فالانتداب الأمريكي بديلاً من الاستقلال . . . كانت هذه عاطفة الشعب العربي نحو الولايات المتحدة . . . عاطفة الحب لأننا كنا نريد يومئذ في الولايات المتحدة الديمقراطية الصحيحة والتسامح والوفاء لمبادئ العدل والإنسانية والديمقراطية الصحيحة . . ولكن ما لبثت الولايات المتحدة بساستها وزعمائها أن أيدوا الصهيونية وساروا في ركابها زمناً طويلاً يؤيدونها . . . فانقلب هذا الود إلى عداء. ولا أريد أن أذكر التاريخ الطويل لسياسة الولايات المتحدة إزاء عرب فلسطين في ما يتعلق بوطنهم وديارهم وفي ما يتعلق بالوطن اليهودي . . . فقد ملأته صحائف التاريخ . . . لكن علينا أن نذكر دائماً أن الولايات المتحدة هي التي أيدت الصهيونية، وألقت جانباً عواطف العرب وصداقتها مع العرب، وألقت أيضاً مبادئ العدالة فما بالت بها.

أذكرُ أنه في عام ١٩٤٥ طلب الرئيس ترومان من بريطانيا، وهي الدولة المنتدبة على فلسطين، أن تدخل ١٠٠ ألف يهودي مهاجر إلى فلسطين وأهل فلسطين لا رأي لهم . . والقارة الأمريكية المترامية الأطراف من البحر إلى البحر فيها كل الموارد الروحية والمادية وكل الكنوز التي تستطيع أن تستوعب هذا العدد.

تخلت الولايات المتحدة عن إدخال يهودي واحد إلى القارة الأمريكية، وأرادت أن تقذف بهذا العدد الضخم إلى وطننا الصغير . . هنالك أيها الاخوان بدا العدوان سافراً من الولايات المتحدة على شعب فلسطين . . ولم يقتصر الأمر على هذا . . ولكنها ما عتمت أن أرسلت في عام ١٩٤٦ اللجنة التي عرفت بلجنة التحقيق الأنجلو أمريكية، وقد أغروا يومئذ العرب بأن هذه اللجنة فيها القضاة والعلماء والأساتذة الجامعيين وتريد أن تستوفي العدالة . . . فتقدمنا وكنا نخبة من الشباب في مدينة القدس . . . أخذنا ندرس قضية فلسطين درساً مليّاً من كل جوانبها وأعددنا لها الكتب والنشرات والدراسات، قدمنا في يوم واحد ملفاً فيه ألف صفحة.

وكل أملنا أن هؤلاء الرجال الجامعيين رجال القانون هؤلاء الذين يغارون على العدالة، يدرسون هذه الملفات الكبرى فإذا بهم يضربون بها عرض الحائط . . وإذا بهم

يعودون والرئيس ترومان يلح عليهم في أن يوصوا بإقامة دولة يهودية في بلدنا . . ويومئذ تذكرت أننا أخطأنا الطريق . . وتذكرت قول شاعرنا العربي :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

ودخلت فترة الأمم المتحدة وعرضت قضية فلسطين على الأمم المتحدة في عام ١٩٤٧ وكان الظن يومئذ أن الأمم المتحدة لها ميثاق وأن هذا الميثاق فيه كثير من الحق والعدل . . . لقد نص هذا الميثاق على حقوق الشعوب صغيرها وكبيرها . . ونص على حرية تقرير المصير ، فذهبت وفودنا إلى الولايات المتحدة وإذا بنا نرى الولايات المتحدة وقد ألقت بكل ثقلها على الأمم المتحدة لكي تقر التقسيم . . . الشعب الفلسطيني في كفة ومعه الدول العربية . . وتعرفون ما هو حال الدول العربية في ذلك الحين . . تواجه الولايات المتحدة بكل جبروتها وبكل قوتها . . فتلقي بأحمالها تريد أن تقرّ التقسيم.

داسوا الديمقراطية بأقدامهم وما اكترثوا برغبة الشعب وركبوا رؤوسهم . . . لا بد من التقسيم . . . وطلبنا اللجوء إلى محكمة العدل بعد أن تبيَّن أن الأمم المتحدة تستلقي على أقدام أمريكا . . . وقلنا هنالك العدل هنالك القانون . . فليفزع الشعب الفلسطيني إلى محكمة العدل . . . وليلق هنالك سؤاله الكبير . . هل من حق الأمم المتحدة أن تقسم وطننا على غير ارادة أهله وأصحابه؟ . . ولكن الولايات المتحدة مرة أخرى صوتت ضد هذا الاقتراع . . . ضد العدالة أقفلت أبواب محكمة العدالة في وجه شعب فلسطين وحالت دون أن تجيب العدالة عن هذا السؤال . . ولكن الكارثة لم تقف عند هذا الحد فحسب . . لم يكن التقسيم هو الأمر المقبول فقط لابد من حدود تريدها إسرائيل . . لابد من تقسيم كما تستهويه إسرائيل كما تتمناه إسرائيل . . كانت إسرائيل عام ١٩٤٦ تملك ٦ في المئة من وطن فلسطين وقدّمنا يومها إلى الأمم المتحدة كلام بن غوريون نفسه إلى لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية وقال فيها : إن اليهود يملكون ٦ في المئة ، ٤ في المئة منها أخذوها في عهد الانتداب . . مئة عام من الرشاوي والانتداب البريطاني لم تستطع إسرائيل أن تحوز على أكثر من ٦ في المئة . قلنا للجنة يومئذ كيف تريدون أن تقسموا . . احسبوها مزرعة . . . احسبوها حديقة . . . كيف تريدون أن تقسموا . . وألقت الولايات المتحدة مرة ثانية بثقلها.

مطار اللد . . . لم يكن في فلسطين يومئذ إلا مطار اللد . . وقيل يومئذ والعرب . . . وكان الكلام الساخر في اللجنة . . . العرب ليسوا في حاجة إلى مطار فعندهم ألف ليلة وليلة . . . وعندهم بساط الريح . . يطيرون في بساط الريح . . . هذه هي السخرية التي قيلت في وسط الأمم المتحدة . . وأعطي اليهود مطار اللد . .

وأرادت إسرائيل أن يكون لها رقعة واسعة في شرق الجليل حيث روافد نهر

الأردن . . مشروعات نهر الأردن التي نحن أمامها الآن ونواجهها الآن بكل ما فيها من خطر. زرع ذلك الخطر في عام ١٩٤٧ فقالت الولايات المتحدة حباً وكرامة . . فيجب أن ييسر لكم جر المياه إلى النقب . . ثم انتقلوا إلى البحر الميت . . وفي البحر الميت مشروعات البوتاس، وقالت الصهيونية إن هذه المشروعات كبيرة وضخمة ويجب أن توسع رقعتنا حول البحر الميت لأن العرب لا يحسنون استخراج المعادن . . ولا يعرفون المعادن وقالت الولايات المتحدة حباً وكرامة . . تكون لكم الأرض التي حول البحر الميت . . ولم يبق بعد ذلك إلا النقب . . وهنا وجدت اللجنة نفسها أمام واقعة رهيبة . . . فلم يكن اليهود يملكون من النقب سوى نصف في المئة . . ودار حوار وحوار . . وذهب وايزمان إلى ترومان في البيت الأبيض، وحاشا لله في البيت الأسود، وجرى هناك كلام وأصر ترومان أن يكون النقب لليهود . . ويتصل ترومان في الساعة الثانية في الأمم المتحدة بليك سكسيس . . ويقول المندوب اليهودي فليكن النقب لليهود . . وها نحن الآن نعاني ما زرعت الولايات المتحدة عام ١٩٤٧.

انتهى الأمر هكذا أيها الأخوان في الأمم المتحدة . . ذهلت الولايات المتحدة . . لا يزال في الدنيا بقية من ضمير في اللجنة السياسية، قرار التقسيم نال ٢٦ صوتاً لا يؤلف هذا ثلثي الأصوات . . فالقرار لا يكون نافذاً إلا بالثلثين . . ٢٦ صوتاً لا يكفون لابد من سبعة أصوات أخرى وإذا بالولايات المتحدة بكل قواها في كل مكان تتصل بهذه الدول السبع وماذا كانت النتيجة . . . استطاعت الولايات المتحدة . . . أمريكا الديمقراطية . . أمريكا العدالة . . أمريكا التي تحترم ميثاق الأمم المتحدة تتصل برؤساء الوفود . . عُزِل بعض رؤساء الوفود من وفودهم وركبوا الباخرة في اليوم الثاني إلى بلادهم ليأتي بدلاً منهم رؤساء وفود جدد صوتوا مع التقسيم . . وهكذا وفداً بعد وفد دولة بعد دولة وعزلاً بعد عزل . . ومع هذا جاء يوم السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر أحست الولايات المتحدة أن الأكثرية لا تزال غير مضمونة ويومئذ كان هنالك في الولايات المتحدة عيد الشكران . . عيد الشكر يأكلون فيه الديك الرومي . . عيد الشكر هذا اتخذوه وسيلة وأجّلوا الجلسات بحجة أنهم لا يعملون في هذا اليوم وتأجلت الجلسة إلى التاسع والعشرين، واستطاعوا بهذا أن يذبحوا الشعب الفلسطيني . . وانقلب عيد الشكر إلى عيد الكفر . . واستطاعوا أن يحوزوا ثلاثة وثلاثين صوتاً . . . صوت واحد هو الذي فاز به التقسيم. ويومئذ كان لا بد للتاريخ أن يسجل أن الأمم المتحدة وميثاقها نصيبهما سلة المهملات بعد أن خضعت للولايات المتحدة.

وكان للكارثة جانب آخر هو الجانب الدولي . . لم نكن في عملنا في الأمم المتحدة باستثناء نفر منا . . جادين مؤمنين . . كان لقاء بعض الوفود العربية مع الوفود الأمريكية والبريطانية لقاء مجاملة ومودة . . كانت أمريكا تبيت الدمار لشعبنا والتمزيق

لوطننا وبالرغم من ذلك نخرج من قاعات الأمم المتحدة نسير مع الوفود الأمريكية والبريطانية كتفاً إلى كتف . . . ويداً في يد . . ونخباً إلى نخب وأقداحاً إلى أقداح . . . لو علمت أمريكا في الأمم المتحدة أن غضبتنا صحيحة . . أن غضبتنا مضرية . . أن وراءنا البترول يجفّ . . والقواعد العسكرية تدمّر . . والسفارات تغلق لما استهترت الولايات المتحدة بالأمة العربية . .

كنا نحسن الظن بأمريكا . . ودفعنا ذلك (الوفود العربية) إلى الابتعاد عن روسيا . . . ولم نتصل بالاتحاد السوفيتي لا في موسكو ولا في الأمم المتحدة . . . اتصالاً جدياً . . . إخواننا عرب فلسطين المهاجرون في نيويورك كانوا مرابطين في شارع يقع فيه مكتب وفد أمريكا . . ومكتب الاتحاد السوفيتي وكانوا يرون الوفد اليهودي يخرج من الوفد الأمريكي إلى الوفد الروسي، وفي اليوم الثاني يخرج من الوفد الروسي إلى الوفد الأمريكي . . ونحن الشعوب العربية نخشى الشيوعية . . . ونخشى الاتحاد السوفيتي . . نخشى أمريكا وبريطانيا . . . ولا نجرؤ أن نكلم روسيا في قضيتنا وفي حقنا . . . وبهذا وقف الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة المرة الوحيدة في تاريخ الأمم المتحدة التي يلتقيان فيها على التقسيم، على قيام الدولة اليهودية . . ويجب على الجانب العربي للتاريخ أن يتحمل مسؤلية بعده عن الاتحاد السوفيتي . . لقد بدأ الاتحاد السوفيتي بعد سنة ١٩٥٢ يرى وجهة النظر العربية بدأ يعاين الوفود العربية . . . بدأ يؤيد القضية الفلسطينية في الجمعية العامة، وفي مجلس الأمن كثير من الفيتو الذي أنقذ به شرف الأمة العربية في كثير من المآزق كان الفضل فيه للاتحاد السوفيتي.

إن الاتحاد السوفيتي الآن يرى طريقه إلينا ويؤيدنا مرحلة بعد مرحلة . . وخطوة بعد خطوة . . ويرى أن إسرائيل هذه قاعدة الرأسمالية الكبرى في الشرق الأوسط وهي قاعدة الاستعمار الكبرى . . وعلى أمل هذا التلاقي بين وجهة نظرنا العربية وبين الاتحاد السوفيتي أبعث باسم شعب فلسطين بتحياتنا إلى الاتحاد السوفيتي وإلى زعمائه.

أيها الإخوان:

ذلك هو الجانب الدولي . . . ولا أريد أن أحدثكم عن الجانب العربي لأنكم جميعاً تعرفونه . . تعرفون الكارثة في الوطن العربي . . تعرفون النكبة وأسبابها في حرب فلسطين . . لا أريد أن أتحدث إليكم عن الأسلحة الفاسدة . . لا أريد أن أتحدث عن انسحاب اللد والرملة . . وخروج أهلنا حفاة عراة في الطرقات إلى أن وصلوا إلى مدينة القدس . . . لا أريد أن أتحدث عن كل هذا فهو معروف لديكم هنا.

وبارك الله في الرئيس جمال عبد الناصر الذي كشف في محكمة العدل هنا في القاهرة عن الخائنين . . عن المسؤولين عن فساد الأسلحة . . والأمة العربية وهي على

فطرة سليمة وعلى ذكاء سليم عرفت كيف تحاكم الخائنين فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر فمنهم من ضاع ومنهم من قتل ومنهم من صرع.. وما كان ربك بظلاّم للعبيد. ذلك هو الماضي أيها الاخوان ولا أريد أن أطيل في الكلام هنا، على أرض فلسطين ولدت الثورات... عبد الناصر ورفاقه حاربوا على أرض فلسطين...

لا نريد أن نتحدث عن الماضي ولكننا سنتحدث عن الحاضر.. والحاضر يبدأ عندما دعا الرئيس جمال عبد الناصر إلى مؤتمر الذروة العربي الأول... وقبل مؤتمر الذروة كانت الجهود مبعثرة دون فائدة ذلك.

إن الأمم المتحدة لا ترى في قضيتنا جديداً.. فالجديد هو الكفاح وهو السلاح.. كانت قضيتنا تعيش في فراغ رهيب الحكومات العربية تحمل مسؤلياتها لسبعة عشر عاماً.. لكن السؤال أين شعب فلسطين.. الدول العربية بوفودها في الأمم المتحدة تدافع عن فلسطين.. في كل المؤتمرات في باندونج وفي الأمم المتحدة.. كان دائماً يطرح علينا هذا السؤال.. أين هو شعب فلسطين؟

سبعة عشر عاماً ضاعت علينا ويجب أن يتحمل مسؤوليّة ذلك أولئك الذين يخافون من الكيان الصهيوني وظلوا يخافون عاماً بعد عام حتى وصلنا إلى مؤتمر الذروة.. كثرت التساؤلات عمّا هو الكيان الفلسطيني..؟ وما الذي يقصد بالكيان؟

والذي كان يجب أن أوضحه أن شعب فلسطين لا يريد إقامة حكومة فلسطينية لا في الوطن ولا في المهجر.. إن شعب فلسطين لا يريد أن يجدد مأساة حكومة عموم فلسطين التي انتهت بعد أربعة عشر عاماً إلى غير حكومة وغير عموم وغير فلسطين.. إن شعب فلسطين يريد جهازاً تحررياً ثورياً لا يطمع فلسطيني أن يكون ملكاً أو رئيساً.. من يحكم كان سبباً من أسباب مأساة فلسطين.. اختلفوا سنة ١٩٤٨ على هذا الجواب، فلسطين من يحكمها هذا أم ذاك؟ وحكمها وايزمان وبن وجوريون.

من يحكم فلسطين بعد تحرير فلسطين؟ هذا السؤال لا يشغل أذهاننا.. إن للشعب لفلسطيني همّاً واحداً هو أن يحرر فلسطين.

هكذا خرجنا من مؤتمر الإسكندرية... منظمة التحرير ممثلة لإرادة الشعب، جيش التحرير هو جيش لفلسطين.. وبدأت منظمة التحرير تعمل وسط المصاعب والمتاعب.. متاعب القضية الفلسطينية وما أكثرها.. الشعب المشتت في كل مكان.. الشعب الذي يعيش تحت ظروف متباينة في كل مكان... منظمة التحرير تبدأ من لاشيء تبدأ من الصفر، عليها أن تنشئ الجيش ولا قانون للجيش ولا مال ولا سلاح ولا ثكنات ولا معسكرات، ولا كل هذه التفصيلات الجزئية المريرة المضنية لمن يعمل في منظمة التحرير الليل والنهار وهو يفكر في هذه المصاعب: كيف

ينتزعها من الأنياب ومن المخالب؟ كيف نقيم جيش التحرير؟ كيف نقيم منظمة التحرير في مكاتبها في مقرها العام في القدس؟ لتكون ناشطة وعاملة ومكافحة مناضلة مع شعبنا في الأردن مع أبناء فلسطين، كيف تكون مكاتبنا في العالم الخارجي؟ وجودنا في كل مكان؟ بدأنا هذا كله خطوة خطوة مرحلة مرحلة نبني شيئاً فشيئاً، من الصفر فصاعداً أمام مصاعب رهيبة، لا أقولها يأساً منها ولا ضعفاً ولا خوراً أمامها ولكني أقولها لتعرفوا مدى المصاعب التي اجتازتها منظمة التحرير الفلسطينية وتقف أمامها السياسة العربية كلها.. تريد أن لا يكون جيش تحرير لفلسطين... ولا للشعب الفلسطيني شخصية قائمة.

ظنت الولايات المتحدة أن خمسة عشر عاماً من وكالة الإغاثة قد أضاعت الشعب العربي الفلسطيني... وأنه من الميسور تصفية هذه القضية.. فإذا بالشعب الفلسطيني يطل برأسه.. وإذا به يجسد شخصيته.. وإذا بجيشنا يبنى في سيناء ويبنى في غزة.. ونحن هنا نجد التسهيلات التي قدمها لنا الرئيس عبد الناصر، ثم بعد ذلك ننشئ جيشنا في سوريا والعراق ونطمع أن نجعل كل فلسطين تحت السلاح ونطمع أن نجعل فلسطين وأهلها معبأين تحت السلاح من أجل معركة التحرير... قمنا بهذا في المجال العسكري وفي السياسي وفي التنظيمي وفي الإداري، وخطونا لأول مرة الخطوة الأولى إلى خارج الصعيد العربي.. وذهب وفد منظمة التحرير الفلسطينية إلى الصين الشعبية ووجدنا هناك التأييد الكامل.. ولا أريد أن أحدثكم عن تفاصيل هذه الزيارة ولا عن النجاح الباهر الذي بلغته في المجالات الواقعية.. ولا عن البيان المشترك الذي وقعه شواين لاي عن الشعب الصيني، ومواطن فلسطيني هو رئيس منظمة التحرير الفلسطينية عن الشعب الفلسطيني.

ولا أريد أن أتحدث عن تفاصيل ماجرى بيننا وبين الصين ولكن الدوائر الغربية قد أقضّ مضاجعها أن تذهب فلسطين إلى الصين وأن تعترف الصين بحقوق الشعب الفلسطيني.

الولايات المتحدة تزوّد إسرائيل بالسلاح مباشرة وعن طريق ألمانيا الغربية وأخيراً بصواريخ هوك.. ومن حق شعب فلسطين أن يبحث عن السلاح حيثما وجد السلاح.

في هذا الوقت بالذات.. الذي ينمو فيه العمل في تحويل الروافد... والذي تنمو فيه القيادة الموحدة ومنظمة التحرير ويقوم فيه جيش التحرير الفلسطيني... في هذا الوقت بالذات خرج علينا واحد منا... رئيس من رؤسائنا.. الحبيب بورقيبة.. خرج علينا في طوافه في البلاد العربية، جاء إلى القاهرة.... واحتُفل فيه احتفالاً عظيماً في القاهرة المضيافة. والقاهرة الكريمة التي فتحت ذراعيها له

ولقيت الحبيب بورقيبة في أكثر من مرة. ولم أجد حديثاً حول اقتراحاته لحلول القضية الفلسطينية، لم يكن هنالك كلام حول القضية الفلسطينية... وأنا على ثقة بأن الحبيب بورقيبة لم يكاشف أحداً بأي حل للقضية الفلسطينية... وخرج من القاهرة إلى الأردن... وكنا في سرور عظيم أنه ذهب إلى الأردن لأن هناك وطن النكبة... وكنا نريد أن يرى الحبيب بورقيبة زيتوننا ونخيلنا وأعنابنا... يرى الخطوط الأمامية... ويرى بيوتنا وقرانا ومدننا.. ليشهد قضية فلسطين على الطبيعة التي تضج بالمظالم الصارخة بالمظالم... وإذ به كما قال الرئيس عبد الناصر يخاطبه في أول مايو... وإذا به ينزل عليه الوحي في أريحا.. أيّ وحي هذا... أي ظلم هذا... أية خيانة هذه.. ضجّ إخواننا الفلسطينيون في المعسكرات وفي الخيام... صرخوا في وجهه أنت تشفق علينا سبعة عشر عاماً في نكبتنا، نحن صبرنا لايقلّ وعزمنا لا ينثني... وذهب إلى الكويت وبيروت وغير الكويت ولقى من الشعب الفلسطيني الاحتجاج الصارخ، ولو أنه ظفر به لا أريد أن أقول ماذا كان يفعل به.

أيها الإخوان:

وحينما خرج بورقيبة بتصريحاته كانت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير منعقدة في القاهرة... وتساءلنا ما العمل وكان الرأي الذي سادنا يومئذ أن نرد على بورقيبة بغير أن نذكر اسمه، فنحن مرتبطون برفاق لنا يحملون المسؤولية نفسها، الملوك والرؤساء، علينا أن نصبر قليلاً لعلها كبوة جواد وان لم يكن بجواد.. لعلها زلّة لسان فيا لهذه الزلّة، وذهبت بنفسي إلى إذاعة منظمة التحرير الفلسطينية وألقيت ببيان نرفض فيه المقترحات ونقول فيه إنّنا لا نريد التقسيم ولا التوطين ولا التدويل.. وأبينا من أجل وحدة الصف العربي.. أن نذكر اسم بورقيبة... وظننا أن الأمر سينتهي عند هذا الحد.. وإذ بورقيبة في طوافه يدلي بتصريحات أخرى... وكانت أيامها الندوة العالمية ندوة فلسطين ووقفت في حفل الافتتاح أخطب وأرد على الحبيب بورقيبة مرة ثانية دون أن أذكر اسمه.. وأردنا أن نعطيه الفرصة ليصلح هذه الزلة.. وأعلنت باسم منظمة التحرير الفلسطينية أن شعب فلسطين يرفض التوطين والتقسيم والتدويل ويريد فلسطين عربية خالصة لأهلها يعيشون فيها كراماً وأعزة.

كان هذا موقفنا في المرحلة الثانية، ولكن بورقيبة عاد إلى تونس وإذا به من تونس يصدر تلك التصريحات العجيبة الغريبة، التصريحات المذهلة يطلب فيها أن يجلس زعماء فلسطين في روما مع اليهود يتفاوضون من أجل حل القضية الفلسطينية على أساس الأمر الواقع، ويدعو إلى التعايش السلمي مع إسرائيل وإلى علاقات دبلوماسية واقتصاديّة مع إسرائيل، ويدعو إلى أن نهز بأيدينا بعضنا ببعض مع إسرائيل، ويقول كلاماً ويا لهذا الكلام المذهل تضج معه الأمة العربية. وهذا

حمل منظمة التحرير ساعتئذ أن تكشف القناع وعقدتُ مؤتمراً صحفياً هنا في القاهرة، وأعلنت فيه بتصريح أن الحبيب بورقيبة بما قال قد خرج على إجماع الأمة العربية، وأنه خان القضية الفلسطينية وأنّنا نرفض مقترحاته جملة وتفصيلاً وأنه لا فلسطيني على ظهر الأرض يقبل أن يتفاوض مع إسرائيل لا في روما ولا في غير روما. وثارت الأمة العربية بزعمائها ورجالها غاضبة وما أشدها من غضبة لا تعرف ملكاً ولا تعرف رئيساً.

أيها الإخوان:

نُتهم بأننا عاطفيون سلبيون همّنا الرفض وحياتنا السياسية كلها لسنين طويلة كانت الرفض، وأننا نحن نرفض مقترحات بورقيبة لعاطفة قومية. صحيح أنّ العاطفة القومية موجودة ولا يمكن إلا أن تكون موجودة عاطفة المرء نحو وطنه، حتى من ناحية موضوعية حتى بالجدل الهادئ حتى بالروية والبصيرة العاقلة لا يمكننا أن نقبل مقترحات بورقيبة إطلاقا، فهو يدعو إلى مفاوضات مع إسرائيل وإلى تعايش سلمي مع إسرائيل... قضية فلسطين في طبيعتها تأبى المفاوضات... هنالك الكثير من القضايا التي تقبل المفاوضات ولكن قضية فلسطين بطبيعتها، بتركيزها، بنشوئها، تأبى المفاوضات وبالطبيعة تأبى التعايش السلمي مع إسرائيل... الحبيب بورقيبة أراد أن يشبه قضية فلسطين بقضية تونس وما أبعد النسبة.

تعايش سلمي بين تونس وفرنسا هذا صحيح، مفاوضات بين تونس وفرنسا هذا صحيح.

خروج فرنسا من بنزرت كآخر قاعدة عسكرية بالمراحل أو التوقيت هذا صحيح أيضاً، لكن فرنسا تبقى في فرنسا وشعب تونس يبقى في تونس، لم تكن المفاوضات ولا التعايش السلمي بين تونس وفرنسا أن تبقى فرنسا في تونس وأن يكون لفرنسا وطن قومي في تونس، أن يكون لفرنسا دولة صغيرة فرنسية في تونس. كل القضايا العربية تقبل المفاوضات: قضية مصر لسنين طويلة كان الهدف دائماً الجلاء والمفاوضات على أساس الجلاء، قضية الجزائر ١٣٠ عاماً التعايش السلمي والمفاوضات على أساس الجلاء والاستقلال، وبعد استقلال الجزائر خرجت فرنسا من الجزائر وخرجت من المغرب ومن تونس وخرجت فرنسا من سوريا ولبنان وبريطانيا خرجت من العراق وأخيراً من الأردن. كل هذا بالمفاوضات وبالتعايش السلمي وبالتعامل الاقتصادي والدبلوماسي لأنها كانت تقوم على حقيقة صارخة حقيقة خالدة إنه لا فرنسا في شمال أفريقيا ولا بريطانيا في الشرق العربي. أما بالنسبة لإسرائيل وشعب فلسطين كيف يمكن أن يكون الجلاء؟ هل الحبيب بورقيبة يطمع من وراء هذه المفاوضات أن تجلو إسرائيل

عن فلسطين؟ هذا خيال ما بعده خيال وهذا خيال مابعده خيال، فإسرائيل كما تقول أمريكا وجدت هنا لتبقى، ونحن نقول لا لتبقى ولكن لتعتدي ولتتوسع.

أية مفاوضات هذه وأي تعايش سلمي هذا يقوم بين شعب فلسطين وبين الأمة العربية من جانب وإسرائيل من جانب؟ صدقوني أيها الإخوان إن اللغة العربية على غناء مفرداتها وألفاظها لم تسعفني في أن أجد لفظاً مهذباً أصف به مقترحات بورقيبة، ونحن شعب فلسطين شعب مهذب جداً، وربما كنا مهذبين أكثر من اللازم في كثير من الأحيان.. هذه مقترحات بورقيبة الحقيقية: إن قضية فلسطين لا يصلح فيها التعايش السلمي ولا المفاوضات السياسية ولا الصلح مع إسرائيل ولا تصلح فيها الأمم المتحدة، فلقد أفنيت حياتي وزهرة عمري في الأمم المتحدة وما رأيت فيها خيراً ستة عشر عاماً، وأنا والوفود العربية ما تركنا قانوناً ولا حقاً ولا عدلاً إلا واستطرقناه، وكانت النتيجة أن القضية تنزوي عاماً بعد عام، كانت قضية قومية ثم صارت قضية سياسية وبعدئذ أصبحت قضية لاجئين ثم أصبحت قضية العدس والبصل والفول ثم هذا يتناقص يوماً بعد يوم.. الأمم المتحدة لا يصلح منبرها لتحرير فلسطين، إن تحرير فلسطين لا يتم إلا بالكفاح وعلى أرض فلسطين.. الأمم المتحدة ترى ٤٠ ألف جندي أمريكي في الدومينكان ولا تحرك ساكناً.. الولايات المتحدة تقول نحن لا نطيق جمهورية شيوعية قريبة منا.. الشعب الدومنيكي في أرض الدومنيك.. وإذا أرادوا النظام الشيوعي أحراراً مختارين كان لهم أن يصبحوا جمهورية شيوعية... كيف تريد أمريكا منا أن نطيق دولة إسرائيل لا قريبة منا ولكن في عقر دارنا وفي قلب وطننا... وهذا ما تأباه الأمة العربية.

تقدمت منظمة التحرير الفلسطينية بمقترحات إلى لجنة الممثلين الشخصيين للملوك والرؤساء.. تلك المقترحات التي تعرفونها بفصل تونس عن الجامعة العربية.. وإسقاط عضوية الحبيب بورقيبة من مؤتمر الذروة العربي..

إن منظمة التحرير لم تفعل هذا للتشهير.. ليس من رأينا أن نشهر.. ليس التشهير سياستنا.. لكن بورقيبة يحمل آراء إسرائيل والولايات المتحدة.. كيف يمكن أن تكون آراء إسرائيل وأمريكا في مؤتمر الملوك والرؤساء.. وفي الجامعة العربية... هذا هو السؤال الكبير الذي يجب أن تجيب عنه الدول العربية جميعاً.. إن هذه المقترحات لم تقبل.. ولأسباب ذُكرت ولا أريد مناقشتها الآن... ونحن مؤمنون بأننا كنا على حق بكل ما اقترحناه فإذا كانت اللجنة غير قادرة على الوصول إلى قرار فنحن نخالف في هذا وموعدنا ٢٦ أيار/ مايو اجتماع رؤساء الحكومات العربية هذا مستوى عالٍ معهم وزراء الخارجية ووزراء الدفاع.. و٢٦ أيار/ مايو ليس بعيداً منا... ومنظمة التحرير ستظل متمسكة بمقترحاتها، بورقيبة يتهمنا بأننا عملاء للقاهرة...

وهذا باطل . . . وأنا أقولها هنا بحضور أخي وصديقي كمال رفعت مندوب الرئيس عبد الناصر . . . القاهرة ليس لها عملاء وترفض أن يكون لها عملاء . . . والشعب الفلسطيني ليس من العملاء ويرفض أن يكون من العملاء . . . نحن هنا في القاهرة لسنا عملاء ولكننا مع عبد الناصر ومع القاهرة زملاء السلاح ورفاق النضال، هذه عدوى العمالة هذا الكلام التافه أن منظمة التحرير عميلة وأنها أداة.

نحن نعبر عن مشيئة الشعب الفلسطيني، نحن مع كل ملك وكل رئيس مع قضية فلسطين، فمن كان مع قضية فلسطين ملكاً أو رئيساً فنحن معه . . انتقلت عدوى العمالة إلى الشرق العربي وسمعت كلاماً يقال عن أبناء فلسطين أن بينهم مخرّبين وبينهم مشوّشين . . أي قول هذا . . . ليس بين الشعب الفلسطيني مخرّبون ولا خائنون . . . نحن شعب من الثوار الأحرار.

في كفر قاسم قريتنا العربية في الأرض المحتلة . . . والتي أصبحت ذكرى مذبحة في التاريخ منذ بضع سنوات . . أخيراً نقلت وكالات الأنباء أن شبابنا في كفر قاسم مزقوا الأعلام اليهودية في إسرائيل . . . إن شعبنا هذا شبابه تحت الإرهاب اليهودي ليس فيه خائنون ولا مخربون إن الخيانة ليست في صفوف الشعب . . . نحن على موعد مع ٢٦ أيار/ مايو . . . وهو يوم المصير للعمل العربي كله . . ولمنظمة التحرير . . ستكون أمامه مشاكل منظمة التحرير وموضوع الحبيب بورقيبة . . . وألمانيا الغربية . . . كلها تتصل بقضية فلسطين، ونحن منظمة التحرير الفريق الأول لإبداء الرأي في ما يتعلق بقضية فلسطين . . وإذا كانت القرارات في ٢٦ أيار/ مايو جدية وصادقة فنحن في هذا الطريق إلى النهاية . . وإذا لم تكن جدية وصادقة فسنستنفر الثوار في الأمة العربية من زعماء الأمة العربية . . لنسير معهم في طريق غير هذا الطريق في طريقٍ ثوري، الثوار يسيرون معاً ويعملون معاً . . . وينتصرون معاً ونحن في الطريق.

(١٤)

رسالة الشقيري إلى مؤتمر الطلاب الرابع عشر في الولايات المتحدة، أيار/مايو ١٩٦٥

أيها المؤتمر الكريم. . .

باسم شعب فلسطين المتحفز لتحرير وطنه السليب، المتطلع إلى الوحدة العربية الشاملة، أبعث إلى مؤتمركم بتحية العروبة والتحرير، وفيكم يتمثل أمل الأمة العربية في استكمال حريتها وسيادتها، والاضطلاع بدورها الحضاري في بناء عالم يسوده الأمن والسلام على أساس مكين من العدل والحرية والكرامة الإنسانية. ولقد كنت أوثر لو أسعفتني ارتباطاتي العديدة أن أكون معكم في ندوتكم لأحدثكم في اجتماعات مقفلة ومفتوحة عن قضية فلسطين وهي أخطر وأقدس ما يواجه الأمة العربية في تاريخها المعاصر، بل لعلها أعظم ما واجهته الأمة العربية في تاريخها الطويل المليء بالأحداث الجسام. ومن أجل ذلك فقد حرصت وأنا أوجه إليكم هذه الرسالة أن يكون حديثي إليكم عن منظمة التحرير الفلسطينية وعن إنجازاتها بدلاً من إطلاق الشعارات المثيرة مقرونة بالأماني العذاب، وقبل عام مضى كان الحديث عن العمل الفلسطيني باسم شعب فلسطين، كان الحديث عن الكيان الفلسطيني بضم شتات شعب فلسطين، كان الحديث عن ذلك كله ضرباً من الخيال، أما الآن فإن منظمة التحرير الفلسطينية حقيقة قائمة تنبض بالإرادة والحياة، وكذلك فإن إنجازات المنظمة حقائق قائمة يتمثل فيها تصميم الشعب الفلسطيني على تحرير وطنه وتقرير مصيره واسترداد حريته وكرامته. وإنجازات المنظمة تتجسد على خير ما تتجسد في الميدان النضالي والثوري دون إغفال للجوانب السياسية والإعلامية، ومن غير أن أقترب من التفاصيل المحظورة عن الأمور العسكرية نستطيع أن نبرز الوثائق الآتية:

١ ـ وضعت منظمة التحرير الفلسطينية بالاشتراك مع القيادة العربية الموحدة

خطة كاملة لإنشاء جيش التحرير الفلسطيني، تستهدف تمكين الشعب الفلسطيني من القيام بدوره الطليعي في تحرير وطنه.

٢ ـ قطعت المنظمة شوطاً كبيراً في تنفيذ هذه الخطة، فإن وحدات جيش التحرير الفلسطيني يجري الآن تشكيلها وتدريبها وتسليحها في غزة وفي الجمهورية العربية المتحدة وفي سوريا وفي العراق، وهي ليست وحدات نظامية بالمعنى الكلاسيكي المعروف، فالطابع الفدائي التحريري هو الذي يغلب عليها.

٣ ـ أنشأت المنظمة قيادة مستقلة لجيش التحرير، جميع عناصرها من الضباط الفلسطينيين مقرها في القاهرة إلى جوار القيادة العربية الموحدة، ولها مكتبان إداريان في كل من دمشق وبغداد.

٤ ـ وضع قانون التجنيد الإجباري في قطاع غزة، والذين يدعون لخدمة العلم يقبلون على التجنيد بحماسة مثيرة للإعجاب وتسعى المنظمة لتطبيق قانون التجنيد الإجباري على أبناء فلسطين في العراق وسوريا.

٥ ـ افتتحت المنظمة معسكرات للتدريب الشعبي، في قطاع غزة وفي الجمهورية العربية المتحدة وفي الكويت، فقد بلغ عدد المدربين في قطاع غزة وحده في هذا الصيف ٩٠٠٠ شاب وطالب.

٦ ـ عملت المنظمة على إدخال العشرات من أبناء فلسطين في المعاهد العسكرية في القاهرة وبغداد ودمشق.

٧ ـ شرعت المنظمة في اتخاذ التدابير اللازمة لإيفاد بعثات فلسطينية إلى إحدى الدول الصديقة للدخول في دورات عسكرية متخصصة.

٨ ـ توكيداً لدور الكفاح المسلح في تحرير فلسطين فقد حرصت المنظمة أن تكون ميزانية جيش التحرير بما لا يقل عن ٨٠ في المئة من الموارد المالية للمنظمة، وفي مجال التنظيم الإداري أنشأت المنظمة في مقرها العام في القدس ٦ دوائر عامة هي:

الدائرة العسكرية

دائرة الشؤون السياسية العربية

دائرة الإعلام والتوجيه القومي

دائرة التنظيم الشعبي

الدائرة المالية

وقد افتتحت المنظمة مكاتب لها في معظم الدول العربية للعناية بشؤون الفلسطينيين ولتكون الصلة بين المنظمة والحكومات والشعوب العربية في كل ما يتصل بقضية فلسطين.

ومن الناحية المالية، أنشأت المنظمة مؤسسة مالية تعرف بالصندوق القومي لتمويل حركة الكفاح الفلسطيني من موارد فلسطينية وعربية، ويقوم على إدارة الصندوق نخبة من رجال المال والأعمال من أبناء فلسطين، ويعتبر هذا الصندوق أول تنظيم مالي صحيح منذ كانت القضية الفلسطينية، بما توافر له من ضمانات المحاسبة والتدقيق والأمانة.

وفي المجال الإعلامي أنشأت المنظمة بعض المكاتب في الدول الأجنبية وهي ساعية لإنشاء مكاتب أخرى لدى الدول الصديقة، وقد أوفدت المنظمة خمسة وفود إلى دول عدم الانحياز في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية للتعريف بحقائق القضية الفلسطينية كما اشتركت المنظمة في عدد من المؤتمرات العربية والدولية.

وللمنظمة إذاعة خاصة تعرف بصوت منظمة التحرير الفلسطينية يتولى العمل فيها نخبة من الإذاعيين من أبناء فلسطين، وبرامجها مركزة على القضية الفلسطينية تستهدف التعبئة الوطنية لشعب فلسطين خاصة وللأمة العربية عامة.

وفي ميدان البحث العلمي أنشأت المنظمة مركزاً لإعداد الأبحاث والدراسات عن القضية الفلسطينية على مستوى علمي رفيع ليسد النقص الكبير الذي تشكو منه قضية فلسطين منذ زمن طويل.

أما على الصعيد الدولي فإن أعظم إنجازات المنظمة الزيارة الرسمية التي قام بها وفد منظمة التحرير الفلسطينية إلى جمهورية الصين الشعبية وكانت بمثابة اعتراف رسمي بمنظمة التحرير ممثلة لكفاح الشعب الفلسطيني، كما تجلى ذلك في البلاغ الرسمي الذي وقعه رئيس المنظمة ورئيس وزراء الصين، وقد جرى خلال هذه الزيارة الاتفاق على أمور هامة في المجال السياسي وغير السياسي، وقد أصبح للمنظمة بعثة فلسطينية في بكين تتمتع بجميع المزايا الدبلوماسية.

تلك هي الإنجازات التي استطاعت المنظمة أن تحققها في عام واحد وسط مصاعب جمة، ناشئة عن طبيعة القضية الفلسطينية وتطورها، وعن الظروف القاسية التي يعيشها شعب فلسطين في مواطنه ومهاجره.

وإن من اليسير أن توجه الانتقادات إلى المنظمة، فإن النقد حتى لو كان بناء هو من أيسر الأمور الوطنية النظرية، ولكن إقامة كيان لشعب فلسطين وإنشاء جيش

التحرير مع جميع المؤسسات القومية الأخرى، مبتدئاً من العدم، هو نفسه عمل ثوري مسؤول يعتبر المرحلة الأولى في تحرير فلسطين. ولكن أية حكومة عربية تقوم في وطنها مع شعب مستقر ومالكة لجميع المقومات والإمكانات، قد خلت من النقائص والمعايب؟ والواقع أن من حق شعب فلسطين أن يعتز بأن منظمة التحرير الفلسطينية قد حققت أكثر مما حققته أية حكومة عربية في عامها الأول بعد الاستقلال، وبين شعب فلسطين والاستقلال مرحلة أخطر وأعظم هي مرحلة الكفاح المرير لاسترداد الوطن السليب.

وعلى كل حال فإن هذه المقارنة بين منظمة التحرير وأية حكومة عربية لا تهدف إلى التفاخر فنحن من الأمة العربية وفينا معايبها، وفينا محاسنها، ولكنها تهدف إلى إدراك جسامة الأعباء الضخمة.

ولو شئنا أن نذهب قليلاً في ميدان المقارنة لوجدنا أن مؤسسات المنظمة التي تتألف من المجلس الوطني، واللجنة التنفيذية، ومجلس إدارة الصندوق القومي لا تقل في كفاءتها عن مثيلاتها في المؤسسات القومية لأية دولة عربية. ومع هذا فإن المنظمة تتطلع دوماً إلى دعوة الكفاءات الفلسطينية التي تستطيع أن تتفرغ للمسؤولية القومية، فلا بد أن تبلغ المنظمة أعلى مستوى من القدرة في التخطيط والتنفيذ، أمام عدو مجهز بالعديد من الكفاءات والإمكانات.

أما في عامنا المقبل فستكون خطة المنظمة توطيد إنجازاتها عمقاً واتساعاً، وفتح آفاق جديدة من العمل الوطني، وخاصة بصدد مشروعين هامين الأول التنظيم الشعبي والثاني الانتخابات العامة.

ويجب أن نعترف أن المنظمة لم تستطع أن تحقق نشاطاً ما بين تجمعات فلسطينية معينة، ولم يكن ذلك قصوراً أو إهمالاً من جانب المنظمة، فإن ذلك ناشئ عن مواقف عربية رسمية، ليس للمنظمة يد فيها ولا قدرة على مجابهتها، وستظل المنظمة مصابرة مثابرة حتى يتيسر الطريق أمامها، بوسيلة أو بأخرى.

وعلى أهمية إنجازات المنظمة ما تم منها وما نتطلع إليه، يأتي السؤال الكبير الخطير، متى يبدأ يوم التحرير؟ وإني أضع هذا السؤال أمامكم لأثير فكركم وعاطفتكم فأنتم تعيشون دفء العاطفة في عمركم، وحياة العلم في معاهدكم.

وللإجابة عن هذا السؤال لابد لنا أن نجعل نصب أعيننا أربع حقائق أساسية كل منها بديهية مستقلة بذاتها: الأولى، أنه كائنة ما كانت الخطة العسكرية لتحرير فلسطين، فلا بد أن يكون شعب فلسطين منظماً، ومهيأ بجميع الوسائل والأسباب ليخوض بنفسه معركة تحرير وطنه، فلا يمكن أن نتصور قضية تحريرية من غير شعبها

ممسكاً بزمام قضيته والسلاح بيده. الثانية، أن قضية فلسطين بالظروف العربية والدولية التي تلاحمت في صميمها منذ عام ١٩٤٧ قد تجاوزت حدود الشعب الفلسطيني وجعلت الأمة العربية بأسرها حكومات وشعوباً فريقاً أساسياً في معركة التحرير، فقد بات محتوماً كمصلحة عربية عليا، أن تعبأ في هذه المعركة جميع طاقات الأمة العربية وفي طليعتها شعب فلسطين. والثالثة، أن الكفاح المسلح، وإن يكن الحل الحاسم لتحرير فلسطين، إلا أن الجهود السياسية والإعلامية أمور لا يصح أن نزهد فيها، بل يجب أن نعطيها حقها الأوفى، رغماً عن أن العدو قد تقدمنا في الزمن وهو متفوق علينا في خبراته وإمكاناته. والرابعة، هي أن العرب قد أصيبوا بعد كارثة فلسطين بعقدة المبالغة في الحساب الدقيق، فكلما اجتمعنا نبالغ في حساب الضعف في القوى العربية. وقد أثبتت الحرب في فيتنام أن التصميم الثوري هو العامل الحاسم حتى حين يكون التكافؤ العسكري مفقوداً.

والحقيقة الأولى بالنسبة إلى كفاح شعب فلسطين تواجه صعوبة كبرى أريد أن أطرحها أمامكم لتكون محور تفكيركم ومداولاتكم اليوم وغداً، فإن حلها ليس ميسوراً بين عشية وضحاها. ونحن على عزم في أن نجد لها حلاً قريباً «يطلق منظمة التحرير من عقالها».

وفي اختياري هذا التعبير بالذات، «يطلق منظمة التحرير من عقالها»، أكون في الواقع قد عبرت عن هذه الصعوبة الكبرى التي تعانيها منظمة التحرير الفلسطينية، بل يعانيها شعب فلسطين بأسره.

ومن غير أن أحاول تحديد هذه الصعوبة وتعريفها يكفي أن أشير إلى أن كارثة فلسطين قد نجم عنها:

أولاً: انهيار الكيان القومي لشعب فلسطين.

ثانياً: خروج أرض فلسطين من حوزة شعب فلسطين، فالقسم الغربي وقع فريسة لاغتصاب إسرائيل والأجزاء الأخرى ألحقت بالإدارات العربية المجاورة.

ثالثاً: ما نتج عن ذلك من عزل شعب فلسطين عن ممارسة أية إرادة على أرض فلسطين.

رابعاً: تشتت الشعب الفلسطيني وقيام تجمعات فلسطينية متباعدة تتحكم فيها ظروف متباينة سواء ما تعلق بالسفر أو الإقامة أو العمل أو الحريات العامة. . .

ولهذا فقد نشأت منظمة التحرير لتعمل من غير أرض، من غير تجمع شعبي، من غير إرادة حرة. ومن أجل هذه الأسباب كان طبيعياً أن تولد منظمة التحرير

الفلسطينية «بقرار» من الدول العربية، ولو كانت الظروف عادية لكان من الطبيعي أن لا ينتظر الشعب الفلسطيني في قيام كيانه، صدور «قرار» من الدول العربية. . وبدأت الحركة الفلسطينية بداءة ذاتية، تماماً كما بدأت الحركات العربية الأخرى بداءة ذاتية، دور الدول العربية فيها دور المعاونة والمساندة لا دور المبادأة.

أقول هذا لا لأضع حداً فاصلاً بين شعب فلسطين والدول العربية الشقيقة، فإن شعب فلسطين يؤمن بالوحدة العربية وقد دعا إليها منذ نشأت القضية الفلسطينية، ولكن لأوضح أن منظمة التحرير قد حققت ما حققت من الإنجازات في هذا العام بترخيص من الدول العربية وإلى المدى الذي سار إليه هذا الترخيص.

ولا شك أن الدول العربية الشقيقة، وخاصة المتاخمة منها لإسرائيل، تتحمل مسؤوليات ضخمة في سبيل قضية فلسطين، ولكن هنالك فارقاً كبيراً في نشاط منظمة التحرير بين «الترخيص» وهو يتفاوت من دولة لأخرى، وبين «الإرادة الحرة» القادرة على التخطيط الحر والتنفيذ الحر على أرض الوطن ومع الشعب. وهذا هو الفارق الكبير بين قضية الجزائر وقضية فلسطين، بل لعل قضية فلسطين بالنسبة إلى هذه الظاهرة الفريدة، فريدة حقاً ليس لها شبيه في جميع القضايا التحريرية في العالم.

ولقد وضعت أمامكم المصاعب التي يكابدها العمل الفلسطيني، لا لنفزع أو نجزع ولا لنرتد أمامها، ولكن لندرك أبعاد المسؤوليّة القومية، ولنضاعف من فكرنا وعزمنا لتذليلها والتغلب عليها، وأنه من سبق الوقت أن أحدثكم عما يجول في خاطري للخروج من «العقال» الذي يحيط بنا، فإن الأمر لا يتصل بمشيئة الشعب الفلسطيني وحده، وقضية فلسطين لم تعد تتصل بالشعب الفلسطيني وحده. إن قضية فلسطين قد أصبحت وستظل ملتحمة بالأمة العربية بأسرها، أمناً وسلاماً، وتقدماً وحضارة، بل مصيراً ووجوداً. إنه كفاح قاس مرير، على كل صعيد وفي كل ميدان.

وفي يومكم هذا تستطيعون، أيها الطلاب المناضلون، أن تؤدوا الكثير في خدمة القضية العربية، وقضية فلسطين سداها ولحمتها، وإن منظمة التحرير مستعدة أن تدعم عملكم بكل ما تستطيع.

أما في غدكم فإن الأمة العربية تنتظركم لحمل رسالتها الكبرى، وتنتظركم كذلك منظمة التحرير، فأنتم الطلائع، وكلنا في الميدان.

(١٥)

خطاب الشـــقيري في المجلس الوطني الفلسطيني في دور انعقاده الثاني في القاهرة، ٣١ أيار/مايو ١٩٦٥

من الصفات الكثيرة التي تردد عن الرئيس عبد الناصر أنه قائد ملهم، وليست صفة القائد الملهم بالصفة التي تنطلق عفواً، فالإلهام يأتي في الدقائق الأخيرة وبهذا يعرف الرجل بأنه قائد ملهم. لقد قال لنا الرئيس عبد الناصر: إنّه قرر المجيء في آخر دقيقة، وأثبت بهذا مرة أخرى أنه القائد الملهم لأن مجيء الرئيس عبد الناصر إلى حفلنا هذا، هو الأمر الطبيعي، وعندما يجتمع المجلس الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية في القاهرة قلعة النضال العربي، فمن الطبيعي أن يكون الرئيس عبد الناصر معنا وأن نكون مع عبد الناصر.

إن منظمة التحرير الفلسطينية قد انبثقت قيادة نضالية ثورية كجزء من العمل الثوري العربي الذي تحدث الرئيس عبد الناصر عنه طويلاً في مسائنا هذا، ولذلك من الطبيعي أن يكون البطل الثوري العربي مع منظمة التحرير الفلسطينية في حفلها هذا.

إنه قائد ملهم حقاً وقد تكلم كثيراً عن حملة التشكيك التي تسري في أجواء العالم العربي في بعض الصحف وفي بعض الإذاعات، تلك الأراجيف والإشاعات التي تنتشر من هنا وهناك. حملة التشكيك هذه التي تحدث عنها في قوة وفي حزم، كان الرئيس عبد الناصر القائد الملهم في مجيئه إلى حفلنا هذا حتى لا تنتشر حملة التشكيك، بأن الرئيس عبد الناصر لم يحضر حفل منظمة التحرير الفلسطينية. هذا الإلهام في الدقائق الأخيرة أراد به الرئيس عبد الناصر عملياً أن يقف بكل حزم أمام حملة التشكيك ويقف هنا معنا يتحدث معنا عن قضيتنا في يوم المجلس الوطني لأن شعبنا هو الشعب الثائر وهذا هو بطلنا الثائر.

هناك سبب آخر لضرورة مجيء الرئيس عبد الناصر ـ وأنا أقولها ضرورة ـ إلى اجتماع المجلس الوطني في دورته الثانية هنا في هذه القاعة.. فوق رأسي... تجدون هنا صورة الرئيس جمال عبد الناصر وشارة منظمة التحرير الفلسطينية وليس هذا بالأمر العفو، وليست هذه مصادفة أن تكون شارة منظمة التحرير إلى جوار صورة الرئيس عبد الناصر.. لقد استمعتم إلى الرئيس عبد الناصر وهو يحدثكم أن الكيان الفلسطيني كان يفكر فيه من سنين، الكيان الفلسطيني سبع سنوات وهو يترنح في الجامعة العربية، من مجلس الجامعة إلى اللجنة السياسية إلى لجنة الخبراء، الكيان الفلسطيني ذهب في كل أجواء العرب وعاش في كل مناخ من مناخات العرب.

اجتمعنا من أجل الكيان الفلسطيني في القاهرة وفي الرباط وفي بغداد، وبقي موضوع الكيان، ثمّ في الرياض وفي شتورة وبقي الكيان الفلسطيني يترنح سنة بعد سنة وعاماً بعد عام من مجلس الجامعة إلى لجنة السياسة إلى لجنة الخبراء، يطوف العالم العربي كله فلا يجد إلا الأبواب الموصدة. ولم يفتح باب الكيان الفلسطيني إلا يوم دعا الرئيس عبد الناصر إلى مؤتمر الذروة العربي، وهنالك في مؤتمر القاهرة الذي دعا إليه الرئيس عبد الناصر واستجاب إليه الملوك والرؤساء، هنالك وفي ذلك المؤتمر كان الحديث حول الكيان الفلسطيني، وتبددت الشكوك الكثيرة والمخاوف الكثيرة التي كانت تحيط بالكيان الفلسطيني، وهنالك ولد الكيان الفلسطيني تحت قبة مؤتمر الذروة العربي الأول الذي عقد في القاهرة، ولذلك من الطبيعي أن يكون معنا الرئيس عبد الناصر الذي كان العامل الأكبر في انبثاق منظمة التحرير الفلسطينية.

في مثل هذه الأيام منذ عام مضى، في يوم نزل مع التاريخ، في يوم نذكره ولا ننساه، في الثامن والعشرين من شهر أيار/ مايو وفي مدينتنا الخالدة في بيت المقدس، بعد ستة عشر عاماً من النكبة، ستة عشرة عاماً من البؤس والحرمان والتشريد والتشتيت، بعد كل هذا انعقد المؤتمر الفلسطيني الأول في مدينتنا في بيت المقدس، وأعلن أبناء فلسطين الذين وفدوا من كل أرجاء الوطن العربي الكبير والتقوا في مدينة القدس ـ أعلنوا ـ قيام منظمة التحرير الفلسطينية، وما أرادوا إلا أن تكون طليعة نضالية وأن تحتل مكاناً في العمل العربي الثوري الكبير الذي تحدث عنه الرئيس عبد الناصر.

وما أرادوها هيئة إعلامية أو سياسية فحسب، على رغم أنّ للإعلام فوائده وللسياسة فوائدها.

لقد أرادوها فوق هذا وقبل هذا أن تكون قائدة رائدة، أن تكون طليعة نضالية ثورية، أن تكافح وتنافح كما أشار الرئيس عبد الناصر، فمنظّمة التحرير ليس الغرض منها أن تزعج هذه الدولة أو تلك، ولا أن تدخل في خلافات بين هذه الدولة أو تلك إنما منظمة التحرير لا همّ لها ولا هدف لها إلا تحرير الوطن السليب هذا هو هدفنا.

لقد التقينا نحن الشعب المشتت المشرد، التقينا يوم التقينا على جبل المكبّر في مدينة القدس بكل ذكريات تكبيرات الفتح وما أغلاها وما أعزها، التقينا نحن جميعاً أبناء النكبة بكل أجيالها رجالاً ونساءً وشيوخاً وكهولاً، التقينا هنالك على جبل من أروع جبالنا ومن حولنا موطن الإسراء والمعراج، وفي الطرف الآخر كنيسة القيامة يضم ذلك جميعه كله أسوارنا العظيمة الشامخة أسوار التاريخ التي سقط الشهداء من حولها، جيلاً بعد جيل وقافلة بعد قافلة، من على ذلك الجبل وأجيال النكبة جميعاً يطلون على وطننا، هنالك عند الساحل الخصيب، يطلون على قرانا التي شهدت شبابنا على مدننا التي أنشأها رجالنا، على مرابع الصبا ومرابع الشباب، على كرومنا وزيتوننا ونخيلنا، على مروجنا الخضراء، على ذلك الوطن الذي يعجّ بالأمجاد والتاريخ والذكريات. نحن نلقي النظرات يوم كنا على جبلنا في مؤتمرنا ذاك وراء خطوط الهدنة ونرى بلادنا على مرمى البصر منا، فأوحى ذلك أيضاً ميثاقنا، ونحن يوم كتبنا ميثاقنا ذاك ما كتبناه بالحبر والمداد ولكن كتبنا ميثاقنا ووطننا السليب المغتصب على مرمى البصر منا فأوحى هذا البيان بأن الستة عشر عاماً التي قضاها الشعب الفلسطيني بالأنين وبالرثاء وبالدموع، كان ميثاقاً يومئذ بالعزم الأكيد وبالموقف القاطع.

إن وطننا هذا المستباح لا يرد بالنواح، لكن يرد كما قال الرئيس عبد الناصر بالكفاح المسلح.

التقينا أيها الإخوان في مؤتمرنا ذلك في أيام قضيناها أربعة بلياليها. . وكلنا الذين اجتمعنا في ذلك المؤتمر، نلتقي الوجوه بالوجوه والعيون بالعيون، بعد ذلك التشتت الطويل وبعد ذلك الحرمان نلتقي في جو رهيب، خليط من الرجاء واليأس، خليط من حس الفشل وحس النجاح، إخوتنا معنا وزراء خارجية الدول العربية وأمين عام الجامعة العربية مشفقون علينا، فما هو مصيرنا، وأعداؤنا يتربصون بنا، شامتون بما يمكن أن ينتهي إليه فشلنا، وإذا كانت إسرائيل على مقربة منا هي وصحفها فإن إذاعات الغرب وصحف الغرب وكل الدنيا كانت تتطلع إلى الشعب الفلسطيني.

وأعداؤنا يظنون بنا الظنون، ويرجف المرجفون بأنّ أهل فلسطين لن يلتقوا، وبأنّهم أصبحوا شيعاً وأحزاباً، شتتتهم الكارثة ودمرتهم وذهبت بهم كل مذهب فلن يكون بينهم لقاء ولن تجمعهم جامعة. كان هذا هو ما يتربص به العدو وما يرجف به المرجفون والمنافقون. ولكن الشعب الفلسطيني قد بدد هذه الأراجيف وهذه الأكاذيب، فالشعب الفلسطيني قد انتصر على كل هذه الشكوك وكل هذه الريب، الشعب الفلسطيني بدد السحب والغيوم الثقيلة منها والخفيفة. وكانت الأسئلة في كل مكان: هل يستطيع هذا المؤتمر أن ينجح؟ هل يمكن أن تقوم منظمة التحرير الفلسطينية؟ هل يستطيع الشعب الفلسطيني أن يلتئم بجمعه ويعود مرة ثانية إلى حمل مشعل قضيته ورسالتها وأمانتها؟ هل يستطيع الشعب الفلسطيني، بعد ما أصابه في ستة عشر عاماً من كل عوامل التبديد والتشتيت، أن يعود إلى التجمع إلى الراية إلى الثورية ليستأنف عمله وكفاحه من أجل تحرير فلسطين؟ أسئلة ملؤها الشك والريب، ملؤها الدس والكيد ولكن الشعب قد أجاب عليها بشعاراته الثلاثة: **الوحدة القومية، التعبئة الوطنية، التحرير**، كان هذا هو جواب الشعب.

وها نحن اليوم ينعقد المجلس الوطني في دورته الثانية في القاهرة في قلعة النضال العربي، نجتمع هنا لا لنخطب ولكن لنخطط، نجتمع هنا لننظر في المسيرة التي أمامنا نجتمع هنا لننظر في الزحف الذي ينتظرنا، نجتمع في غدنا في جلسة عمل كلها تصميم وكلها عزم. هنا في القاهرة نستعيد ما كان للقاهرة من تاريخ في تحرير فلسطين في عهد صلاح الدين الأيوبي والقاهرة ودمشق وبغداد كلها أسماء مقرونة بصلاح الدين الأيوبي في تحرير فلسطين.. نجتمع في يومنا لننظر فيما أنجزنا، ونبحث في ما يجب أن ننجز. والسؤال الكبير الذي سيعرض علينا في الغد، ماذا أنجزت منظمة التحرير الفلسطينية وما عليها أن تنجز في عامها المقبل؟ ننظر في عام مضى ونعد لعام مقبل.. إن منظمة التحرير الفلسطينية، ولا أريد أن أتحدث كثيراً عن إنجازاتها، لها الآن قيادة فلسطينية صغيرة من غير شك ولكننا نرجو أن تكبر وتنمو، لها الآن جيش تحرير فلسطين ينشأ ويسلح ويدرب في سيناء وفي غزة وفي سوريا وفي العراق، وإنا لنرجو أن يزداد هذا الجيش عدداً ويزداد تدريباً وكفاءةً. إن لمنظمة التحرير الفلسطينية صندوقاً قومياً يجمع من الأمة العربية والشعب الفلسطيني، وإننا لنرجو أن يمتد نشاطه ويتسع،إن لمنظمة التحرير الفلسطينية مقراً عاماً في مدينة القدس نرجو أن يصبح عاملاً مناضلاً ناشطاً إذا لم يكن الآن عاملاً وناشطاً ومناضلاً.

إن منظمة التحرير لها مكاتب في العالم العربي وفي الدول الأجنبية، ونطمح أن

تستطيع هذه المكاتب أن ترفع صيحة الشعب الفلسطيني وتشرح ظلامته. لا أريد أن أتحدث عن هذه الإنجازات سترونها في التقارير التي تقرأونها في غدكم، لكني أريد أن أتحدث عن إنجاز فوق كل هذه الإنجازات، إنجاز فوق إنشاء الجيش، إنشاء فوق انجاز المكاتب وإنشاء الصندوق القومي. فوق كل هذه الإنجازات على أهميتها وعلى قيمتها هنالك إنجاز أكبر من كل هذه الإنجازات هو أن منظمة التحرير الفلسطينية قد تجسدت فيها الشخصية الفلسطينية المستقلة.

الشخصية الفلسطينية، ضاعت بعد النكبة، الشعب الفلسطيني بقي شعباً، لقد هالته النكبة وأذهلته، وبحث إخواننا بعد النكبة في الرزق وفي الكساء وفي الغذاء وفي المأوى، ولكن الشخصية القومية الوطنية العاملة المناضلة قد انهدمت بعد النكبة، ولهذا فإننا نعتبر أكبر إنجازات منظمة التحرير الفلسطينية هي قيام الشخصية الوطنية الفلسطينية، فشعب فلسطين شعب عربي له مقوماته، وهذه الشخصية يجب أن تتجسد، والإرادة الفلسطينية في المجموعة العربية يجب أن تتجسد ويجب على الشعب الفلسطيني أن يُشعر كل إنسان في هذه الدنيا أننا هاهنا، نحن شعب من الشعوب العربية بإرادتنا المستقلة وشخصيتنا المتعاملة، ما هي بالشخصية المنعزلة المنطوية، وما هي بالشخصية الانفصالية، ولكنها شخصية قائمة مستقلة بذاتها وحدوية في صميم الوحدة العربية.

نحن شعب عريق كبقية الشعوب العربية، ولنا وطن أصيل كبقية الأوطان العربية، وتاريخنا هو تاريخ الأمة العربية اشتركنا في حضارتها وفي أمجادها، نحن منها وهي منا، هكذا كان حالنا وتاريخنا مع الأمة العربية في وطننا بشخصيتنا القائمة المستقلة. وفي عهد الانتداب امتدت هذه الشخصية لفلسطين قائمة بأحزابها وقادتها قائمة بمؤسساتها القومية، قائمة بكفاحها ونضالها، قائمة بإضراب الستة أشهر الذي أعلنته عام ١٩٣٦ قائمة بقوافل الشهداء الذين أرسلتهم في خلال ثلاثين عاماً والشعب الفلسطيني يقارع الاستعمار البريطاني.

الشخصية الفلسطينية قائمة على مدى ثلاثين عاماً متجسدة في أحزابنا ونوادينا في لجاننا القومية في كل أعمالنا وكفاحنا، وبقيت هذه الشخصية كاملة متكاملة عاملة ومناضلة. الشعب الفلسطيني كان يناضل في سنة ١٩١٩ ضد قوى الاستعمار البريطاني، وفي كثير من الأقطار في آسيا وفي أفريقيا ما أطلقت رصاصة واحدة في سبيل حريتها واستقلالها. هذا هو الشعب الفلسطيني، وهذه هي الشخصية الفلسطينية، لقد تهدمت بعد النكبة وبقي هذا الحال مع الشعب الفلسطيني سائراً

هكذا على غرار لا يدل على أن هنالك قضية فلسطينية، على الصعيد الفلسطيني لا عمل فلسطيني. على الصعيد العربي لا عمل فلسطيني قد يكون هنالك لفلسطين صوت أو صوت خافت في الجامعة العربية على مدى سنين طوال، كل شيء موجود إلا الشعب الفلسطيني، قضية فلسطين تتناولها الوفود العربية وذلك واجبها وهي مشكورة على هذا، ولكن الشعب الفلسطيني لم يكن موجوداً، كل القضايا التحررية في الأمم المتحدة كان شعبها وراءها منظماً في المحافل الدولية ومكافحاً في أرض الوطن، قضايا إفريقيا، القضايا العربية، القضايا الآسيوية كلها كانت موجودة في الأمم المتحدة وشعوبها وراءها منظمة مكافحة مناضلة.

الوفود العربية كانت تدافع عن القضية الفلسطينية، والجميع يسألون أين الشعب الفلسطيني؟ أين وفد فلسطين؟ أين هذا الشعب الذي تتحدثون عن قضيته في المحافل الدولية كلها أينما ذهبنا؟ الحكومات العربية مشكورة وهذا واجبها تتولى الدفاع عن قضية فلسطين لكن السؤال الرهيب السؤال الحزين أين شعب فلسطين هذا الذي تتحدثون عنه؟ إذا كانت هنالك قضية اسمها قضية فلسطين فلا بد أن يكون هنالك شعب هو الشعب الفلسطيني قائم بواجب النضال منظم أحسن تنظيم مدرب أحسن تدريب. كان هذا كله غائباً مغيباً، كان هذا كله بيننا وبينه حجاب، كان هذا يسير وكأنما الخطة الاستعمارية متوائمة مع هذا كله، كانت الخطة الاستعمارية في إسرائيل أو في أمريكا أو بريطانيا ترى سير هذه القضية والشعب الفلسطيني يمضي نحو التصفية. الشعب الفلسطيني يذوب شيئاً فشيئاً، وكان لهم منطق عجيب في الأمم المتحدة.

هذا المنطق سمعناه من أمريكا ومن بريطانيا ومن إسرائيل ومن الاستعمار الغربي كله: أنه لاشيء هنالك يعرف بالقضية الفلسطينية لا شيء هنالك يعرف بفلسطين، كلمة فلسطين كلمة جغرافية قديمة تاريخية قديمة، ارجعوا فيها إلى كتب التاريخ الماضية، إلى التوراة، فلسطين هذه انتهت بعد عهد الانتداب مغربها أصبح إسرائيل ومشرقها أصبح جزءاً من المملكة الأردنية الهاشمية، وشعبها أصبح مشتتاً مشرداً فلا الأرض موجودة ولا الشعب موجود. القضية إذاً غير موجودة.

هذا هو تخطيط الاستعمار في أن تصفى القضية الفلسطينية في أن يذوب الشعب الفلسطيني، ولكن مؤتمر القاهرة الذي دعا إليه الرئيس عبد الناصر قد قال للاستعمار لا.. وانبثقت منظمة التحرير الفلسطينية، ولذلك فإن الرئيس عبد الناصر على حق حينما قال لكم قبل هنيهة إن أمريكا والدوائر الغربية أكثر ما تخشى هو قيام

منظمة التحرير الفلسطينية، ولم؟ لأنهم ظنوا أن الشعب الفلسطيني قد انتهى وإذا انتهى الشعب فقد انتهت القضية، حتى لو بقيت الدول العربية تطالب بالحق السليب من أجل شعب فلسطين، لا فلسطين من غير شعب فلسطين، وأقولها لا تحرير لفلسطين من غير شعب فلسطين ولذلك الدوائر الغربية خشيت قيام منظمة التحرير الفلسطينية وأرادت لهذا الوليد الصغير، قبل أن يكبر وأن ينمو قبل أن يحمل السلاح قبل أن يكافح قبل أن يدخل إلى إسرائيل مدمراً ومخرباً أرادت أن تصهر منظمة التحرير وهي وليدة صغيرة، فأطلقت عناناً من الإشاعات والأراجيف، وأطلقت عناناً من المقالات والنشرات، وأطلقت عناناً من المكائد والدسائس، وقع ضحيتها كثير من البسطاء وكثير من الأقلام وكثير من الألسنة.

كانت هذه هي خطة أمريكا وبريطانيا والاستعمار الغربي كله: أن تذهب القضية الفلسطينية هباءً وتذهب هدراً ويذوب الشعب الفلسطيني، ولكن هذا الشعب حينما رأى الفرصة أمامه بعد مؤتمر القاهرة الأول، أقبل على إنشاء الكيان الفلسطيني ذلك الكيان الذي ما بناه الملوك والرؤساء ولا بنته الجامعة العربية وإنما بناه الشعب العربي بفعله وإرادته.

وهكذا أيها الإخوان إن أعظم إنجازات منظمة التحرير الفلسطينية، وان أعظم إنجازات يجب أن نحققها هي استمرار الشخصية الفلسطينية، هي تكامل الشخصية الفلسطينية. أمامنا لا يزال الطريق طويلاً لتتكامل الشخصية الفلسطينية لتستطيع الشخصية الفلسطينية، أن تعمل بإرادة حرة مستمدة من ذاتها ومن كيانها ومن وجودها.

إن أعظم إنجازاتنا بعد سبعة عشر عاماً أن نقول للعالم نحن هنا وشعب فلسطين هنا ومنظمة التحرير هنا، هذه أكبر إنجازاتنا على الصعيد الفلسطيني وعلى الصعيد الدولي، ومن أجل ذلك استطاعت هذه الشخصية الفلسطينية أن تجد مكاناً لها على الصعيد الدولي.

مؤتمر عدم الانحياز الذي انعقد في القاهرة كيف عالج قضية فلسطين؟ عالجها على أساس وجود الشعب الفلسطيني وجود الشخصية الفلسطينية، الذاتية الفلسطينية، وجود الكفاح الفلسطيني وحق الشعب الفلسطيني في تحرير وطنه، في المؤتمرات السابقة ابتداءً من مؤتمر باندونغ فما بعد، كان يشير إلى قضية فلسطين على أنها قضية لاجئين، على أنها قضية إنسانية بل على أنها قضية قرارات الأمم المتحدة. ولكن مؤتمر دول عدم الانحياز الذي انعقد في القاهرة قد حقق أكبر انتصارات

للقضية الفلسطينية لأنه اعترف بوجود الشخصية الفلسطينية، الذاتية الفلسطينية، القرار الذي أصدره مؤتمر دول عدم الانحياز: نص على تأييد الشعب الفلسطيني، اعترف بوجود الشعب وحق الشعب الفلسطيني في تحرير وطنه، اعترف بوجود الوطن وحقه في التحرير ضد الاستعمار والعنصرية المتمثلين في إسرائيل. وبهذا شجب على إسرائيل على أنها قاعدة استعمارية، وعلى أنها وجود استعماري. هذا النصر الكبير الذي تجسد لمنظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر عدم الانحياز يجب أن نرد فيه الفضل إلى الرئيس عبد الناصر الذي قام بالجهد الكبير في ذلك.

ثم استطاعت منظمة التحرير الفلسطينية في مجال إثبات الشخصية الفلسطينية أن تضمن خطوة أوسع، خطوة كبيرة لا نستقل من شأنها.

زيارة وفد منظمة التحرير الفلسطينية إلى جمهورية الصين الشعبية، هذه الزيارة أيها الإخوان تجسدت فيها شخصية الشعب الفلسطيني تجسدت فيها إرادة الشعب الفلسطيني من أجل كفاحه لتحرير وطنه، وفد منظمة التحرير الفلسطينية استقبل في الصين الشعبية استقبالاً رائعاً شعبياً ورسمياً وحكومياً. والذي استقبل ليس العشرة أو الاثني عشر الذين كانوا في الوفد، ولكن استقبل الشعب كله وآمال الشعب وحق الشعب في تحرير وطنه. هذا هو الذي استقبل في الصين.

كان للوفد لقاء مع زعيم الصين ماوتسي تونج، كان للوفد لقاء مع رئيس الجمهورية ومع شواين لاي رئيس الوزراء.

ولا أريد الآن وأنا أتحدث على أمواج الأثير وكثير من الأعداء يلتقطون هذه الإذاعات، لا أريد أن أتحدث عن تفاصيل ما جرى بيننا وبين الصين، لكن البلاغ المشترك الذي صدر عن وفد منظمة التحرير الفلسطينية وجمهورية الصين الشعبية فيه الدلالة الكافية، هذا البلاغ المشترك أولاً فيه اعتراف بشخصية الشعب الفلسطيني: شواين لاى يوقع على الميمنة وأحمد الشقيري يوقع على الميسرة.

في هذا البلاغ المشترك تأييد قاطع لحق الشعب الفلسطيني في وطنه، لحق الشعب الفلسطيني في تحرير وطنه.

في هذا البلاغ المشترك إدانة كاملة قاطعة لإسرائيل على أنها قائمة على البغي والعدوان، وفي هذا البلاغ المشترك التزام من الصين الشعبية بمساعدة الشعب الفلسطيني في كفاحه من أجل تحرير وطنه، لا مساعدة سياسية فحسب، ولكن مساعدة واقعية فعلية، فالصين الشعبية تمدّنا بما ينفعنا في كفاحنا، هذا حقنا وما كان

هنالك من شرط في هذه المعونة وما كانت هنالك من قيود في هذه المعونة، معونة حرة غير مشروطة إلا بشرط واحد: لقد ارتضينا شرطاً واحداً على أنفسنا هو شرط حبيب علينا ما هو بغلّ في أعناقنا، شرط بيننا وبينهم أن يكون بيننا وبينهم النضال المشترك ضد الاستعمار وحيثما كان الاستعمار.

وكذلك الشخصية الفلسطينية تمد يدها إلى الدول الاشتراكية، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي، فالدول الاشتراكية بدأت تنظر إلى قضية فلسطين نظرة جديدة ابتداءً من عام ١٩٥٢. الاتحاد السوفيتي من عام ١٩٥٢ إلى يومنا هذا وهو يرد عنا غارات أمريكا وبريطانيا في مجلس الأمن: كم مرة أمريكا وبريطانيا تقدمت بمشروعات لمجلس الأمن، فيها إهانة لكرامتنا، فيها إهانة لشرفنا، في مجلس الأمن يتقدمون بمشروعات تدعو إلى الصلح بين العرب واليهود. .إلى إهدار حق الشعب الفلسطيني فلا نجد إلا الاتحاد السوفيتي بحق الفيتو، يرفع يده حتى يدفع هذا العار عن شرف الأمة العربية. ومن أجل هذا فإن منظمة التحرير الفلسطينية تمد يدها إلى الدول الاشتراكية حيث كانت في هذه الدنيا، إلى الاتحاد السوفيتي والدول المرافقة والمشاركة في هذا الطريق الكبير. نمد يدنا إليها لكن مد يد الأحرار إلى الأحرار والثوار إلى الثوار.

في هذا الوقت بالذات الذي كانت فيه الشخصية الفلسطينية تكبر وتنمو، في هذا الوقت الذي كانت تتحرك فيه القضية الفلسطينية على يد الشعب الفلسطيني، في هذا الوقت الذي كان فيه العمل العربي يتحرك بخطى ثابتة، طلع علينا بورقيبة بمقترحاته التي بدأ فيها في المشرق هنا، بعد أن خرج من القاهرة، وقد كان عجيباً غريباً أن الحبيب بورقيبة وقد استقبل هنا في البلد الذي يستقبل فيه الأحرار والذي يستقبل فيه الناس بكل ضيافة لم يكن له كلام حول القضية الفلسطينية من قريب أو من بعيد، وحتى إذا ما خرج من هنا، من القاهرة، من الجمهورية العربية المتحدة، إذ به يرسل التصريحات تلو التصريحات حول القضية الفلسطينية، وتساءل كثير من الناس وقرأت كثيراً من المقالات: لم ثار الشعب الفلسطيني على تصريحات بورقيبة؟ ولم تثور منظمة التحرير الفلسطينية على تصريحات بورقيبة؟ ولِمَ تأخذ منظمة التحرير الفلسطينية زمام المبادرة في طلب فصل تونس من الجامعة العربية، وإسقاط عضوية بورقيبة من مؤتمر الذروة العربي؟ سؤال عجيب غريب، من يطلب هذه المطالب إلا الشعب الفلسطيني صاحب قضية فلسطين أولاً وأخيراً.

نحن رفعنا هذه الصرخات ورفعتها معنا الدول العربية، إن موقف الشعب

الفلسطيني واضح وصريح، إن الشعب الفلسطيني لا يقبل أنصاف الحلول، إن الشعب الفلسطيني لا يقبل التقسيم ولا التوطين، الشعب الفلسطيني يرفض التعايش السلمي مع إسرائيل، ولا نرفضه من عاطفة فوّارة وانما نرفض ذلك عن رويّة وعن بصير، نرفض ذلك عن تفكير هادئ.

كيف يمكن أن يكون هنالك مصالحة بيننا وبين إسرائيل والنزاع القائم بيننا وبين إسرائيل ليس نزاعاً على حدود وليس نزاعاً عقائدياً، ليس نزاعاً على اتفاقية تجارية؟ بين تونس وبين فرنسا كان النزاع حول بنزرت وحول الجلاء وحول القواعد العسكرية، لكن النزاع بيننا وبين إسرائيل هو نزاع الوطن وهو نزاع الأرض.. هل هذه الأرض للأمة العربية؟ هل هذا الوطن هو للأمة العربية وللشعب الفلسطيني؟ الحبيب بورقيبة يقول إننا إذا حاولنا أن نأخذ شبراً واحداً من إسرائيل فإن ذلك مناف للأخلاق. أي قاموس للأخلاق، أخلاق بورقيبة هذه التي تمنعنا من تحرير أرضنا شبراً بعد شبر وجبلاً بعد جبل وقريةً بعد قرية حتى نطهرها خالصة للأمة العربية.. ثم من أين لبورقيبة أن يقرر مصير الشعب الفلسطيني؟ القضية لنا.. تحرير فلسطين يقع على عاتق الأمة العربية من غير شك، ولكن تقرير المصير هو لشعب فلسطين، شعب فلسطين هو الذي يقرر مصير فلسطين وليس بورقيبة، إن قضية فلسطين هي لنا، نحن أصحابها وفينا كثير من الكفاءات، فشعب فلسطين غني بالكفاءات والعبقريات. بعد التشريد وبعد النكبة تشتتت كفاءاتنا في الوطن العربي الكبير، أبناؤنا في الكويت يقومون بعبقريتهم وكفاءاتهم في بناء وطننا في الكويت وهو وطننا، أبناء فلسطين في ليبيا كذلك يعملون في ليبيا يساهمون في البناء والإنشاء، على أكتافنا نحن أبناء فلسطين نبني الوطن العربي.. إذا كانت الكفاءات الفلسطينية قادرة على بناء الوطن العربي الكبير، أفليست قادرة على تقرير المصير في الوطن الصغير.

ثم طلعت بعد ذلك الإذاعات التونسية تقول إن منظمة التحرير الفلسطينية قد وقفت موقفها هذا تبعاً لموقف القاهرة، وإن منظمة التحرير الفلسطينية ومن يعملون في منظمة التحرير الفلسطينية هم عملاء للقاهرة، وحاشا لله أن يكون في هذا الكفر من الكلام أو هذا الفجر من الكلام قليل أو كثير من الحق.

أولاً إن القاهرة معقل ثوار وحولها ثوار، ما حولها من عملاء. قال لكم الرئيس جمال عبد الناصر متواضعاً، وهي صفة عظيمة من صفات الرجل العظيم، قال لكم: إنه واحد من الثوار ولكننا نعلم أنه أكبر الثوار.. وحوله لا يكون مرتزقة

ومأجورون وعملاء، ولكن يكون حوله ثوار وأحرار، هذا بالنسبة إلى الرئيس وإلى القاهرة. أما بالنسبة إلينا فالحق كذلك قاطع ثابت: نحن شعب فلسطين لسنا شعب عملاء ولكننا أبطال وثوار وأحرار، وليس بين الفلسطينيين عميل واحد وليس فينا عملاء، وأقول هنا والرئيس عبد الناصر حاضر هنا: نحن مع الرئيس عبد الناصر زملاء سلاح ورفاق نضال.

يطالبنا الرئيس بورقيبة أن نكون على الحياد في الخلافات العربية، نحن نعلم أن هناك خلافاً بين تونس والقاهرة، وأن موقفنا هذا لم ينبع من خلاف بين تونس والقاهرة سواء كان هذا الخلاف قائماً أو موهوماً، نحن على الحياد حقاً إذا وقعت خلافات بين الدول العربية، فليس من شأننا أن يكون لنا موقف منها، مع أننا نطمع أن لا تكون قضية فلسطين عامل تفرقه، بل نريد أن تكون قضية فلسطين عامل توحيد، لا تهدر الدماء داخل الوطن، ولكن تهدر على حدود إسرائيل. هكذا يجب أن تكون قضية فلسطين، وهذا ما تفرضه قضية فلسطين. نحن على الحياد حقاً في الخلاف العربي لكننا لسنا على الحياد في قضية فلسطين، لا يمكن أن نكون على الحياد بالنسبة إلى قضية فلسطين، فإذا كان الخلاف بين دولتين فنحن نكون مع الدولة التي تكون مع فلسطين. وكل ملك يمشي مع فلسطين فنحن نمشي معه ومن لا يمشي مع فلسطين نرفض أن نمشي معه. .

ونحن نجتمع في هذه الأيام أيها الإخوان، وأحداث الاغارات الإسرائيلية على وطننا في الأردن، تلك الأحداث التي أشار إليها الرئيس عبد الناصر بكل عزم وبكل ثقة محذراً ألا تنال من أعصابنا وألا تفت من عضدنا. ونحن منظمة التحرير الفلسطينية نعي عمق هذه الأحداث وأبعادها وأغوارها، نحن في يومنا هذا في اجتماعنا هذا في المجلس الوطني وفي دورته الثانية، نرد على هذه الغارات الإسرائيلية بأن نرسلها تحية صادقة إلى الجيش الأردني الباسل.

وأقول الجيش الأردني الباسل، وأنا أعني بمعناه وبلفظه ومبناه جيش فلسطين الباسل.

إن منظمة التحرير الفلسطينية لا تعرف هذه النعوت والصفات، لا تعرف الاقليميات الضيقة، فنحن أمة واحدة وننادي بالوحدة ونعمل لها، ولا نعرف هذه الصفات والنعوت. وعندما يقال في بعض الأوقات: إن الجيش الأردني ٥٥ في المئة منه فلسطينيون و٤٥ في المئة منه أردنيون، نحن نرفض هذه التجزئة ونرفض هذه النسبة. الجيش الأردني فلسطيني وجيش فلسطين هو أردني، نحن نعتبر كل ضابط في

الجيش الأردني كل جندي في الجيش الأردني أنه فلسطيني، ونعتبر كل أردني فلسطينياً وكل فلسطيني أردنياً. هذا هو موقف منظمة التحرير.

إن نهر الأردن هو نهر من أنهار فلسطين نهر من أنهار الأردن إذا شئتم وحاشا لساقية صغيرة. وأنا أعلم وأنا هنا في مجرى وادى النيل أن نهر الأردن ليس أكبر من ساقية من سواقي النيل أو ترعة من ترع النيل.

هذا النهر الصغير لا يفصل الوطن الواحد ولا نعرف ضفة شرقية ولا غربية، نحن نعرف أن هنالك وطناً واحداً وشعباً واحداً وجيشاً واحداً.

هذه مسألة شرق الأردن، النعت الجديد النعت الاستعماري الذي نعته تشرشل في سنة ١٩٢١، وسماها يومئذ البريطانيون ترانس جوردون، وجاء المترجم العربي ولم يستطع أن يترجمها (عبر الأردن) فترجمها (شرق الأردن) وبهذا أصبح اللفظ هجيناً في ترجمته وفي أصله، ونحن لا نعرف جوردون ولا شرق الأردن، نحن نعرف أنه وطن واحد وأنه شعب واحد، ونحن نطمع قريباً في مجلسنا الوطني هذا أن يكون بيننا من أعضائه وصفى التلي وبهجت التلهوني، هذا الذي تفهمه منظمة التحرير.

ولكن علينا أن نذكر في هذه الغارات عدونا، علينا أن نذكر حين نذكر الضحايا الذين سقطوا حين نذكر المنازل التي نسفت حين نذكر الأطفال الذين تهشموا تحت الأنقاض وتحت الردم، علينا أن نذكر من هو عدونا؟ من الذي فجر هذه الألغام؟ من أين هذه الألغام التي فجرت؟ من أين هذه الأسلحة والذخائر التي حملها الغادرون الإسرائيليون من جاء بالإسرائيليين؟ إلى أرضنا ووطننا؟ علينا أن نرى الصورة في أبعادها الحقيقية وفي أعماقها وأغوارها، من الذي جاء باليهود وبالهجرة اليهودية لثلاثين عاماً؟ وراء الحراب البريطانية وبالتشريعات البريطانية الجائرة حتى ملأوا فلسطين بثلاثة أرباع مليون من اليهود جاؤا من كل أقطار الأرض إلى أرض لا يعرفونها ولا يملكونها، هم شذّاذ تجمعوا وجاء بهم الاستعمار البريطاني. إنّ الذين دخلوا على قرانا وأغاروا تلك الغارات، جاءت بهم بريطانيا وهي التي أنشأت الوطن القومي سنة بعد سنة بكل هذا الجور وهذا العسف وهذا الظلم، وهذه الأسلحة والذخائر التي أطلقوها وفجروها، من أين جاءوا بها؟ لقد جاءوا بها، من الولايات المتحدة من أمريكا ومن ألمانيا الغربية ومن المصادر التي سردها لنا الرئيس عبد الناصر.

إن دم أطفالنا هو في عنق أمريكا، إن ذبح رجالنا ونسائنا ونسف منازلنا

يقع عاتقه على الولايات المتحدة التي جاءت بهذا الشر من البداية، وزير خارجية الولايات المتحدة دين راسك قبل ثلاثة أو أربعة أيام استدعى سفير إسرائيل وأنبّه على هذه الغارات. ما أكذب هذه الأحاديث، هذا تشويه للحقيقة صارخ على الحق، الولايات المتحدة أرسلت إلى إسرائيل قبل ثلاثة أسابيع صواريخ هوك، الولايات المتحدة بواخرها أنزلت مراسيها في ميناء حيفا صواريخ هوك وذهب رئيس وزراء العصابة الإسرائيلية واستقبل صواريخ هوك، أمريكا ترسل الصواريخ إلى إسرائيل ووزير خارجية الولايات المتحدة يستدعي السفير الإسرائيلي ويندد بهذه الغارات.

هذه سخرية على الحق وأكذوبة على العدل. لا تستطيع أن تفعل مثل هذه الأكذوبة ومثل هذا الظلم الصارخ إلا دولة كالولايات المتحدة ألفت هذه المظالم فهي فوق هذا وبعد كل هذا، الولايات المتحدة نفسها ترسل جيشاً عرمرماً على جمهورية الدومنيك، لماذا؟ لأن حكومة الدومنيك الجديدة ليست على مزاج الولايات المتحدة، حكومة من الشعب ليسوا من المهاجرين ولا من الغرباء كالإسرائيليين، ليسوا من الباغين الذين دخلوا على غير أرضهم وعلى غير ديارهم. أبناء جمهورية الدومنيك غيّروا الحكومة غيّروا لونها غيّروا دستورها، فبعثت الولايات المتحدة بجيش عرمرم لأنها لا تريد أن يكون قريباً منها حكومة ليست على مزاجها ولا على شهيتها.

نحن يطلب منا أن يكون في عقر دارنا حكومة ليست على مزاجنا وإنما حكومة باغية تدخل ديارنا وتستبيح أرضنا وتعتدي على كل حقوقنا. والولايات المتحدة بعد هذا تقول إن إسرائيل قد وجدت لتبقى وكان حقاً علينا أن نقول للولايات المتحدة ما دمتم تحبون إسرائيل هذا الحب العجيب وفي هذه الفتنة العجيبة المدللة فخذوا إسرائيل وضعوها حول البيت الأبيض إذا شئتم دون أن تعتدوا على حق الشعب الفلسطيني.

أيها الإخوان:

غداً يجتمع مجلسكم لنحاسب أنفسنا في ما فرّطنا وفي ما قصّرنا وفي العثرات التي وقعنا فيها. إنّ عمر منظمة التحرير الفلسطينية ثمانية أشهر لأن حياتها بدأت بعد مؤتمر الإسكندرية ولقد وقفت أمام صعوبات ولا أريد الآن أن أتحدث عنها، ووقفت أمام عثرات ولا أريد أن أتحدث عنها، يجب أن نحاسب أنفسنا جميعاً في ما قصرنا وأن ننظر في خطيئاتنا، وأن نعرف أين خطيئاتنا وأنا أبدأ بنفسي وأنا الآن أخاطب

المجلس الوطني. أنا أمامكم أمام الحساب حاسبوني في كل خطأ ترونه وقوّموا اعوجاجي في كل خطأ وقعت فيه. فإذا رأيتموني غير جدير بثقتكم ولا حمل أمانتكم فجنبوني جانباً وأتوا برجل آخر يحمل أمانتكم..

لا نريد أن نكرر مآسي القضية الفلسطينية في ماضيها ونتستر على عيوبنا وعلى عوراتنا، فإذا كانت فينا عيوب أو عورات فلنكشف عنها ونعرف مكان الصواب ونَسِرْ فيه. أمامنا أمور تتصل بالميزانية، وأمور تتصل بالمكاتب وبالرواتب وقد يكون هنالك كثير من الخطأ، وكثير من العثرات، وكل هذا يجب أن يستحوذ على اهتمامنا، ولكن شيئاً واحداً يجب ألا تشغلنا عنه هذه الأمور على أهميتها، فنحن في منظمة التحرير الفلسطينية أمام هدف كبير، هدفنا الكبير الذي يجب ألا يغيب عن أبصارنا لحظة واحدة هو تعبئة الشعب الفلسطيني في معركته من أجل تحرير وطنه.

يجب أن نعدّ الشعب الفلسطيني لمعركته، الأمة العربية تعد نفسها لمعركتها الكبيرة، ذكر لكم الرئيس جمال عبد الناصر ما تعانيه الجامعة العربية والعمل العربي الموحد.

ما تعانيه اجتماعات الرؤساء والملوك والوزراء، وأنه لابد هنالك من العمل الثوري العربي الكبير. نحن منظمة التحرير الفلسطينية سنجتمع غداً أيها الرئيس عبد الناصر لنرى أين مكاننا في هذا العمل الثوري العربي الكبير؟ نحن نعد أنفسنا لمعركة التحرير نجند شبابنا ورجالنا ونساءنا، والعمل الثوري الكبير يعد نفسه للمعركة الكبرى، كل ما نريده من الجيوش العربية أن تقف على الحدود ثابتة الخطى، كل ما نريده من الجيوش العربية ألا ترجع خطوة واحدة إلى الوراء بعد أن تستكمل عتادها وسلاحها وتدريبها، كل ما نريده من الجيوش العربية أن ترد الثارات والغارات، كل ما نريده من الجيوش العربية أن تقف وقفة رجل واحد وينطلق الشعب الفلسطيني وهو قادر على تحرير وطنه.

(١٦)

بيان الشقيري لشعب فلسطين حول مؤتمر القمة في الدار البيضاء، أيلول/سبتمبر ١٩٦٥

إخواني أبناء فلسطين:

تقف منظمة التحرير الفلسطينية هذه الأيام على عتبات عامها الثاني، فلقد بدأت عامها الأول في مؤتمر القمة العربي في الإسكندرية وبعد أيام قلائل ستقدم المنظمة إلى مؤتمر الملوك والرؤساء في الدار البيضاء تقريراً عن الإنجازات التي تم تحقيقها والتي نتطلع إلى بلوغها. إنَّ من حق الشعب الفلسطيني أن يعرف حقائق هذا التقرير قبل أن يعرفها الملوك والرؤساء، فإن قضية فلسطين هي ملك شعب فلسطين ومن حق الشعب أن يعرف أين وصلت قضيته المقدسة.

لقد انتهى إلى غير رجعة ذلك الزمان الذي كانت تعالج فيه قضية فلسطين في الاجتماعات المقفلة محجبة وراء الأستار، تكتنفها أشباح من الأسرار، ثم تصرف أمورها بالإشارات والبسمات بعيدة عن الشعب والشعب بعيد عنها.

وفي طليعة إنجازات المنظمة، أريد اليوم أن أضع أمامكم الأمور العسكرية أولاً: فنحن منظمة تحرير ولا تحرير من غير تنظيم ولا كفاح من غير تدريب وسلاح. ولقد قطعنا شوطاً بعيداً في إنشاء جيش التحرير، فوحداتنا العسكرية تدرب أحسن تدريب وعلى أيدي أعلى الخبرات العربية، والسلاح بأيدي جنودنا أمضى سلاح والنظام أبدع نظام، ثكناتنا ومراكزنا في قطاع غزة، في الجمهورية العربية المتحدة، في العراق، وفي سوريا، والعشرات من شبابنا يتعلمون صناعة التحرير فناً وتدريباً في القاهرة ودمشق وبغداد.

جيشكم هذا، يا أبناء فلسطين، يشكل ويبني ويسلح ويدرب ليكون جيش تحرير بكل ما في التحرير من معنى، جيشكم هذا يا أبناء فلسطين ليس الجيش النظامي الرابع عشر بين جيوش الدول العربية، ولكنه جيش نظامي ثوري كتائبه من الفدائيين الذين ينتظرون ساعة الصفر ليكونوا طلائع الفداء في معركة التحرير. . . وقد افتتحت المنظمة معسكرات للتدريب الشعبي في قطاع غزة والجمهورية العربية المتحدة والكويت، فلا بد لجيش التحرير من قاعدة شعبية مدربة يستمد منها على الدوام قوافل أبطاله.

ولقد أقبل شبابنا وطلابنا على التدريب العسكري بحماسة بالغة مثيرة للإعجاب والتقدير، وبلغ عدد الذين أتموا فترة التدريب ثمانية آلاف بين شاب وطالب. هذه هي انجازات المنظمة من الناحية العسكرية، أمّا في مجال التنظيم العام فقد أنشأت المنظمة مقرها الرئيسي في مدينة القدس وفيه الدوائر الست الآتية:

١ ـ الدائرة العسكرية

٢ ـ دائرة الشؤون السياسية العربية

٣ ـ دائرة الشؤون السياسية الخارجية

٤ ـ دائرة الإعلام والتوجيه الوطني

٥ ـ دائرة التنظيم الشعبي

٦ ـ وأخيراً الدائرة المالية

وكل هذه الدوائر مجمّعة في مقر المنظمة حيث يرفرف علم فلسطين توكيداً لشخصية شعب فلسطين، وارتباطه بأرض فلسطين، وتعلقه بمدينته الخالدة بيت المقدس، الحاضرة الأولى لفلسطين. وافتتحت المنظمة مكاتب لها في معظم العواصم العربية لا لتكون سفارات دبلوماسية أو لتؤدي عملاً مكتبياً روتينياً ولكنها لتحمل رسالة الكفاح والنضال إلى الأمة العربية ولتكون الصلة الدائمة مع الحكومات العربية في كل ما يتعلق بقضية فلسطين، ولتعنى هذه المكاتب بشؤون أبناء فلسطين، وما أكثر هذه الشؤون بل ما أكثر هذه الشجون، ولتعينهم في ما يواجهون من مصاعب، وما أقسى هذه المصاعب وأعسرها.

ومن الناحية المالية أنشأت المنظمة الصندوق القومي لتمويل حركة الكفاح الفلسطيني، ويقوم على إدارة الصندوق نخبة من أبناء فلسطين الذين عرفوا

بالكفاءة الممتازة في ميدان الأعمال العامة، وأن حسابات هذا الصندوق مفتوحة أمامكم جميعاً، يا أبناء فلسطين، على من شاء أن يحاسب ومن شاء أن يدقق ومن شاء أن يفتش، فإن أبواب الصندوق مفتوحة على مصراعيها، وهذه هي أول مرة في تاريخ القضية الفلسطينية تكون فيها أموال الشعب تحت مراقبة الشعب. وفي مجال الإعلام قامت المنظمة بنشاط بارز: فقد أسست مكاتب في عدد من الدول الصديقة، واشتركت في عدد من المؤتمرات الدولية والعربية، وأرسلت عدة وفود إلى كل آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية والفاتيكان للتعريف بحقائق القضية الفلسطينية.

وفي هذا الميدان تصارع المنظمة عدوها إسرائيل، وهي تتفوق علينا في الخبرات وفي الإمكانيات ولها سبق طويل الزمان. وأنشأت المنظمة إذاعة مستقلة ترفع صوت فلسطين عالياً على أمواج الأثير، وهي تجعل الفن واللحن والكلمة في خدمة فلسطين، وبهذا تلتقي أسماع الشعب وأفئدة الشعب على أمله الكبير أمل العودة والتحرير.

وفي ميدان البحث العلمي أنشأت المنظمة مركزاً للأبحاث والدراسات عن القضية الفلسطينية في جميع مراحلها وتطوراتها، ولطالما كانت الشكوى الصارخة والحاجة الملحة إلى معهد علمي تتجمع فيه كل الدراسات عن قضية فلسطين لنستطيع أن نؤكد عن حق أن العالم والحق يلتقيان في قضية فلسطين. ولا بد لي في ختام إنجازات المنظمة إلا أن أشير إلى ذلك النصر الدولي الكبير الذي حققته زيارة وفد المنظمة إلى الصين الشعبية: ولست أريد أن أتحدث عن الاستقبالات الشعبية تلك الاستقبالات الشعبية الكبرى التي لقيناها، ولا أريد أن أتحدث عن الاجتماعات الرسمية التي عقدناها مع زعماء الصين الشعبية، ولا أريد أن أتحدث عن البلاغ المشترك الذي وقعه رئيس وزراء الصين من جانب، ورئيس المنظمة من الجانب الآخر، تأييداً لكفاح الشعب الفلسطيني في تحرير وطنه. ولكني أكتفي أن أقولها كلمة موجزة كلمة مليئة بالمعاني: إنّ الاتفاق الذي تم بيننا وبين الصين الشعبية تناول أموراً هامة، أموراً غير سياسية لا أبيح لنفسي أن أكشف عن تفاصيلها من وراء هذا المذياع، وشعب فلسطين شعب ذكي الفؤاد تغنيه الإشارة عن العبارة.

هذه هي إنجازات منظمتكم يا أبناء فلسطين، إنجازات استطعنا تحقيقها في عام واحد فقط مع أننا نبني على أرض مملوءة بالخرائب والدمار. بدأنا على العدم لا نملك

من قضيتنا إلا الدموع والحسرات ولا نملك من قضيتنا إلا الأماني والتمنيات، وعلى ظهورنا تركة حزينة مثقلة بالمغارم والمظالم، مرهقة بالكارثة بأمراضها وأعراضها. هذه هي إنجازات المنظمة لو تحدثنا عنها قبل عام لكان الحديث خيالاً من خيال، ولقد كان الكيان عن الكلام الفلسطيني مشبوهاً أو حراماً، وكان إنشاء جيش التحرير حلماً طريفاً غارقاً في دنيا الأحلام، وكان إنشاء صندوق فلسطين نظيفاً كريماً من الأطياف، وكانت إقامة مكاتب لفلسطين في العالم العربي والعالم الدولي أملاً من أعذب الآمال. أما الاعظم والأهمّ فهو إعادة بناء الشخصية الفلسطينية وتجسيد الإرادة الفلسطينية، واسترداد الكرامة الفلسطينية وقد حققناها بعد أن كانت أمراً بعيد المنال يقف دونه التشتيت والتشرد والضياع.

اليوم وقد تحقق كل هذا.. فإن منظمة التحرير حقيقة قائمة ومعها جميع مؤسساتنا القومية، وجيش التحرير الفلسطيني حقيقة قائمة بقيادته بضباطه بجنوده بثكناته وبأسلحته، وفي هذا كله تتمثل إرادتنا وشخصيتنا وتتمثل آمالنا وعزائمنا، ونقف على أول الطريق لتحرير الوطن السليب. ولم تكن هذه الإنجازات يا أبناء فلسطين سهلة أو لينة، فنحن لم نجد هذه الإنجازات على قارعة الطريق لقية أو لقطة، لقد انتزعت هذه الإنجازات من مخالب النكبة ومن أنياب الكارثة: كل شيء كان معدوماً ومفقوداً ولكنه أصبح الآن قائماً وموجوداً، وإن لم يكن إيجاده بالأمر اليسير، وكان لابد من سهر وصبر وكان لابد من دهاء ومكر ﴿**والله خير الماكرين**﴾.

أجل يا أبناء فلسطين، لم تكن هذه الإنجازات سهلة فقد وجدنا أنفسنا بعد الكارثة أمام كوارث ثلاث:

الأولى أننا فقدنا وطننا وسيادتنا على وطننا.

الثانية أن شعبنا تشتت في الوطن العربي ليعيش تحت ظروف مريرة وقاسية.

الثالثة: أن إرادتنا الشعبية قد احتجبت وقد سقط زمام القضية من أيدينا. ولما قامت المنظمة لتعدّ شعب فلسطين لمعركة العودة والتحرير، رأت نفسها وجهاً لوجه أمام المشكلة الكبرى: منظمة تحرير ومن غير وطن من غير شعب متجمع ومن غير إرادة حرة. ولم يسبق لأي حركة تحريرية، أي حركة تحريرية في التاريخ أن واجهت مثل هذا التحدي الكبير، فقد قاتل كل شعب أي شعب على وطنه من جباله وشواطئه ووهاده ولم يكن قتاله مشدوداً بإرادة غيره أو مربوطاً بمشيئة سواه.

ومن أجل ذلك فإن منظمة التحرير لم تكن تملك منذ البداية الإرادة الحرة في التخطيط والتنفيذ.

لقد نشأت المنظمة أسيرة لظروف الكارثة التي ولدت على فراشها. وكان لا بد للمنظمة كي تحرر الأرض السليبة أن تحرر الإرادة الحبيسة، إرادة الشعب العربي الفلسطيني. ويوم يكتب تاريخ الكيان الفلسطيني بكل أسراره وتفاصيله ستعرف أيها الشعب أن قيام منظمة التحرير كان أعظم عمل نضالي ثوري أمكن تحقيقه بعد تسعة عشر عاماً من النكبة.

ويوم يحقق الله العودة الكريمة إلى الوطن الحبيب، سيكتب التاريخ أن قيام منظمة التحرير كان المرحلة الأولى في تحرير الوطن السليب. ولكن ليس معنى هذا أن نقعد عند هذه الإنجازات نفاخر بها ونطرب على أمجادها، فإن هذه الإنجازات يجب أن تزداد رسوخاً واتساعاً. العام الذي مضى.. بإنجازاته، فماذا أعددنا لعامنا المقبل؟ ما هي خططنا لعامنا المقبل؟ بعد بضعة أيام سيبدأ مؤتمر الملوك والرؤساء اجتماعاته في الدار البيضاء وسيشترك وفد المنظمة في هذه الاجتماعات فماذا نريد من الملوك والرؤساء في الدار البيضاء؟ سندخل الدار البيضاء وعلى سيارة وفدنا علم فلسطين مرفرفاً، سنجد أنفسنا إلى جوار الملوك والرؤساء كتفاً إلى كتف نأكل على موائدهم ونساهم في اجتماعاتهم ونخط توقيعنا بين تواقيعهم. وقد يكون في ذلك إشباع لضعفنا الإنساني أو لغرورنا الإنساني، ولكن ما لهذا ذاهبون إلى الدار البيضاء...

إن تمثيل الشخصية الفلسطينية في مؤتمر الملوك والرؤساء يحمل معنى رحباً سامياً وما في ذلك شك ولا ريب، بعد أن لم يكن لفلسطين كلمة تقال أو صوت يسمع في السنين التي جاءت بعد الكارثة، ولكن ما لهذا نحن ذاهبون إلى الدار البيضاء. إن مظاهر الحفاوة والتكريم التي سنلقاها في الدار البيضاء ستطلق ألسنتنا بالحمد والشكر، وإن كانت ستملأ قلوبنا أسى وحزناً، فلا كرامة لإنسان من غير وطنه الصغير، وإن كان يعيش في وطنه الكبير، ولكن ما للتكريم ولا للحفاوة نحن ذاهبون إلى الدار البيضاء.

نحن ذاهبون إلى الدار البيضاء لتحقيق خطتنا وتذليل مصاعبنا، فما هي خططنا وما هي مصاعبنا؟ إن جيش التحرير العربي الفلسطيني يجب أن يزداد عدداً وعدداً، جيش التحرير يجب أن تنشأ كتائبه على أرض فلسطين حيثما كانت أرض فلسطين وعلى طول خطوط الهدنة من الناقورة حتى رفح، فهناك المنطلق

الكبير إلى التحرير. ونظام التجنيد، ولا أسميه الإجباري لأن أبناء فلسطين جميعاً في شوق إلى السلاح، ونظام التجنيد هذا يجب أن يشمل جميع القادرين على حمل السلاح من شعب فلسطين، الشعب كله مصمم أن يكون في الميدان في قلب المعركة.

نظام التجنيد يطبق الآن في قطاع غزة على العائدين وعلى المقيمين على السواء، وجميعهم يقبلون على التجنيد بكل حماسة وحمية تلاحقهم تهاليل الآباء وزغاريد الأمهات. ولكن شرف الجندية الذي حمله قطاع غزة بكل إمكان وإيمان يجب أن يشمل أبناء فلسطين جميعاً حيثما أقاموا في الوطن العربي الكبير في سوريا، وفي لبنان، وفي الأردن شعبنا، وفي الأردن وطننا، وكل رابية في الضفة الغربية هي جيش بذاته. إن فلسطين ليست لأبناء غزة وحدهم ولكن فلسطين هي لشعب فلسطين بأسره، والشعب كله يجب أن يتساوى أمام الحقوق والواجبات وفي ميدان البذل والتضحيات.

وهذا أول ما سندعو الملوك والرؤساء إلى تحقيقه. هذا بالنسبة إلى جيش التحرير، أما بالنسبة إلى حياتنا القومية العامة فهناك موضوع توليه المنظمة كل اهتمامها وكل عنايتها، وهو السفر والإقامة والعمل لأبناء فلسطين.

إن منظمة التحرير تدرك إدراكاً عميقاً جميع المتاعب التي يعانيها أبناء فلسطين من حيث السفر والإقامة والعمل، وإنها مصاعب قد طال عليها الزمن ولا يمكن أن ترضى المنظمة بقاءها واستمرارها. ولقد صدرت بشأن هذا الموضوع عدة توصيات من الجامعة العربية خلال التسعة عشر عاماً الماضية ولكن بقيت المصاعب وبقي أهل فلسطين يقاسون ويعانون.

منذ بدأت المنظمة أعمالها وهي تتابع موضوع السفر والإقامة والعمل تلاحقه من لجنة إلى لجنة ومن اجتماع إلى اجتماع ومن دولة إلى دولة، حتى استطعنا إدراجه أخيراً على جدول أعمال الملوك والرؤساء في الدار البيضاء، وستتقدم المنظمة بمطالب حازمة تدعو إلى معاملة أبناء فلسطين معاملة المواطنين يسافرون ويقيمون تماماً كما يفعل المواطنون.

يدخل في هذا المجال أيضاً موضوع التنظيم الشعبي وإجراء الانتخابات العامة للمجلس الوطني المقبل. وفي هذه الأمور كذلك ستطالب المنظمة بأن تيسر الطريق أمامنا للعمل القومي البناء بعيداً عن التدخل في الشؤون الداخلية لأية دولة عربية،

فإن لكل فلسطيني أن يمارس حقه القومي كاملاً في جميع النشاطات الشعبية. إن قيام تنظيم شعبي وإنشاء مجلس وطني منتخب انتخاباً حراً يؤلفان خطوة كبرى في إعداد الشعب الفلسطيني لتحرير وطنه، ومنظمة التحرير لا تقوم من غير شعب والشعب لا ينهض من غير تنظيم، ولا تنظيم إلا إذا توافرت حرية الحركة والعمل والاجتماع بعيداً عن أية مؤثرات وإغراءات.

والواقع أن هذه الأمور كلها تنبع من موضوع كبير هو حرية المنظمة في مجال العمل القومي، لقد ولدت المنظمة بترخيص من الدول العربية، ولم يكن هذا ما اختاره الشعب الفلسطيني، ولكن هذا ما فرضته الكارثة التي حلت بوطنه، وهذا ما انتهى إليه أمر المنظمة بعد مؤتمر الإسكندرية إلى يومنا هذا.

المنظمة تمارس نشاطها بقدر ما سمحت الدول العربية، وهذا السماح يتفاوت ليناً وشدة من دولة إلى دولة أخرى، لكننا نطمع في مؤتمر الدار البيضاء أن ننتقل إلى مرحلة أخرى إلى مرحلة الحرية الكاملة في مجال النشاط القومي.

إذا كنا قد فقدنا أرضنا فلا يجوز أن نفقد إرادتنا، ولا يجوز أن نفقد حرية العمل من أجل قضيتنا، تلك هي مطالبنا سنطرحها أمام المؤتمر بكل صدق وبكل صراحة وعزيمة وسندافع عنها ما في وسعنا بالجهد من غير مواربة أو مجاملة.

لقد ضاعت فلسطين في مؤتمرات حافلة بالمواربة وفي اجتماعات غارقة بالمجاملة، ولكن ماذا لو رفضت مطالب المنظمة كلها أو بعضها؟ ماذا لو قبلتها بعض الدول العربية ورفضها البعض وتحفظ عليها البعض الآخر؟ ذلك هو السؤال الكبير ذلك هو السؤال الخطير هذا السؤال إلى أبناء فلسطين يجب أن يعيشه كل فلسطيني في عقله وفي فؤاده، ولست أسمح لنفسي بالإجابة عن هذا السؤال بالقول المشهور لكل حادث حديث. هذا القول صحيح في الأيام الرخوة من الحياة الرغيدة ولكنه ليس جديراً بقضية فلسطين ولا شعب فلسطين ولا كارثة فلسطين، وعلينا أن نفكر في الحديث قبل الحادث.

ولهذا فإني أدعوكم يا أبناء فلسطين جميعاً إلى التقدير وإلى التفكير، وقدروا أن تفشل مطالبنا كلها أو بعضها بل قدروا أن ينهار مؤتمر الملوك من أساسه ثم فكروا ماذا يجب أن نعمل، ويجب أن نقدر جميعاً يجب أن نفكر جميعاً، فإن منظمة التحرير ليست رئيس منظمة ولا أعضاءها ولا مدراء ها ولا موظفيها، إن المنظمة هي للشعب وأن المنظمة هي أمل الشعب.

في ذهني أيها الإخوان أفكار متعددة وخواطر شتى للإجابة عن هذا السؤال الكبير الخطير: ماذا نعمل إذا فشلت مطالبنا أو فشل المؤتمر؟ سأبقي ما في نفسي في نفسي لأزيده نضجاً وتفكيراً وتأملاً، ثم لأضعه في ميزان النتائج التي نصل إليها في مؤتمر الدار البيضاء. ومن أجل ذلك فسأعلن رأيي إلى الشعب سأعلن موقفي إلى الشعب من الدار البيضاء أو بعد الدار البيضاء ويومئذ يقول الشعب كلمته!!...

(١٧)

بيان الشقيري بعد عودته من مؤتمر الدار البيضاء، أيلول/سبتمبر ١٩٦٥

يا أبناء فلسطين، يا رجالها ونساءها، يا شبابها وطلابها، يا فلاحيها وعمالها، استمعوا إلي.

يا أبناء فلسطين في الأردن، حيث أرضنا الطيبة وشعبنا البطل.

يا أبناء فلسطين في قطاع غزة، حيث الرقعة الغالية تضم المقيمين والعائدين.

يا أبناء فلسطين، في سوريا ولبنان، في العراق والكويت والخليج ـ في السعودية والعربية المتحدة.

يا أبناء فلسطين، في الشمال الأفريقي من الوطن العربي حتى المحيط.

أنصتوا إليّ جميعاً، أعيروني سمعكم وعقلكم وضميركم، لأحدثكم عن القضية المقدسة التي تملك عليكم سمعكم وعقلكم وضميركم وجوارحكم وكل حياتكم.

ولست أحدثكم عن ماضي قضيتكم، فأنتم تعيشون إلى يومكم هذا قضية فلسطين، وكارثة فلسطين: تعيشونها في الخيام المهلهلة التي مزقتها السنون، وفي الكهوف التي احتوتكم الأعوام تلو الأعوام، في مدننا المشرفة على أرضنا السليبة، وفي قرانا المطلة على شاطئنا الخصيب وقد احتله الغاصب الدخيل.

ولكني أحدثكم عن حاضر قضية فلسطين إلى المرحلة التي بلغتها: أحدثكم عن مؤتمر الدار البيضاء، وفيمَ نجح وفيمَ فشل وأخفق؟

وسأحدثكم يا إخواني أبناء فلسطين، حديثاً واضحاً صريحاً كما أحدث نفسي

في نجواتي، لا أخفي عنكم أمراً إلا ما ينفع العدو أو يشمت له، فعند ذلك الحد وقوفي وصمتي.

لقد انعقد مؤتمر الدار البيضاء على شواطئ المحيط، وانعقدت حوله آمال الأمة العربية من المحيط إلى الخليج، وكان على جدول أعماله، عدة مواضيع لو جمعنا أطرافها لالتقت كلها تحت عنوان واحد عمره تسعة عشر عاماً، ألا وهو تحرير فلسطين.

وتحرير فلسطين، في أبسط بديهياته، يقوم على حقيقتين راسختين، تسيران جنباً إلى جنب في ترابط وانسجام: الأولى إعداد الشعب الفلسطيني إعداداً روحياً وعسكرياً ليخوض بنفسه معركة التحرير كطليعة للبذل والفداء.

والحقيقة الثانية تعبئة طاقات الأمة العربية، الروحية والمادية والعسكرية، منسقة منظمة موحدة تناضل كلها في ميدان التحرير.

ومن هنا كان إنشاء القيادة العربية الموحدة لتكون الأداة الفعالة للكفاح العربي، ومن هنا كان إنشاء منظمة التحرير، بجيش التحرير، لتكون الأداة المنفذة لحشد طاقات شعب فلسطين، استعداداً لتحرير فلسطين.

وقد أمضى مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء، كل أيامه وبعض لياليه وهو يبحث موضوع تحرير فلسطين، ولو أننا استثنينا الأمور العسكرية، فإن الحوار الذي دار في الجلسات المقفلة ليس سراً نخشى إذاعته، فإنه الحوار الذي يدور على ألسنة الملايين من الأمة العربية، في الحواضر والبوادي، إنه السؤال القديم الذي انطلق منذ النكبة: متى يكون تحرير فلسطين وكيف؟

ولقد دخل السؤال إلى الغرفة المقفلة التي التقى فيها الملوك والرؤساء، فهو سؤال كالموت يقتحم على الناس خلوتهم ولو كانوا في بروج مشيدة، فماذا كان الجواب؟

على الصعيد العربي أجاب مؤتمر القمة في الدار البيضاء عن هذا السؤال الكبير، بتوقيع التضامن العربي وإقرار خطة القيادة الموحدة لتحرير فلسطين.

والتضامن العربي وثيقة لا يمكن أن تنتقص من قدر المبادئ التي تضمنتها، والجديد فيها توكيد التوكيد، فجميع هذه المبادئ مودعة في ميثاق الجامعة وقراراتها، في أجمل عبارة وأكرم صياغة. ولقد مضى على الدول العربية عشرون عاماً منذ وقعوا ميثاق الجامعة، ولم يستطيعوا أن يحققوا التضامن العربي فيما بينهم، ومع هذا فإن

منظمة التحرير لا تستطيع أن تنكر أن هذه الخطوة الجليلة إذا نفذت بروح من الجد والإخلاص، يصح اعتبارها من أروع إنجازات مؤتمر القمة العربي، فإن تضافر الجهود العربية هو بداية الطريق لتحرير فلسطين.

وحين تحدثت باسم منظمة التحرير عن موضوع التضامن العربي أعربت عن الرجاء الملح والدعاء الحار، أن يشطب هذا الموضوع من جدول أعمال القمة العربي وإلى الأبد. وأكدت أن قضية فلسطين، بقداستها وفداحتها، تدعو إلى التضامن من غير شك، ولكن تكرار هذا الموضوع على جدول أعمال الملوك والرؤساء، ليس دليل خير، بل إنه دليل شر. إن وجود هذا الموضوع على جدول الأعمال ينبئ أننا مختلفون على الدوام، وأننا كلما التقينا تعاهدنا على التضامن لنلتقي في العام التالي، ونتعاهد على التضامن مرة أخرى.

ولقد ناشدت مؤتمر القمة بأن نبطل الشعار المألوف (فلسطين فوق الخلافات) فهذا الشعار جميل حقاً ولكن ما هو أسمى وأروع أن نرفع شعاراً أحق وأجدر (. . . لا خلافات وفلسطين محتلة).

أما بالنسبة للخطة العربية لتحرير فلسطين، فإن الذي تم الاتفاق عليه في هذه المرحلة أدنى بكثير من الإمكانات الضخمة التي تملكها الأمة العربية، إنها ليست في مستوى الذروة حقاً، ومع هذا، إذ استطاع الجهد العربي الموحد أن ينقل هذه الخطة من الورق إلى الميدان، يكون مؤتمر الدار البيضاء قد حقق إنجازاً جديراً بالتقدير، وستظل الأمة العربية ومعها شعب فلسطين، على موعد حاسم مع مؤتمر القمة المقبل في الجزائر نتطلع يوماً بعد يوم خلال العام كله، لنرى من الذين صدقوا في ما عاهدوا ومن الذين تخلفوا.

والواقع أن التخلف قد بدأ يتسلل إلى مؤتمر القمة العربي بعد أن أنهك الجامعة العربية منذ أن نشأت الجامعة العربية.

ولقد أصبح معروفاً أن الأردن عارض دخول القوات العراقية والسعودية، وبهذا أصبح المشروع العربي لتحويل الروافد من غير حماية عسكرية. لقد بدأنا المشروع بجلجلة صارخة، ثم تركناه تحت رحمة القدر فتحول التمويل إلى طريق آخر!! نعرف نهايته.

ولم يكن التخلف وحده هو الذي تسلل إلى مؤتمر القمة، فقد أخذ الروتين يزحف إليه زحفاً، ولقد ناشدت باسم منظمة التحرير، أن لا تقع مؤتمرات القمة

ضحية الروتين كما وقعت المنظمة العربية، وقد ضربت على ذلك مثلاً حياً يتجسد في ما وصل إليه مشروع المؤسسة المالية لتحرير فلسطين. هذا المشروع تقدمت به المنظمة إلى مؤتمر القمة في الإسكندرية، وهو مشروع وضعه نفر من الأخصائيين العرب، يهدف إلى إنشاء مؤسسة مالية ذات موارد ثابتة تتولى تمويل حركة الكفاح العربي لتحرير فلسطين، ومؤتمر الإسكندرية أحال المشروع لدراسته إلى لجنة متخصصة تؤلفها الجامعة، وقد قامت تلك اللجنة بدرسه فعلاً ووافقت على الكثير من الأسس التي اقترحتها المنظمة، فماذا كان مصير المشروع في الدار البيضاء؟ أحيل مرة ثانية لدراسته ثانية.

هذا هو أسلوب الروتين الذي نخر العمل العربي خلال تسعة عشر عاماً طوالاً ونحن في سباق مع الزمن، والزمن لا يرحم ولا يهمل.

ليس هذا أسلوب الثورة، وليس هذا أسلوب التحرير، وإذا دخل الروتين إلى مؤتمرات القمة، تهاوت القمة إلى القاع وهوى معها تحرير فلسطين.

والروتين لا يحول دون تحرير فلسطين فحسب، بل إنه في النهاية يؤول إلى تحقيق أطماع إسرائيل وأحلامها في عدوان جديد، وتوسع جديد، ذلك أن الزمن يسير في صالح إسرائيل وليس يسير في صالح العرب. وإذا لم نبادر إلى اختزال الزمن بمضاعفة الجهد، فسيقع تحرير فلسطين تحت رحمة الأسلحة الذرية، حين لا ينفك من قبضتها إلا بصنع السماء.

هذا هو الموقف العربي كما انتهى إليه مؤتمر القمة في الدار البيضاء، موقف إذا رافقه التنفيذ الجاد المخلص، لا نستطيع إلا أن نباركه ونفرح له، وإن كانت الكارثة لم تترك في قلوبنا مكاناً للفرح والسرور.

وأنتقل بكم الآن، يا إخواني أبناء فلسطين، إلى شؤوننا المباشرة، إلى مطالب منظمة التحرير الفلسطينية، التي تقدمت بها إلى مؤتمر القمة في الدار البيضاء.

ولقد كنت على حسرة في نفسي، أن أتقدم بهذه المطالب إلى مؤتمر الملوك والرؤساء. كان ينبغي أن لا يكون لشعب فلسطين في الوطن العربي أية مصاعب وأية مطالب، فقضية فلسطين هي قضية الأمة العربية بأسرها مصيراً ووجوداً، وشعب فلسطين فلذة من الأمة العربية التي تعيش في الوطن العربي الكبير، ومن حقنا أن تلبى مطالبنا من غير طلب، فما هي مطالبنا وماذا كان مصيرها؟ خدمة العلم، التجنيد العسكري كان أول مطالبنا، والأمر واضح بذاته لا يحتاج لإيضاح. . شعب

فلسطين تواق لحمل السلاح، شعب فلسطين متلهف لخوض معركة التحرير فلم لا تيسر له أسباب التجنيد في جميع الدول العربية؟ لقد تشتت شعب فلسطين بعد الكارثة، وشاء القدر أن تكون تجمعاته الكبيرة وراء خطوط الهدنة، في قطاع غزة، في الأردن وفي سوريا وفي لبنان. ومنذ أن وقعت الكارثة وشعب فلسطين يطالب الدول العربية بأن تفتح أمامه أبواب التجنيد، وحين قامت منظمة التحرير أخذت على عاتقها المسؤولية القومية في تعبئة الشعب الفلسطيني، فكان طبيعياً بل واجباً أن تتقدم إلى مؤتمر القمة في الدار البيضاء تطالب بالتجنيد العسكري للشعب الفلسطيني حيثما كان في الوطن العربي الكبير. وقد تحدثت طويلاً في هذا الموضوع أمام الملوك والرؤساء وتركز الحوار في الدرجة الأولى مع الأردن، فإن الأردن هو المنطلق الكبير للتحرر.

وإذا كان لدى بعض الدول العربية أسباب تحول دون التجنيد، ومنظمة التحرير لا تقرها، فإن موقف الأردن ليس له ما يبرره، ففي الأردن بقية وطننا أو بقية شعبنا، وحرام أن يحرم أبناء فلسطين من شرف التحرير، كائنة ما كانت الأسباب، فإن كل الأسباب يجب أن تخضع لهدف التحرير.

أما مطلبنا الثاني فهو حرية السفر والإقامة والعمل لأبناء فلسطين، ولقد كاشفت الملوك والرؤساء بالقيود الثقيلة التي فرضت على أبناء فلسطين بشأن سفرهم وإقامتهم وعملهم في عدد من الدول العربية، وتلوت على المؤتمر بعض الرسائل التي تلقيتها من أبناء فلسطين تشرح ما يعانونه من متاعب. وقد أكدت للملوك والرؤساء الأهمية البالغة لهذا الموضوع لكل فلسطيني في حياته اليومية، وأنه إذا كانت الكارثة قد شردت هذا الشعب البطل، فإنها كارثة أخرى أن يرسف الشعب في هذا العناء تسعة عشر عاماً وفي الوطن العربي الرحيب. وأوضحت بعد ذلك أن تحرير الأرض السليبة لابد له من تحرير إرادة الإنسان الفلسطيني، فيعمل ويسافر ويقيم كأي مواطن في بلده، ذلك لأن تسعة عشر عاماً، تحت أي قانون في العالم مهما كان صارماً، تكفي لتمنحه حقوق المواطن، ونحن لا نطالب من هذه الحقوق إلا بحرية السفر والإقامة والعمل. ولكن هذا المطلب الأساسي لم يجد استجابة كاملة فقد تحفظت عدة دول، ولم يكن يصح لمؤتمر القمة العربي وهو الذي يخطط لتحرير فلسطين، بكل ما ينطوي عليه من تضحيات جسام ومسؤوليات عظام، يواجه شعب فلسطين في هذا الأمر اليسير بهذه التحفظات.

ثم جاءت بعد ذلك المطالب الأخرى المتصلة بالتنظيم الشعبي وضمان الحرية

لانتخابات المجلس الوطني المقبل وما تبع ذلك. والواقع أن هذه المطالب تقع تحت عنوان واحد ألا وهو حرية الشعب الفلسطيني في ممارسة نشاطه القومي، شأنه في ذلك شأن جميع الشعوب العربية الأخرى في مراحل كفاحها.

ولم أدخر جهداً في شرح الضرورة القومية لتيسير الطريق أمام الشعب الفلسطيني لتعبئة طاقاته وتنظيم صفوفه، وأنه كائنة من كانت الخطة لتحرير فلسطين، لا بد لشعب فلسطين أن يكون منظماً معبأ وراء قضيته. وناشدت مؤتمر القمة أن ييسر جميع الأسباب للتنظيم الشعبي، فإذا كانت الشعوب الآمنة في ديارها، المستقرة في وطنها تلجأ للتنظيم الشعبي سبيلاً لحماية مكاسبها القومية، فإن الشعب الفلسطيني المشرد عن وطنه، المتشتت في مهاجره، ليس في حاجة إلى التنظيم الشعبي فحسب، بل إلى الحرية الكاملة للعمل القومي الكامل، وفي جميع مجالات النشاط العسكري والسياسي على السواء.

ولكن هذا الموضوع الخطير، لم يجد استجابة من بعض الدول العربية، وفي مقدمتها الأردن، وحين أخصص الأردن لا أفعل ذلك عن حسد وضغينة، ولكن إدراكاً كاملاً لدوره الكبير الذي هيأته النكبة لإزالة النكبة.

وقد بدا واضحاً بعد أن رفضت مطالب المنظمة في مجموعها، أن منظمة التحرير في حاجة إلى تحرير قبل أن تدخل معركة التحرير، بل وضح فوق ذلك أن شعب فلسطين في حاجة إلى تحرير إرادته قبل تحرير أرضه.

ولقد عدت من مؤتمر القمة في الدار البيضاء، وفي ضميري سؤال كبير: ماذا حققت منظمة التحرير في هذا المؤتمر؟ لقد عاد كل ملك ورئيس إلى شعبه يحدثه عن إنجازات المؤتمر، وساءلت نفسي ماذا أقول، أنا اللاجئ، للشعب اللاجئ للشعب الشريد للشعب الطريد؟ وعزمت ألا أقول إلا الحق، فإذا كنا قد فقدنا في هذه الكارثة، الوطن ومعه الكثير والكثير، فليس لنا أن نفقد كلمة الحق.

وكلمة الحق أن منظمة التحرير لم تجد في مؤتمر الذروة ما كانت تطمح في تحقيقه، فإن مطالبها، وهي مطالب الشعب لم تجد الاستجابة الجديرة بالتحرير وأهداف التحرير.

لقد رفض الأردن التجنيد والتنظيم الشعبي وكل نشاط قومي لمنظمة التحرير، ولم يعد يسيراً أن نحاسب دولاً عربية أخرى على مواقفها السلبية، فإذا كان حراماً على منظمة التحرير أن تعمل في وطنها ومع شعبها في الأردن، فماذا نقول لأطراف المحيط وأطراف الخليج؟

أما بالنسبة للسفر والإقامة والعمل لأبناء فلسطين، فالأمر باق على حاله ولم يستطع مؤتمر القمة العربي أن يقدم لشعب فلسطين أكثر من الأمر الواقع ماله من دافع.

ولهذا فمنظمة التحرير تواجه في عامها الثالث مصاعب كان ينبغي ألا تجدها في طريقها، حتى تستطيع بكل جهودها أن تتفرغ للمهمة الكبرى، مهمة التحرير، بدلاً من أن تستنزف وقتها ونشاطها في معالجة أمور السفر والإقامة والعمل وما إليها. أليس يكفي أن منظمة التحرير تعمل من غير أرض، ومن غير سقف متجمع، على غير ما تعمل كل الشعوب المناضلة لتحرير أوطانها؟

إذا كانت لدينا قضية اسمها قضية فلسطين، فيجب أن يكون لها شعب اسمه شعب فلسطين، فلا يمكن أن نتحدث عن قضية فلسطين دون أن يكون لها شعب، يحمل اسمها وعلمها ويكافح من أجلها. كان هنالك شعب اسمه شعب فلسطين، فيجب أن يكون هذا الشعب حراً في ممارسة نشاطه القومي لا وصاية عليه، لا أغلال تكبله، ولا قيود تكتفه.

إن انطلاق الشعب الفلسطيني في تعبئة طاقاته هو أول الطريق لتحرير فلسطين ومن غير شعب فلسطين، حراً منظماً معبأً، فإن أية خطة عربية لتحرير فلسطين هي خطة مبتورة، لا تؤدي إلى نهاية ظافرة.

ولقد اعتمد الملوك والرؤساء في الإسكندرية منظمة التحرير ممثلة لإرادة الشعب الفلسطيني في كفاحه لتحرير وطنه، وتعاهدوا في ما بينهم بأن ييسروا للمنظمة مهمتها القومية، ولكن المنظمة تجد بعد مؤتمر الدار البيضاء، أن مقرها العام في القدس قد أصبح سجيناً بين الجدران الأربعة، بعيداً عن الشعب والشعب بعيد عنه، وأصبح لابد من تحديد الموقف تحديداً واضحاً.

وتحديد الموقف هو حق الشعب وواجبه، والأمر مطروح على الشعب ليقول كلمته.

فليست المنظمة هي رئيس المنظمة ولا أعضاؤها ولا من وراءها، المنظمة هي الشعب والشعب هو المنظمة.

وإن رئاسة المنظمة ليست عندي وظيفة أتقاضى عنها راتباً أو أتطلع من ورائها إلى جاه أو مغنم.

هذا المنصب كله متاعب ومصاعب، كله عناء وابتلاء.

هذا المنصب هو الأرق الممضّ في وحشة الليل البهيم.

هذا المنصب هو الصراع الرهيب في أعماق النفس عن يوم التحرير، متى وكيف؟

هذا المنصب تلتقي فيه الآن الهجرة وذكريات الوطن.

وهذا المنصب، فوق كل ذلك تتجسد فيه نكبة شعب وكارثة وطن.

وإن المرء لو لم يتعذَّب هذا العذاب كله لما بقي الميدان قائماً للنضال، ولما بقي الطريق مفتوحاً للكفاح.

إن تجربة حكومة عموم فلسطين ما تزال ماثلة في خواطرنا وأن شعب فلسطين يرفض أن تتكرر هذه المأساة، ويرفض أن تصبح المنظمة دمية يلهو بها وقد ضاع من عمره تسعة عشر عاماً طوالاً.

وإذا كان الطريق مسدوداً أمام المنظمة هنا أو هناك، فإن هذا الشعب البطل الذي ألف الكفاح والنضال، لا يعدم أن يجد كل وسيلة ليشق للمنظمة طريقاً ثابتاً خارج مؤتمر القمة وستكون الأمة العربية يومئذ في هذا الطريق، لأنه طريق الكفاح والنضال.

(١٨)

خطـــاب الشقيري في المؤتمر الشعبي لأبناء فلسطين في جامعة الاسكندرية، ١٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٥

في هذا الجمع الشعبي الحافل، في هذا الجمع الرائع تتجسد معان رائعة، وأول هذه المعاني أنكم لم تحشدوا لهذا الحشد، ولم تحشروا إليه حشراً، إن هذا الجمع الذي نلتقي فيه لم يُدْعَ إليه الناس بغير الوسائل الشعبية، وانما استنفروا إليه بوسائل الشعب ومن أجل الشعب ومن أجل قضية فلسطين. . في هذا الجمع الرائع يتجسد المعنى الأكبر. . . إنه لم يكن وراء هذا الجمع شرطة يسوقون الناس إلى هذا الحفل، ولا كان هنالك اجراءات مصطنعة لتزوير إرادة الشعب، ولكنكم جئتم وقد استنفرتم أنفسكم لنلتقي في هذا اليوم لقاء الشعب ومن أجل قضية الشعب، ومن أجل تحرير وطن الشعب وحقيقياً ما هتفتم أيها الاخوان. . . فلسطين وشعب فلسطين شعب جبار، حقاً إن شعبنا شعب جبار، لا لا تزّيف إرادته، وتظل إرادته وكلمته هي العليا، ما تستطيع قوة على وجه البسيطة أن تزّور إرادة هذا الشعب.

ومما يزيد في روعة اجتماعنا هذا أننا نلتقي هنا في مدينة الإسكندرية وهي من أعز مدائن العرب وأمنعها وأمنع ثغورها على شاطئ البحر الأبيض المتوسط من كل أطرافه، هنا مدينة العزة والمنعة وهنا يلتقي شعبنا، ومما يزيد من روعة هذا اللقاء أننا نلتقي هنا في أعز معهد من معاهد الأمة العربية. . جامعة الإسكندرية التي وقفت كما قال لي قبل هنيهة أحد أساتذة الجامعة، جامعة الإسكندرية التي وقفت مع الثورة. . ثورة الرئيس عبد الناصر، وقفت مع الثورة قبل أن يستبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، يوم كان الظلام والضباب محيطاً بالثورة يوم كانت الظلمات تحوم فوق سماء الإسكندرية.

في تلك الأيام المدلهمة، يوم لم يكن النصر بادياً للعيون كلها. . . وقفت هذه

الجامعة المنيعة إلى جانب الثورة، وبهذا أثبتت أن العلم والثورة أخوان وشقيقان. . ومما يزيد في روعة هذا اللقاء، أن بيننا هنا من رجال وأبناء مصر بيننا هنا أعضاء مجلس الأمة، بيننا هنا من أعضاء الاتحاد الاشتراكي، بيننا هنا من عمداء وأساتذة جامعة الاسكندرية، بيننا هنا من أبناء مصر. . ليكون ذلك رمزاً سرمدياً خالداً أن بين مصر وفلسطين من الروابط مالا ينفصم أبد الدهر. . وسنسير معاً حتى نحرر فلسطين.

لم يكن لقاؤنا مع أبناء مصر وليد الساعة. . إن لقاء مصر وفلسطين ليس وليد هذه الأيام. . . ليس وليد التاريخ في عصوره الحديثة، ولا وليد التاريخ في عصوره المتوسطة، إن مابين مصر وفلسطين لم يكن في عهد محمد علي وإبراهيم أو أيام نابليون لم يكن في ذلك العهد. . . لقد كان اللقاء بيننا وبين مصر وفلسطين في حطين، ويوم كانت الحملات الصليبية في ديارنا هنا. . . في المنصورة، وفي بيت المقدس، فتلاقت قوات مصر وقوات فلسطين وحررت فلسطين من الصليبين، ونقف الآن لنجدد الذكريات وما أشبه الليلة بالبارحة.

ومما يزيد من روعة هذا اللقاء، أن معنا هنا في هذا الجمع الكريم طلابنا العرب. . من الوطن العربي الكبير من المحيط إلى الخليج. . وفي ذلك رمز كبير، أننا هنا نصنع الوحدة العربية بأبنائنا وطلابنا ليحملوا رايتها وتصبح حقيقة راسخة لا شعاراً ينطلق من الأفواه إلى الهواء، ذلكم لأنكم تجتمعون هنا وقد أخذتم أنفسكم بالعهد المكين لتحملوا الوحدة في قلوبكم وعلى سواعدكم وفي عزماتكم. . .

سأحدثكم أيها الاخوان كما طلبتم عن موقف الأردن. . ولكن أيها الاخوان إن في جمعكم هذا دليلاً أعظم من خطب البلغاء والفصحاء، عن موقف الأردن هنا بينكم من يستطيع أن يحدثكم عن موقف الأردن أبلغ من حديثي. . لا ليحدثكم باللسان ولا بالخطابة والبيان. . إنما يحدثكم بحضوره هنا، معكم هنا مئة طالب أردني من أبناء الضفة الشرقية، وإن وجود أبنائنا من الضفة الشرقية طلابنا الأعزاء من الضفة الشرقية، من الكرك كانوا أو من معان أو من إربد أو من الزرقا ء أبناؤنا هؤلاء الأعزاء الموجودون معكم هنا في هذه القائمة هو دليل كبير على أننا وإياهم نحن أبناء فلسطين رفاق الطريق وزملاء السلاح والكفاح، وليس أبناء الضفة الشرقية معنا وحدهم. . معنا هنا أبناء سورية الحبيبة، طلاب القطر الشمالي قطر سوريا. . . الجزء الغالي والفلذة الغالية من الأمة العربية.

إن وجودهم هنا في هذا الجمع من أجل فلسطين يحمل معنى كبيراً وكبيراً جداً. . . إن أبناء سوريا الشمالية يلتقون هنا معنا، مع أبناء فلسطين. . أبناء سوريا الجنوبية، لقد عاشت ديار الشام وطناً واحداً وأرضاً واحدة وشعباً واحداً، وإن

الوطن القومي اليهودي لم ينشأ يوم صدر تصريح وعد بلفور، ولكنه أنشئ يوم تفكك الوطن السوري، ونزلت التجزئة بالشعب السوري.. نزلت الفرقة في ديار الشام، يوم أنشئت الدويلات ويومها أنشئت الامارات ويومها سلخت فلسطين الصغيرة عن جسمها الوطن الأم سوريا.. ديار الشام ويومها استطاع الاستعمار والصهيونية أن ينفرد بفلسطين الصغرى.. ولو كانت الصهيونية والاستعمار الغربي أمامها سوريا الكبرى بحدودها الكبرى.. وأمامها شعب الديار الشامية ما أنشئ الوطن القومي وما قامت دولة إسرائيل.. ولكن الوطن القومي اليهودي قد أسس يوم وقعت التجزئة في الشعب السوري والفرقة في ديار الشام فلقاؤنا هنا اليوم مع أبناء سوريا هو تجديد العهد على وحدة ديار الشام لا لتكون النهاية بل لتكون البداية.... بداية الوحدة العربية الكبرى ومعنا هنا غيركم... غيركم جميعاً من الحاضرين... لسنا هنا وحدنا... هنا نخبة من شباب العرب وطلابها.... ونخبة من رجال مصر وأساتذتها ولكننا لسنا وحدنا إن معنا غيرنا كثيرين وكثيرين... معنا كما تلاحظون صوت منظمة التحرير الفسطينية... معنا هنا اذاعة منظمة التحرير تنقل حفلنا هذا، جمعنا هذا، على أمواج الأثير إلى الأمة العربية كلها، معنا من خلال أمواج الأثير ومن خلال إذاعة منظمة التحرير الفلسطينية في هذه اللحظات يستمع إلينا شعب فلسطين الثائر... في هذه اللحظات شعب فلسطين متجمع حول أجهزة الراديو ليعيش معكم بجوارحه وضميره... بعقله وفؤاده، بأحاسيسه كلها حول أجهزة الراديو في هذه الدقائق التي أتكلم فيها.. إخوانكم أبناء فلسطين في الكويت وفي العربية السعودية، وفي سوريا، وفي لبنان، وفي الأردن... إخوانكم أبناء فلسطين يستمعون في الأردن وفي مدننا وقرانا ما بقي من فلسطين، ما بقي من ترابها المقدس الغالي... في مدنها وقراها ومضاربها، في مخيماتها المهلهلة حيث يجلس المهاجرون العائدون الآن مع أولادهم وبناتهم وأجهزة الراديو مسلطة لا إلى آذانهم ولكن إلى قلوبهم وإلى ضمائرهم، كل هؤلاء يستمعون إلينا ويعيشون معنا.

أنا هنا شاهدت بعض الأطفال من أبنائنا الصبيان، والبنات، ها أنا أراهم يجلسون هنا ويستمعون إلينا بكل آذانهم وجوارحهم... ثقوا كذلك أن بناتنا وأولادنا يسستمعون إلينا ويعيشون معكم هذه اللحظات من حياتنا ومن قضيتنا التي تقف على مفارق الطرق. وتقف على طريق التحرير، ولا طريق إلا التحرير.. وهنا وقفت السيدة بصوت عالٍ.. تهتف السيدات قبل الرجال في المعركة وصوت السيدة هذا قد نقله صوت منظمة التحرير إلى شعبنا البطل... إلى شعبنا الشجاع... إلى شعبنا الباسل.. وصوت المرأة هذا ترده نساؤنا في القرى الأمامية من الخطوط الأمامية متحفزات إلى السلاح وإلى الكفاح.

لقد جئت أيها الإخوان لأحدثكم عما يجري في ندواتنا وعما يجري في خلواتنا من حديث ومن حوار، وليس هو حديثنا وحدنا، ولا حوارنا وحدنا... نحن شعب فلسطين، ولكنه حوار الأمة العربية... وحديث الأمة العربية في الوطن الكبير، جئت أحدثكم عن مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء، إنه حديث الجد الذي يجول في ضمائر الأمة العربية كلها، منذ أن انعقد مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء والأمة العربية تعيش بعقلها وفكرها بضميرها وأحاسيسها ما انتهى إليه مؤتمر القمة العربي.

وإذا كان لأحد أن يتحدث حديثاً صريحاً عن مؤتمر القمة العربي، فأوْلى الناس بالحديث منظمة التحرير الفلسطينية... ليست منظمة التحرير الحكومة الرابعة عشرة في مؤتمر القمة العربي... ليست منظمة التحرير حكومة في الوطن ولا في المهجر.. لا تربطنا روابط الأعراف السياسية والدبلوماسية والسياسية نحن نمثل شعباً ثائراً مهاجراً... ولغتنا هي لغة الثورة... ولغة السلاح والكفاح فالسؤال الكبير... الذي يدور على لسان الملايين من العرب لا لسان أهل فلسطين وحدهم... هل نجح مؤتمر القمة العربي... أو فشل؟

هذا السؤال يدور على ألسنة الأمة العربية منذ أن انصرف مؤتمر القمة الذي انعقد في الدار البيضاء... والسؤال لا يزال مطروحاً إلى يومنا هذا... فيمَ نجح مؤتمر القمة؟.. وفيمَ فشل مؤتمر القمة؟... وليس لنا أن نخشى هذا السؤال... ليس لنا أن نخشى طرح هذا السؤال على الأمة وعلى الشعب، ذلك لأن مؤتمر القمة ليس لثلاثة عشر ملكاً ورئيساً، ولكنه ملك الأمة العربية.... ليس لنا أن نخشى طرح مؤتمر القمة تحت الضياء الساطعة، هذه الأنوار المسلطة على قاعتنا هذه، يجب أن نسلط أنوار الفكر الحر... أنوار الفكر الثائر على مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء، لأن هذا المؤتمر الذي اجتمع هنالك في أقاصي المغرب على شواطئ الأطلنطي كان يبحث قضية هامة... كان يبحث مصير الأمة العربية ووجودها... كان يبحث قضية فلسطين وتحرير فلسطين، وإنه حق لشعب فلسطين ومعه أمته العربية أن ينزل إلى الغرف ويشق الأستار ويعرف الأسرار وأن يكون هنالك الأمر في وضح النهار... كان أمام مؤتمر القمة قضية هي أقدس قضايا الأمة العربية... كان للأمة العربية قضية كبرى... هي قضية الجزائر، نحن نحمد الله أن شعب الجزائر بدمائه ورجاله وأطفاله وشهدائه قد استطاع أن يحقق الحرية الكاملة والنصر المؤزر لشعب الجزائر.

وبهذا التفتت الأمة العربية بعد استقلال الجزائر بكل أبصارها وضمائرها وأحاسيسها صوب فلسطين، وكل همها وكل عزائمها صوب فلسطين من أجل تحرير

فلسطين. ومؤتمر الدار البيضاء كانت عنده مواضيع شتى. . . كانت عنده عناوين متعددة وعلى جدول أعماله طائفة من الأمور، لكنها كلها تقع إطار واحد. . . إطار قضية فلسطين وإطار تحرير فلسطين وليست قضية فلسطين هي ملك الشعب الفلسطيني.

إن قضية فلسطين منذ عام ١٩٤٨ قد أصبحت قضية الأمة العربية حضارة ووجوداً. . . قد أصبحت قضية الأمة العربية مصيراً وعرفاناً. . ليست قضية فلسطين بالأمر اليسير الهين العادي الذي يترك للزمان ويجري الزمان في فلكه. . . ما قضية فلسطين بالقضية الثانوية الفرعية. قضية فلسطين أحدثت تفجيرات هائلة في حياة العرب الكبرى. . . قضية فلسطين نكبة، ولكنها سطرت تاريخاً حديثاً في أمة العرب. . . إن على تراب فلسطين ولدت ثورة ٢٣ تموز/ يوليو التي قام بها الرئيس عبد الناصر. . . كل أحداث العرب في تاريخهم الحديث. . كل الأحداث الكبرى التي سجلها تاريخ العرب الحديث كانت وراءها قضية فلسطين بصورة مباشرة أو غير مباشرة. . الثورات والانقلابات في سوريا العزيزة كانت وراءها قضية فلسطين. . الثورات والانقلابات في العراق كانت وراءها قضية فلسطين. . . كل أحداث الأمة العربية الكبرى كانت وراءها قضية فلسطين تدفعها وتوجهها وتستخدمها من أجل هذا. . إن مؤتمر القمة العربية يعالج أخطر قضية. . . يعالج أفدح قضية يعالج أقدس قضية. . . لأنه يعالج أكبر عار لحق بالأمة العربية منذ التاريخ القديم، ومنذ عرف الانسان وصمة العار لم يلحق بالأمة العربية عار، كإنشاء إسرائيل على وطننا الجاثمة على ديارنا القائمة في وطننا خلال السبعة عشر عاماً. . . هذا ومؤتمر القمة الذي انعقد في الدار البيضاء قد التقى من أجل هدف مقدس هو تحرير فلسطين. . . لقد كان حقاً المؤتمر الثالث وسبقه مؤتمر الاسكندرية وسبقه مؤتمر القاهرة. . . مؤتمر الذروة العربي الذي دعا إليه الرئيس عبد الناصر، وماذا كان حول هذه المؤتمرات الثلاث؟

مؤتمر القمة الأول الذي عقد في القاهرة. . مؤتمر القمة العربي الأول. . . شعب القاهرة شعب مصر وقف خمسة أيام بلياليها. . من المطار إلى حيث يجتمع الملوك والرؤساء، وقف شعب مصر على الأرصفة. . في الميادين وفي الساحات العامة، ما وقف ليستجلي طلعة الملوك والرؤساء. . . ليس في طلعتهم شيء غير طلعة البشر، فلا همْ ظل الله على الأرض، ولكن شعب مصر من المطار إلى حيث الاجتماع قد وقف يرى آماله في الملوك والرؤساء. . . أمله الكبير في تحرير فلسطين.

وهنا في الاسكندرية. . . أنتم هنا شعب الاسكندرية، حينما انعقد مؤتمر الاسكندرية. . مؤتمر الذروة العربي في فندق فلسطين. . . على شاطئ البحر في سراي

المنتزه، وشعب الاسكندرية، وشعب مصر في الساحات والميادين، في الشوارع وفي كل مكان، وأنا أذكر وسيارتي كانت في آخر الركب، سيارتي في آخر ركب الملوك والرؤساء ولست أنا ضجراً ولا قلقاً من أن أكون أنا في آخر هذه القافلة. . .

لقد كان على مدى الطريق من سراي المنتزه إلى سراي رأس التين شعب الاسكندرية كله يقف على جانبي الطريق ويحدق ببصره في وجوه الملوك والرؤساء. لم يكن في وجوههم شيء غريب ولا عجيب، فهم من طينتنا. . . ولكنهم كانوا يتفرّسون في وجوه الملوك والرؤساء. . . هل هنا تحرير فلسطين؟ . هل في هذا المؤتمر تحرير فلسطين؟ وفي الدار البيضاء وفي مؤتمر القمة العربي. . . في الدار البيضاء وقف شعب المغرب. . . شعب المغرب إخوانكم كلهم. . . شعب البطولات والرجولات. . . شعب الكفاح، بالضراوة التي وقف فيها أمام الاستعمار الفرنسي، ثلاثون عاماً وقف شعب المغرب الليل والنهار ومعهم أطفالهم كهؤلاء الأطفال الذين يملأوننا هنا امتلاء الأزاهير والبراعم. . . وقف شعب المغرب الليل والنهار على الأرصفة وفي الميادين وفي الشوارع وليس له هتاف وليس له صيحة في وجه الملوك والرؤساء إلا صيحة تحرير فلسطين. . . لقد حققت هذه المؤتمرات الثلاث أشياء، ولم تحقق أشياء. . . لقد كان للرئيس عبد الناصر فضل عظيم. . . في الدعوة إلى هذه المؤتمرات. . . وكذلك لا ننسى أيضاً أن الاستجابة لهذه المؤتمرات هي محل تفكيرنا ومحل تقديرنا. . . وكان لهذا الإنسان المتواضع العاجز الواقف بين أيديكم. . . شرف المشاركة في هذه المؤتمرات الثلاث.

باسم فلسطين وباسم منظمة التحرير الفلسطينية، لقد شهدت مؤتمرات القمة الثلاثة، ولكن كان هنالك مؤتمر قمة أروع وأرفع. . . مؤتمر قمة هو قمة آمال الأمة العربية. . . مؤتمر ذروة هو ذروة آمال الأمة العربية. . . مؤتمر قمة فوق المؤتمرات التي عقدت كلها، مؤتمر القمة في تجمع الأمة العربية حول مؤتمرات القمة ومحاسبتها ومراقبتها. . . ذلك هو مؤتمر القمة الأروع حين تتجمع الأمة العربية في أرصفتها وشوارعها تراقب وتحاسب مؤتمر القمة الذي يعقده الملوك والرؤساء، ويوم ينقطع الحساب وتنقطع الرقابة عن مؤتمرات القمة. . . يوم لا تقف الشعوب في الشوارع تراقب وتحاسب وتصيح وتسأل، حينئذ لا تكون مؤتمرات القمة في الذروة ولكنها تكون بعيدة عن الذروة. . . بعيدة عن القمة ولا يكون في القمة إلا الأمة العربية وآمال الأمة العربية.

وأما الشقيري فإنه يجيبكم. . . إن روحي وأرواحكم هي فداء فلسطين. . . وأرجوكم ألا يكون هتافكم بعد دقيقتنا هذه لشخص ولكن لفلسطين ولتحرير فلسطين، وحين أتحدث عن مؤتمر القمة العربي لابد لي من أن أتحدث عن ميثاق

التضامن العربي وهو أول انجازات القمة: وقع الملوك والرؤساء ميثاقاً عُرف بميثاق التضامن العربي يدعو إلى وقف الحملات والمهاترات يدعو إلى التضامن العربي من أجل القضية العربية ومن أجل تحرير فلسطين... لقد مضت حقبة من الزمن والمهاترة قائمة وسائدة بين صفوف العرب... ومن أجل هذا يصح أن نقول إنّ ميثاق التضامن العربي هو من خير إنجازات مؤتمر القمة... إنه يوقف الحملات... إنه يوقف المهاترات ويدعو إلى التصافي ويدعو إلى التضامن من أجل القضية العربية ومن أجل قضية فلسطين، كل هذا حق وكل هذا صدق. ولم تنكب القضية العربية، ولم تنكب الوحدة العربية، ولم تنكب قضية فلسطين بأشد من المهاترات، بأشد من الاسفاف، بأشد من الجدل الكلامي والكلام الجانبي. لم تُبْتلَ القضية العربية ولا الوحدة العربية ولا قضية فلسطين بأشد من هذا ولا أتعس من هذا.

ومن أجل ذلك يمكننا أن نقول بأن ميثاق التضامن العربي هو من الانجازات التي تفتح الطريق للوحدة العربية، تفتح الطريق واسعاً وعريضاً والأبواب على مصاريعها أمام القضية العربية الكبرى وأمام تحرير فلسطين... ولكن ماهي أبعاد هذا التضامن العربي.. ما هي حدود هذا التضامن العربي؟.. هل معنى التضامن العربي الصمت الرهيب العميق على أحداث العرب الكبرى... على قضية الوحدة الكبرى.. على قضية فلسطين؟ هل معنى التضامن العربي أن نخرس الألسنة الحرة؟... هل معنى التضامن العربي أن تتكسر الأقلام الثائرة؟ هل معنى هذا أن تقف العقول وهي ترى الاعوجاج؟... هل معنى هذا أن نرى الباطل ونسكت عن الباطل؟... هل معنى هذا أن يحتجب الحق ولا تثور عقولنا؟... وألسنتنا وضمائرنا؟ ليس هذا هو ميثاق التضامن العربي... منظمة التحرير الفلسطينية بعد مؤتمر الدار البيضاء، كشفت كثيراً من الحقائق عن ذلك المؤتمر... منظمة التحرير الفلسطينية في بيان أذيع بواسطة منظمة التحرير وصوت منظمة التحرير تعرضت لما نجح المؤتمر ولما أخفق فيه المؤتمر... وقال قائل... الشقيري يوقّع على ميثاق التضامن العربي.. وكيف ينقض هذا الميثاق.. هل الميثاق أن يسكت على المعايب... هل الميثاق أن يخرس النقد الذاتي الشجاع؟.. الميثاق نفسه نص على النقد الباني... وأنا أقول الباني... لأنه كان هناك حوار صرفي ونحوي، دخل الصرف والنحو إلى الغرفة المقفلة للملوك والرؤساء.. أن يقال النقد الباني أو النقد البناء... واقترح أن يكون اللفظ النقد البناء توكيداً لا مبالغة ثقيلة، لنقتصر على لفظ النقد الباني وهكذا وردت في ميثاق التضامن النقد الباني، فميثاق التضامن العربي لا يحول دون النقد الباني أو النقد البناء إذا شئتم.

إنها تكون كارثة حقاً إذا كانت الألسنة الحرة والأقلام الثائرة تخرس أمام الباطل وتخرس حين يحتجب الحق.. قلت لكم إن قائلاً قد انتقد رئيس منظمة التحرير...

كيف وقّع الشقيري على ميثاق التضامن في الدار البيضاء ورجع إلى الوطن العربي يتكلم عن مواطن الضعف في مؤتمر القمة العربي. . هذا القائل انتقدني في مؤتمر صحفي وهو رئيس وزراء الأردن السيد وصفي التل. . في مؤتمر صحفي في عمان تساءل. . . كيف يوقع الشقيري على ميثاق التضامن ثم يخرق ميثاق التضامن وينتقد مؤتمر الدار البيضاء. . . أنا هنا أنتقد مؤتمر الدار البيضاء. . أمام مؤتمر الشعب أنا لا أنكر توقيعي على الميثاق أنا لا أنكر أني وقعت على الميثاق. . . ولكني أقولها بكل شجاعة وبكل صراحة. . . ليس الملوك والرؤساء منزلين من السماء. . . ليس الملوك ولا الرؤساء ولا مؤتمر القمة العربي قطعة نزلت من السماء معصومة من الزلل والخطأ، إن الملوك والرؤساء يروحون ويغدون ولكن الشعب باق. . . والحق باق. . . . ويحاسبون ويراقبون.

إن التضامن العربي هو سلاح للوحدة العربية. . . التضامن العربي سلاح للقضية العربية الكبرى. . . التضامن العربي سلاح لتحرير فلسطين. . . والذين وقعوا على ميثاق التضامن العربي قد نذروا أنفسهم أن يكونوا إلى جانب الوحدة العربية وإلى جانب تحرير فلسطين. . . لقد وقعنا على ميثاق تضامن وما وقعنا على ميثاق تهاون وتخاذل، والأمة تأبى أن تقع فريسة التخاذل. . والتهاون. . . تناول مؤتمر القمة العربي موضوعاً خطيراً. . . وموضوعاً مقدساً هو أمانة الأمة العربية الكبرى. . هو أمل الشعوب العربية الكبرى. . تناول قضية مقدسة للأمة العربية تعيش من أجلها. . من أعماق ضميرها. . تناول موضوع تحرير فلسطين.

ومثُل في الغرفة المقفلة حيث التقى الملوك والرؤساء، مثُل أمامهم إنسان مستقيم. . . أمين، يتسم بالصدق والصراحة والشجاعة. . مثل أمامهم واضع خطة عربية لتحرير فلسطين. . . الفريق علي عامر ووضع بين أيديهم تقريراً فيه أحسن الخبرة العربية متمثلةً بالقيادة العربية الموحدة. . . خطة لتحرير فلسطين، ولست أسمح لنفسي أن أخوض في تفاصيلها وأسرارها وأجزائها، ذلك عهد مضى وانقضى. . . يوم كانت خطة تحرير فلسطين في عام ١٩٤٧، ١٩٤٨ عناوين حمراء في الصحف وفي الإذاعات وأدى ذلك إلى الكارثة التي تعرفونها، يوم كانت الخطة بكل دقائقها وأجزائها، تحت يد العدو والاستعمار والصهيونية، ولذلك لا أسمح لنفسي أن أخوض في تفاصيلها وأجزائها سوى أن أقول إن الرجل رفع الأمانة عن كتفيه ووضعها على مائدة المؤتمر بكل صدق وعزيمة أمام الملوك والرؤساء.

وإذا كان لنا نحن أن نحزن لشيء يوم كنا نستمع إلى تقدير الموقف وإلى الخطة العسكرية. . . وإذا كان لنا أن نحزن بكل قلوبنا هو أننا في عام ١٩٦٥ نلتقي لوضع خطة عربية لتحرير فلسطين، لقد وقعت الكارثة في ١٩٤٧، و١٩٤٨، والدول

العربية منذ ذلك التاريخ قد زادت من قوتها العسكرية ومن طاقاتها الاقتصادية والفنية وصحيح أن المستوى الاجتماعي في العالم العربي قد ارتقى مرات ومرات حتى نستطيع الصمود أمام عدو منظم . . مسلح . . . مدرب . . . صحيح أنه تم كل هذا خلال سبعة عشر عاماً ماضية لكن الكارثة التي وقعت بعد الكارثة هي أن تمر سبعة عشر عاماً وليست أمام الأمة العربية خطة واحدة لتحرير فلسطين . . . وسيسجل التاريخ من بعدنا أن الأجيال التي كانت في سبعة عشر عاماً بعد الكارثة هي لم تضع خطة لتحرير فلسطين . . خطة مشتركة عربية . . . خطة موحدة عربية . . . وإن كنت أعلم أن دولة عربية واحدة على الأقل لا أذكر اسمها، تتصدى لإسرائيل وحدها . . . أنا أعلم أن دولة عربية واحدة تضع حياتها وخططها واقتصادها وكل إمكانياتها على فرضية واحدة هي أنها في الميدان وحدها . أنا أعلم هذا ولكن التاريخ سيسجل بعدنا . . . أن سبعة عشر عاماً قد مضت على أجيالنا ولم يلتق ملوك العرب ورؤساؤهم على خطة عربية واحدة إلا في عام ١٩٦٥ . . . تلك الكارثة الثانية بعد كارثة قيام إسرائيل . . والملاحظة الحزينة الأخرى أن ما تمّ الاتفاق عليه في مؤتمر الدار البيضاء . . . ولست أكشف عن أسراره ودقائقه . . ولكن أقولها صريحة وداوية . . إن الخطة التي وضعت في الدار البيضاء أقل بكثير من الإمكانات الضخمة التي تملكها الأمة العربية .

إن إمكانات الأمة العربية أكبر بكثير مما وضع على مائدة المؤتمر . . إن ثرواتنا الكبرى . . . إن أسلحتنا الكثيرة من بترول ومن غير بترول . . إن مواقعنا الاستراتيجية إن طاقاتنا البشرية . . إن كل ما فينا من قدرات روحية ومادية وإنسانية . . كل هذا أكبر بكثير من الخطة التي وضعت لتحرير فلسطين . . . ولقد قلتها صريحة أمام الملوك والرؤساء . . . وأعيدها هنا . . . قلتها صريحة، لو أن الحكومات العربية تضع إمكانات الأمة العربية كلها على مائدة الملوك والرؤساء في الدار البيضاء لخرجنا من المؤتمر إلى طريق تحرير فلسطين . . . وهناك أمر لا بد من أن أضيفه إلى الخطة هو دور شعب فلسطين . . . فتحرير فلسطين لا بد فيه من شعب فلسطين منظماً ومدرباً ومسلحاً، ولا يمكننا أن نتخيل تحرير فلسطين بعيداً عن شعب فلسطين . . وفي معزل عن شعب فلسطين . . . . وإن الذين يعزلون شعب فلسطين عن معركة التحرير لا يضعون قلوبهم وسواعدهم وراء معركة التحرير لا بد لشعب فلسطين أن يكون منظماً ومدرباً ومسلحاً . . نحن نؤمن بطاقات شعبنا البطل . . . نحن نؤمن بقدرات شعبنا الباسل . . . شعب فلسطين حارب الاستعمار والصهيونية على مدى ثلاثين عاماً، في عهد الانتداب البريطاني قبل أن تقوم حركات التحرر في الكثير من أقطار آسيا وفي كثير من أقطار إفريقيا .

شعب فلسطين قادر على حمل تبعات التحرير . . شعب فلسطين مصمم على أن

يقود معركة التحرير . . . شعب فلسطين كله في كل تجمعاته في الوطن العربي مستعد أن يلتقي على هدف التحرير وفي طريق التحرير، ونحن نؤمن إيماناً قاطعاً بأن التحرير له طريق واحد . . . لا خطة واحدة لا سواها ولا غيرها . . . خطة ذات شقين . . . خطة ذات جبهتين . . . ميدان التحرير يتطلب من الدول العربية القوة والمنعة لتقف على حدودها لتقف عند أرضها تدافع عن سيادتها . . . تقف على خطوط الهدنة بأقدام ثابته راسخة . . . الدول العربية قادرة على رد غارات إسرائيل وعدوان إسرائيل، الدول العربية تتخذ من خطوط الهدنة . . . من الناقورة إلى رفح خطاً واحداً . . . وتقف عنده وقفة الطود . . . وحينئذ يدخل شعب فلسطين وهو كفيل بتحرير فلسطين بالسلاح . . . بالسلاح هو النداء الذي استمعت إليه الآن . . يسوقني إلى موضوع شيق للسلاح . . . إلى موضوع لا يقوم إلا بالسلاح . . . وهو موضوع تحويل روافد الأردن . . . تحويل روافد الأردن كان من بين الموضوعات التي بحثها مؤتمر الملوك والرؤساء . . تحويل الروافد وضع خطوطاً زرقاء وحمراء على المخططات وعلى الخرائط، ولكن السلاح الذي ناديتم به هو الذي يعني تحويل الروافد، ومن غير سلاح، ستظل هذه المخططات . . . التحويل في الروافد أوراق زرقاء وحمراء على الخرائط لاقيمة لها . . . يدوسها الأعداء ويستهينوا بها وبكرامتنا . . . فتحويل الروافد الجواب عليه هو هتاف شبابنا السلاح وتحويل الروافد .

وأنتم تعلمون أيها الاخوان أن مؤتمر القاهرة قد اجتمع لينظر في موضوع تحويل إسرائيل لمجرى نهر الأردن، ولأسباب لا أذكرها . . . لم يكن هناك بديل أمام الأمة العربية إلا أن تضع مشروعاً لتحويل الروافد . . . مشروعاً عربياً لتحويل روافد الأردن في الأرض العربية، لقد كان مشروعاً له مبرراته، ليس لمنظمة التحرير الفلسطينية أية مسؤولية بالنسبة إلى هذا المشروع، ليست عندنا قدرات عسكرية ولا فنية ولا مالية . . . ولذلك لم يكن لنا رأي في موضوع تحويل الروافد في مؤتمر القاهرة الأول ولا في مؤتمر الإسكندرية، موضوع أقره الملوك والرؤساء في خطة فنية ومالية وعسكرية .

وطلب إلى القيادة العربية وعلى رأسها الرجل الحصيف الحازم . . وعلى رأسها الرجل الأمين المستقيم علي عامر . . . كلُّف من قبل القيادة العربية، كُلّف من قبل مؤتمر القمة أن يحمي تحويل الروافد، وقال علي عامر . . . أنا حاضر لحماية تحويل الروافد، أنا حاضر لحماية العمل العربي في الأرض العربية وفي الوطن العربي . . . أنا حاضر لأرد عدوان إسرائيل وتدمير إسرائيل لأي عمل عربي تقوم به في الأرض العربية . . . ولكن لي مطالب ولي خطة . . . إذا أنجزتم مطالبي وإذا نفذتم خطتي فأنا كرجل عسكري حاضر لحماية تحويل الروافد . . . . حاضر لحماية المشروع العربي،

والتقينا في مؤتمر الدار البيضاء فماذا كانت النتيجة . . . ليس هذا سراً عسكرياً يذاع . . في زماننا هذا تبحث أمور الأسلحة الذرية في أوروبا على نطاق الصحف والإذاعة وليس هذا من الأسرار العسكرية . . . تناقش هذه الأمور وتطرح على الشعب، ولا نخشى أن تطرح هذه الأمور على الشعب ولكن نخشى أن يظل الشعب بعيداً عنها . . نخشى أن تظل سراً على الشعب . . . نخشى أن يظل الشعب في عزلة عن هذه العنايات والغوايات التي تجري وراء الأستار ووراء الأسوار . . ماذا كانت النتيجة . . النتيجة أن القوات العراقية . . . أن القوات السعودية التي طلب إليها القائد علي عامر أن تأخذ مراكزها في داخل الأردن لحماية تحويل الروافد . . لم تدخل إلى الأرض الأردنية . . . وبقيت بعيدة عن حدود الأردن في الصحراء . . . سنة كاملة، القوات العراقية والقوات السعودية لا يؤذن لها بالدخول إلى مراكزها لتحتشد هناك وتحمي العمل العربي والمشروع العربي . . .

أنا لا أتهجم على الأردن، لا أتعرض للأردن . . . بسفه أو بمهاترة . . ولكني أكشف عن حقيقة يجب أن تعرفها الأمة العربية . . . إن القوات العراقية بقيت شهوراً في الصحراء والقوات السعودية بقيت شهوراً طوالاً في الصحراء لا يؤذن لها بالدخول لحماية العمل العربي . . . ولكن في الوقت المناسب وعند الضرورة قد فات المسؤولين في عمان أن إسرائيل لا تنتظر الضرورة . . . وأن إسرائيل لا تنتظر الوقت المناسب وأن علي عامر ليس موظفاً عند هذه الدولة أو تلك . . . ليس موظفاً عند هذا الملك أو ذاك . . . ليس أجيراً عند هذا الرئيس أو ذاك . . . ولكنه موظف عند الأمة العربية ليحمي روافدها وليحمي مشروعها.

إن جيش الأردن هو جيش عربي بضباطه وجنوده وهو مثال حي للبطولة العربية وللبسالة العربية . . . أنا هنا أحيي الجيش الأردني . . . أحيي جيشنا . . الجيش الأردني بضباطه وجنوده بكل أسلحته بكل وحداته . . وأنا أعلم أن ضباط الجيش الأردني وجنوده يستمعون إلينا بواسطة أجهزة الراديو في وحداتهم . . . ليسمعوا كلام منظمة التحرير الفلسطينية، ذلك أن جيش الأردن هو إلى جانب منظمة التحرير الفلسطينية وجيشنا مفطور على البسالة العربية، ونحن نعرف المعارك التي خاضها في عام ١٩٤٧، ١٩٤٨ . إن في الأردن ثروة كبرى، ثروة شعبية كبرى . . . ثروة روحية كبرى، ثروة في جيشه البطل الباسل، ثروة في الضفة الغربية بجبالها المطلة، في روابيها المدمرة . . . بجبالها المشرفة على إسرائيل . . كل هذه ثروات لنا وكل طاقات الأردن محدودة، الأردن أمامه ٦٥٠ كيلو متراً من خطوط الهدنة، جيشنا على بسالته محدود الطاقات ومحدود السلاح والعتاد . . . جيشنا العربي الباسل في الأردن أمامه جبهة كبيرة: لا يستطيع أن يحميها وحده وجيشنا الأردني الباسل لو استشفيت ضميره

لرأيته يقول أهلاً بالقوات العراقية والسعودية، أهلاً بزملاء السلاح ورفاق النضال.

ولو دخلت القوات العراقية والسعودية كما أمر الفريق علي عامر لأصبح خط الدفاع الأول الـ ٦٥٠ كيلو متراً خط الدفاع الذي تقول عنه عمان. . خط الدفاع عن دنيا العرب. . . خط الدفاع عن دنيا العرب قد أصبح خطاً حقيقياً خطاً أصيلاً. . . ولاستطاعت هذه الجيوش العربية مجتمعة أن ترد عدوان إسرائيل خلال الأشهر الثلاثة الماضية. لقد استطاعت قوى البغي والعدوان أن تتسلل عدة كيلو مترات داخل الأرض الأردنية، أن تتسلل عدة كيلو مترات وراء قرانا الأمامية العزلاء المكشوفة، استطاعت القوات الإسرائيلية أن تدخل على قلقيلية مدينة الرجال والأطفال. . . دخلت قوات البغي والعدوان قلقيلية ودمرت إحدى عشرة بئراً بأعصاب هادئة، اختارت هذا البئر ثم ذاك البئر ثم ذاك البئر. . . ولم تنطلق من قليقلية رصاصة واحدة لأنه ليس في قلقيلية رصاصة واحدة ولا بندقية واحدة. . . دمرت إحدى عشرة بئراً. . إحدى عشرة بئراً دمرت واحدة واحدة ولو كانت القوات العراقية والسعودية في مراكزها، في مراكز تحشدها حيث يأمرها الفريق علي عامر لاستطاعت القوة العربية والبسالة العربية أن ترد إسرائيل على أعقابها مدحورة خاسئة خاسرة، ورئيس الوزراء الأردني في مؤتمره الصحفي قبل بضعة أيام يقول سنبني سد المخيبة وأرجو أن لا نقع في خيبة ونحن نبني سد المخيبة.

إن جيش الأردن قادر على الدفاع ما وسعه الدفاع. . . إن بطولات الجيش الأردني لا حدود لها. . إن بسالات الجيش الأردني لا حدود لها ولكن سلاحه. . ذو حدود. . . وذخائره ذات حدود. . . والسياسات التي وراءه ذات حدود، ومن أجل هذا إذا كنا نريد أن ندافع عن سد المخيبة فلنقل للقوات السورية والعراقية والسعودية أن تحتشد على خط النار، على خط الهدنة، ويومئذ نستطيع أن نرد عن سد المخيبة ونصونه ونحميه وننقل الخيبة إلى اسرائيل.

هذا قول ليس فيه إهانة لأحد في الأردن، ليس فيه إهانة لشعبنا البطل. . شعب الأردن كله شعب فولاذ. . . الضفة الشرقية كلها أبطال. . . الضفة الغربية كلها أبطال. . . نساؤنا، بناتنا، رجالنا أطفالنا كل هؤلاء سجلوا بطولات عديدة على مر التاريخ، هم قادرون على أن يؤدّوا ضريبة الدم وأن يؤدوا خدمة العلم. . قادرون كلهم ما وسعتهم القدرة. . ولكن تحويل الروافد هذا وقد بدا موقف الأردن كما بدا، ونحن نقولها حقائق صارخة، حقائق لا مجال لانكارها أو لجحودها، نرى في موقف الأردن عبرة لنا نحن العرب جميعاً، عبرة لإخواننا في الأردن.

لا نقول هذا لنلقي الفزع في نفوسهم، ولكن ندعوهم إلى مضاعفة الهمة وإلى

مضاعفة العزيمة، لندعو إخواننا في عمان بأن يرجعوا إلى الحق والرجوع إلى الحق فضيلة. . لنقول لإخواننا في عمان أن يرجعوا إلى صف الكفاح، لنقول لإخواننا في عمان إن تحويل الروافد في النهر يجب أن يسبقه تحويل في روافد الفكر لتصب في المجرى الكبير. . مجرى التحرير. . . ولنعرف كيف نفدي فلسطين في الأرواح كما يهتف شبابنا. . لنعرف كيف نفدي فلسطين بالأرواح يجب أن نعرف ما دور شعب فلسطين في معركة التحرير؟.

هذا السؤال طرح بعد أن بدأ مؤتمر القاهرة مؤتمر القمة العربي الأول، أمّا قبل ذلك فكان شعب فلسطين من غير كيان ومن غير منظمة تحرير. . كان شعب فلسطين بعيداً عن قضية فلسطين. لم يكن زمام قضية فلسطين في يد شعب فلسطين، فشعب فلسطين بعد الكارثة تهدم كيانه وتهدمت مؤسساته القومية والدول العربية تدافع عن قضية فلسطين، على الصعيد العربي والصعيد الدولي، ولكن الشخصية الفلسطينية كانت محتجبة عن الميدان، كانت غائبة عن الساحة. كل الدول العربية تدافع مشكورة عن قضية فلسطين، في الجامعة العربية وفي الأمم المتحدة وفي المؤتمرات الدولية، لكن شعب فلسطين كان غائباً عن ميدان قضية فلسطين، وكان السؤال الرهيب في المحافل الدولية في كل مكان ذهبت إليه. في موسكو يوم كنت في زيارة في موسكو تحدثت عن قضية فلسطين فطرح علي السؤال أين شعب فلسطين؟. . . في الأمم المتحدة يوم كنت رئيساً للوفد السوري وللوفد السعودي أو نائباً عن الجامعة العربية ونخطب ورفاقي عن القضية الفلسطينية وما أشهر الخطب وما أغناها هناك، كان السؤال أين شعب فلسطين؟ وفي مؤتمر باندونج حينما كنت في الوفد السوري أتحدث عن قضية فلسطين كان السؤال في الأروقة والردهات أين شعب فلسطين؟

قضية الجزائر كان شعبها وراءها، قضية ليبيا كان شعبها وراءها مهيأ ومنظماً، لكن قضية فلسطين قضية الشعب المشتت الشعب المشرد في تجمعاته المختلفة. . . أين هذا الشعب؟. . . إلى أن جاء مؤتمر الذروة العربي الأول، وبرز كيان فلسطين وبرزت شخصية الشعب الفلسطيني وانبثقت منظمة التحرير تمسك بقضية فلسطين وبزمام التحرير وتشق للشعب الفلسطيني طريق التحرير، وشعب فلسطين كي يؤدي دوره في المعركة يجب أن يكون شعباً منظماً والتنظيم الشعبي حاجة قصوى ومسؤولية كبرى لشعب فلسطين، التنظيم الشعبي لكل أمة في ديارها وفي أوطانها ضرورة قومية ملحة وهو ألزم وأجدى وأجدر لشعب فلسطين المشتت المشرد إذا أهمل شعب أن ينظم نفسه وهو في وطنه فليس يصح لشعب فلسطين وهو المشرد المشتت أن يهمل تنظيم صفوفه وتجميع قواه وطاقاته.

التنظيم الشعبي هو حياة التحرير هو بداية طريق التحرير لابد لشعبنا أن ينظم

نفسه ولا بد للدول العربية أن تفتح الطريق أمام الشعب الفلسطيني لينظم نفسه بنفسه، إن شعب فلسطين ليؤدي دوره في معركة التحرير يجب أن يخضع للتجنيد، يجب أن يخضع للتدريب، يجب أن يخضع للتعبئة الروحية.

إن شعب فلسطين لا يمكنه أن يحرر وطنه إلا إذا كان معبأ للمعركة إلا إذا كان مهيأ للمعركة ومهيأ بالسلاح، وأنا أعلم أن رجالنا وبناتنا ونساءنا وشيوخنا وكهولنا يريدون ويتشوقون ويتلهفون إلى حمل السلاح. إن إخواننا العائدين اللاجئين الألوف الألوف الذين يعيشون وعاشوا سبعة عشر عاماً في الخيام المهلهلة، وفي الكهوف يموتون من الحرمان ومن الجوع ومن الضنى ومن الشوق والحنين إلى الأوطان وإلى الديار، هؤلاء يريدون أن يموتوا جهاداً واستشهاداً لا جوعاً ولا حرماناً، هذا هو شعبنا.

وتقدمنا بمطالبنا إلى مؤتمر القمة العربي: التجنيد والتدريب والتنظيم الشعبي وحرية الإقامة وحرية العمل، كل هذه المطالب تقدمت بها منظمة التحرير الفلسطينية إلى مؤتمر القمة العربي، وكان أيسر المطالب حرية السفر للانسان الفلسطيني في الوطن العربي، حرية الاقامة للانسان الفلسطيني في الوطن العربي، في زمن القضية العربية ففي زمن الوحدة العربية، في الزمن الذي يرفع فيه الشعار عالياً من المحيط إلى الخليج، يجب أن يكون الانسان الفلسطيني حراً في سفره وإقامته وعمله في الوطن العربي حيثما كان، وهنا أريد صبركم قليلاً وهدوءكم كثيراً.

هذا الموضوع بالنسبة للسفر والاقامة والعمل، هو الموضوع الذي عاش سبعة عشر عاماً في ردهات الجامعة العربية، ينتقل من لجنة إلى لجنة وينتقل من دورة إلى دورة، فظلَّ هذا الموضوع الحزين التعيس البائس يرقى سلماً فسلّماً حتى وصل إلى مؤتمر الذروة في أعلى ذرواته، السفر والإقامة والعمل أيسر مطالب الشعب الفلسطيني، الأمة العربية تهيئ نفسها لتضحيات كبرى في تحرير فلسطين، لا تضن الشعوب العربية على أبناء فلسطين المهاجرين أن يعيشوا مع الأمة العربية كما عاش المهاجرون من الأنصار في المدينة المنورة، أيسر المطالب وأسهلها ظل يرتقي سلّم الجامعة العربية إلى مؤتمر الذروة. ولقد ظننت أنه حين يصل الذروة ستصل آمالنا إلى الذروة وأمانينا إلى القمة، أيها أيسر عندنا السفر والإقامة والعمل أو حجب الإنسان الفلسطيني عن السفر والإقامة والعمل، وهنا لا أريدكم. . الهدوء الكامل والصبر الكامل.

لقد تحفظت عدة دول على البروتوكول الذي هيأته الجامعة لتنظيم السفر والإقامة والعمل، خمسُ دول. بعضها تحفظات جزئية، بعضها تحفظات خفيفة،

بعضها طلب إلينا أن نفاوضه بعد انتهاء مؤتمر الذروة العربي مفاوضات مباشرة لتيسير السبيل أمام أبناء فلسطين فيسافرون، ويقيمون ويعملون، إذ كيف يستطيع الشعب الفلسطيني أن يحرر وطنه قبل أن يكسر هذه القيود من أقدامه ومن يديه التي تشده عن السفر والإقامة والعمل في الوطن العربي الكبير. عدة دول تحفظت، وأنا لا زلت أطمع بالمفاوضات المباشرة ونحن مقبلون عليها ونحن قريبون منها، أنا أطمع أن تزول هذه التحفظات التي تتفاوت من دولة إلى دولة خفة وشدة وحدة، أنا أطمع أن تزول هذه التحفظات لأنه لايمكن لشعب فلسطين أن يحرر وطنه وأرضه قبل أن يحرر ارادته وقبل أن يحرر شخصيته في وطنه الكبير ونحن جزء من الأمة العربية وفلذة من فلذاتها وفلسطين ما هي إلا جزء من الوطن العربي الكبير ويجب أن يعيش هذا الجزء في كنف الكل بصراحة الأخوة ويقين الإيمان وحرارة التحرير...

ولكن العجب في هذا الأمر كله.. الغريب في هذا الأمر كله، بل المريب في هذا الأمر كله، أنه حينما كانت المفاوضات دائرة بين سوريا والأردن لعقد اتفاقية تسهل السفر والانتقال بين سوريا والأردن توصل الطرفان إلى اتفاق بموجبه يستطيع المواطنون من الشعبين الانتقال إلى البلدين، بلا إجراءات ولا ميزات ولا تصريحات ولكن بمجرد ورقة هوية وهذه خطوة نحمدها لسوريا ونحمدها للأردن، فكل اهدار للحواجز هو خطوة في الوحدة العربية، كل اهدار في إزالة هذه التصريحات هو خطوة في سبيل الوحدة العربية، نحمد لعمان ونحمد لدمشق هذه الخطوة الكبرى، ولكن الغريب العجيب هو ما أكشفه الآن عليكم ولأول مرة، أنه أثناء المفاوضات هذه بين سوريا والأردن أصرّ الوفد السوري أن يوضع في الاتفاق بند ينص على أنه يشمل أبناء فلسطين في الجمهورية السورية.

الجمهورية السورية أرادت أن تعامل أبناء فلسطين المهاجرين إلى سوريا معاملة السوريين، سيدخلون عمان كما يدخل السوريون ويعملون في عمان كما يعمل السوريون، وأصر الوفد السوري أن يوضع نص يجعل الفلسطيني في مقام السوري مشمولاً في هذا الاتفاق، غير أن الوفد الأردني رفض أن يجعل للفلسطينيين الموجودين في سوريا هذا الحق الذي يمارسه السوريون. وكان رفضاً مريباً، رفضاً غريباً وعجيباً أن يسمح لخمسة ملايين سوري أن يدخلوا عمان وأن لا يسمح لـ١٤٠ ألف فلسطيني أن يدخلوا إلى عمان، وعمان تصيح بأعلى صوتها كل فلسطيني أردني وكل أردني فلسطيني، وأنا لا أحمل على عمان، أنا لا أحمل على عمان، وإن كانت قهقهاتكم تحمل على عمان.. ولا أتهجم كذلك على عمان لأن عمان بلدنا وشعبها إخواننا ومن فيها هم إخوتنا ورفاقنا في الطريق وزملاؤنا في السلاح.

أنا أتحدث هنا على أمواج الأثير لا لاتهجم على عمان، ليس السباب طريق

منظمة التحرير ليست المهاترات طريق منظمة التحرير، ليس السفه طريق منظمة التحرير، لغتنا لغة مهذبة وإن تكن ثائرة، لغتنا لغة سديدة وإن تكن شديدة، لغتنا هذه ندعو فيها عمان أن تعود إلى الحق فإن العودة إلى الحق فضيلة، ومن أجل فلسطين فهو واجب مقدس. وليكن هتافنا تعيش فلسطين ويعيش شعب الأردن.

أيها الاخوان:

لكي تعيش فلسطين كما يهتف الهاتفون، يطرح السؤال وما هو دور منظمة التحرير لنسير جميعاً في طريق التحرير، السؤال بسيط والجواب بسيط، ليس تحرير فلسطين بحاجة إلى فلسفة كبرى ولا إلى عبقرية خارقة ولا إلى نبوغ آخاذ، التحرير هو أبسط أولويات الحياة، التحرير هو بديهيات الشعوب المناضلة، التحرير هدف واضح، وطريق واضح، فدور منظمة التحرير أن تعد شعب فلسطين لمعركة التحرير وإعداد شعب فلسطين لا بد فيه من التجنيد ولا بد فيه من التدريب ولا بد فيه من التنظيم: وقد شرعت منظمة التحرير في التجنيد وفي التدريب وفي التنظيم. كتائب جيش التحرير تنشأ الآن في سيناء وفي غزة، شبابنا بالعشرات هنا في الكليات الحربية بالجمهورية العربية المتحدة، كتائب جيش التحرير تنشأفي دمشق وشبابنا في المعاهد العسكرية في الجمهورية السورية، كتيبة الصاعقة تنشأ في العراق وشبابنا في معسكر الرشيد في كلية ضباط الاحتياط. ولكن إنشاء كتائب الصاعقة في العراق بعيد ألف كيلو متر عن ميدان المعركة، يطرح السؤال الكبير، ولم لاتكون كتائب التحرير في الأردن بلدنا؟

لقد تقدمنا بهذه المطالب إلى مؤتمر القمة: تجنيد رجالنا وشبابنا وراء خطوط الهدنة.. الشعب الفلسطيني بعد الكارثة تشتت في تجمعات وراء خطوط الهدنة في غزة وفي الأردن وفي سوريا... وفي لبنان، أرادت الكارثة أن يكون شعبنا واقفاً على خطوط الهدنة لينطلق من هذه الخطوط إلى معركة التحرير ونخوض معركة التحرير، ولقد رفض الأردن في مؤتمر القمة مطالب لمنظمة التحرير تتعلق بالتجنيد وبالتدريب وبالتنظيم. وزاد على ذلك رئيس وزراء الأردن ونحن في حوار عنيف معه في مؤتمر القمة بأن قال: «سنعيد النظر في مفهومنا لمنظمة التحرير الفلسطينية». وأنتم أيها الاخوان لقد أجبتم على هذا الكلام بالصيحات والهتافات، وقد انطلقت من حناجركم وكنت أتمنى لو انعقد هذا الاجتماع قبل مؤتمر القمة حتى يستمع الملوك والرؤساء إلى هذه القهقهات تنطلق من حناجر الشعب الفلسطيني، وأنا هنا أقول بكل احترام وبكل تهذيب وبكل تقدير لأن شعبنا شعب مهذب مؤدب يحسن لكلام ويحسن اختيار المعنى والألفاظ، أنا أردّ هنا على رئيس وزراء الأردن باسم الشعب الفلسطيني، إن الذي يعيد النظر في منظمة التحرير هو شعب فلسطين لا رئيس

وزراء الأردن. وأريد أن أزيد على ذلك، فلست أقف الآن أمام رئيس وزراء الأردن فقط في ما يتعلق بدور منظمة التحرير ومفهوم دور منظمة التحرير إذْ ليس لأي رئيس وزراء دولة عربية أن يعيد النظر في مفهوم منظمة التحرير، لأن منظمة التحرير هي لشعب فلسطين.

في مؤتمره الصحفي الأخير في عمان قال السيد وصفي التل كلمة.. قال كلمة بعضها حق وبعضها ليس بحق... أيها الاخوان، منظمة التحرير تدعوكم إلى الصبر وإلى السمع وإلى النظام، إستمعوا إلى ما أقول وستوافقوني أن بعض ما قاله حق وأن بعض ما قاله ليس بحق...، في مؤتمره الصحفي أخيراً قال: «.. إن المنظمة ليست منظمة الشقيري إن المنظمة هي منظمتنا»، القسم الأول من هذا الكلام حق، المنظمة ليست منظمة الشقيري، وإنها إهانة لشعب فلسطين أن تكون هذه المنظمة للشقيري، الشقيري خادم هذه الأمة والمنظمة لشعب فلسطين، ولكن لست أفهم ماذا يراد حين يقول إن المنظمة منظمتنا، أفيكم من الشباب من عهده قريب في الصرف والنحو، أنا نسيته من عهد بعيد، هذه منظمتنا، (النا) تعود لمن؟ أنتم أجبتم لمن يعود الضمير.. لأنه نابع من ضمير الشعب الفلسطيني.. إن منظمتنا.. إن كلمة منظمتنا هذا الضمير لا يعود إلى رئيس وزراء الأردن لأن هذه المنظمة ليست للأردن... ولا لرئيس وزراء الأردن، هذه المنظمة هي للشعب الفلسطيني، هذه المنظمة ليست لأي حكومة عربية، هذه المنظمة تمثل الشعب الفلسطيني... الشعب الفلسطيني له شخصيته المستقلة وهذه المنظمة هي ملك الشعب الفلسطيني، ليست ملك عمان، ولا غير عمان... وقضية فلسطين، ليعلم الجميع أنها فوق الملوك وفوق الرؤساء...

وأضاف رئيس وزراء الأردن بأن مطالب منظمة التحرير الفلسطينية هي دعوة للتجزئة، وللتفريق، أليس هذا عجباً؟ متى كان التجنيد دعوة للتفريق متى كان التدريب والتنظيم للتفريق؟.. نحن شعب فلسطين أمة الوحدة... لقد دعونا إليها وكافحنا من أجلها وسقط الشهداء ضحايا من أجل تحقيقها منذ عام ١٩١٩ والشعب الفلسطيني يدعو إلى الوحدة العربية، لقد كان شعارنا ونحن يومئذ أطفال نجري في الشوارع كان أباؤنا وأعمامنا يطوفون في الشوارع وبهتاف واحد فلسطين عربية ضمن إطار الوحدة العربية، كان هذا هو شعارنا، ويومئذ جاءت لجنة أمريكية في عام ١٩١٩ عرفت بلجنة كنج كرين، طافت في ديار الشام في سوريا وفي لبنان والأردن وفلسطين، وشعب فلسطين كان له مطلب واحد الوحدة السورية وحدة ديار الشام، هذا هو شعارنا وهذا هو مطلبنا يومئذ لم يكن الشعار من المحيط إلى الخليج، كان الشعار أصغر لظروفنا يومئذ كان الشعار من طوروس إلى رفح، هذه هي الوحدة التي دعونا

إليها وناديا بها، كيف يمكن أن يكون التنظيم الشعبي فرقة؟ نحن لسنا دعاة انطواء.

لسنا دعاة انفصال ولا دعاة انطواء وانعزالية، نحن أمة واحدة، وناضلنا من أجل هذه الوحدة نحن ما نبغي سلخ الضفة الغربية عن الضفة الشرقية، نحن ما نبغي إقامة حكومة فلسطينية لا في الوطن ولا في المهجر، قلتها مائة مرة ومرة وأقولها اليوم عبر أمواج الأثير لتسمعها عمان المرة بعد المرة، منظمة التحرير الفلسطينية لا تدعو إلى الفرقة لا تدعو إلى الانفصال لا تدعو إلى الانعزالية، وإنما تدعو إلى الوحدة، الوحدة العربية الكاملة فهذا هو شعارنا، وهذا هو كفاحنا. ويوم تتحرر فلسطين سيقرر الشعب مصيره بعد التحرير... وإذا كنت يومئذ على قيد الحياة وأرجو أن أراها حياً بعيني، سأدعو كمواطن من المواطنين، أن تنضم فلسطين إلى أي اتحاد عربي قائم، إلى أي وحدة عربية قائمة.

يقولون في عمان: إن الاستجابة لمطالب منظمة التحرير، إن التجنيد للشعب الفلسطيني، إن التدريب، إن التنظيم فيه ازدواجية، وأنا الذي قضيت عمري في المحافل الدولية لم أفهم معنى لهذه الازدواجية، هل ازدواجية ولاء؟.. أو ازدواجية عمل؟.. الشعب الفلسطيني يسأل ومنظمة التحرير الفلسطينية تسأل ما معنى الازدواجية؟.. نحن لا نعرف الازدواجيات ولا الثنائيات... ولا الثلاثيات... نحن نعرف ولاء واحداً ولا ولاء سواه، هو تحرير فلسطين، ولا ازدواجية في تحرير فلسطين وإذا لم تكن ازدواجية ولاء فماذا تكون؟. هل هي ازدواجية عمل؟ وكيف يمكن أن تكون هنالك ازدواجية عمل؟ إن جيش الأردن يتطلع بكل ضميره إلى أن يرى أبناء فلسطين كتفاً إلى كتف، معه في الخنادق وتحت السلاح، ليست هنالك ازدواجية عمل، فأيام الثورة الجزائرية كان جيش الجزائر في المغرب فما شعر واحد بالازدواجية، وكان جيش الجزائر في تونس. ولم تكن هنالك ازدواجية... في بريطانيا العظمى وحيث التعابير المرنة، حيث الدبلوماسية الرفيعة، في بريطانيا العظمى نفسها هنالك جيش انكليزي وجيش ايرلندي وجيش اسكتلندي، الجيش الاسكتلندي جنوده اسكتلنديون وضباطه اسكتلنديون وقادته اسكتلنديون، فهل عجباً أن يكون في الأردن جيش فلسطيني أفراده فلسطينيون وضباطه فلسطينيون..

ولكن أيها الاخوان، هذه الازدواجيات وهذه الحساسيات، هذه الحساسيات الشفافة الرفيعة، هذه الحساسيات الرقيقة ليست موجودة في صفوف الشعب، ليست موجودة في الضفة الشرقية ولا في الضفة الغربية، هذه المعاني ليست في ضمير أبناء الضفة الشرقية وأنا أحيي أبناء الضفة الشرقية، لأن هذه المعاني ليست في قلوبهم. أبناء الضفة الغربية شبابها طلابها ورجالها ونساؤها، كلهم يقفون إلى جانب منظمة

التحرير. هذه الحساسيات ليست موجودة في صفوف الشعب هذه الحساسيات والمعاني ليست في صفوف الجيش لأن الجيش يريد أن يرى إخوانه أبناء فلسطين في زمالة السلاح وفي إخوة الدم. هذه ليست على صعيد الشعب، هذه ليست على صعيد الجيش، في اربد مثلاً وهي في الضفة الشرقية هنالك ٦٠ ألف فلسطيني من العائدين من اللاجئين ينزلون منزلا كريماً عند اخوانهم في اربد من أبناء الضفة الشرقية، أبناؤنا هؤلاء اللاجئون الستون ألفاً يمكن أن نخرج منهم بخمسة آلاف مقاتل قادرين على حمل السلاح لو أن منظمة التحرير الفلسطينية أقامت هنالك معسكراً لأبناء فلسطين.

أنا أثق أن نساء اربد يحملن الطعام إلى اخوانهم أبناء فلسطين في المخيمات. يقول من في عمان إن مؤتمر القمة العربي قد أعفى الأردن من نشاط منظمة التحرير الفلسطينية. مؤتمر القمة العربي يعفى الأردن من نشاط منظمة التحرير الفلسطينية، من قال هذا؟ أين القرار الذي يعفي الأردن من التجنيد والتدريب والتنظيم؟ أي قرار هذا يعفي الأردن من مهام التحرير في طريق التحرير لأهداف التحرير هل مؤتمر القمة العربي يصدر شهادات إعفاء؟ هي مصلحة جمارك؟ وحقاً أنكم ضحكتم حقاً وسخرتم حقاً، ولو كان مؤتمر القمة يصدر شهادات إعفاء من الواجبات الوطنية ومن واجبات التحرير فإنه بالفعل جدير بالسخرية والضحك، ولكن حاشا لله أن يصدر مثل هذه الشهادات المنطوية على السخرية، سخرية الشعب وسخرية الأمة العربية. . أنا الذي أعلم أن مؤتمر القمة يفرض أعباء ولا يعفي من الأعباء، وإن كان قد أعفى ليبيا من أعباء التحرير لأنها بعيدة عن خط النار، وقد أفهم هذا لو أنه أعفى المغرب على الأطلنطي من أعباء التحرير لأنها بعيدة عن خط النار، قد أفهم هذا وان كنت أعلم أن ليبيا والمغرب لا يدخران جهداً في سبيل تحرير فلسطين، لكن يعفي الأردن. . يعفي خط النار. . يعفي الضفة الغربية. . يعفي الشعب البطل يعفي الشعب المجاهد المناضل من أعباء التحرير، لو أن إعفاء صدر من مؤتمر القمة ما كان مؤتمر تحرير، ولكنه كان مؤتمر تخدير.

أريد أن أقول إلى إخواني في عمان، حتى ولو كان هنالك شهادة إعفاء لعمان يجب أن ترفض عمان هذا الإعفاء بكل شمم واباء، من الذي يقبل إعفاء من واجبات التحرير وأعباء التحرير، لو أن مؤتمر القمة قد أصدر شهادة الغفران هذه إلى عمان حتى لايجند الشعب الفلسطيني لانتظرت من عمان أن تأخذ زمام المبادرة بنفسها وأن تلقي الأعباء على الشعب الفلسطيني في مهمات التحرير، بل إني أقول أكثر من هذا لو لم تكن منظمة التحرير قائمة، لو لم تكن منظمة التحرير منشأة، لوجب على عمان أن تنشئ منظمة التحرير، ما هي إلا قوة من طلائع التحرير. وشعب فلسطين طليعة ثورية من طلائع التحرير، وأنا أريد أن أستطرد إلى مثل غير بعيد، فقد أنشأنا معسكراً

للتدريب الشعبي في الكويت، أبناء فلسطين تلهفوا لأن يدخلوا التدريب الشعبي في الكويت، نساؤنا سيداتنا الفلسطينيات في الكويت أردن أن يدربن على اسعاف الميدان، ولكن لم يكن هذا أصلاً في الخطة العربية التي أقرها مؤتمر القمة، فمؤتمر القمة لم يصرّ على إنشاء معسكر تدريب شعبي في الكويت ولا أن ينشئ معسكراً لتدريب سيداتنا على اسعاف الميدان، ولذا يمكن للكويت حقاً وصدقاً أن يقول إن مؤتمر القمة قد أعفاني من هذه الأعباء، وذهبنا إلى الكويت وتحدثنا مع أمير الكويت ومع وزير الدفاع، ومع كبار المسؤولين، قلنا له إخوانكم وأخواتكم هنا في الكويت الرجال يريدون مركزاً للتدريب على السلاح والسيدات يردن مركزاً للتدريب على اسعاف الميدان، فقال الكويت أهلا وسهلا ومرحبا. تقول عمان إن منظمة التحرير تخوض الآن في اذاعة منظمة التحرير، معركة كلامية بعيدة عن خط النار، هل هذا الكلام صحيح؟

إنني لا أجيب عليه إذا أجبتم . . كلا . . وإنما أجيب عليه بالوقائع والأرقام، منظمة التحرير لا تخوض معركة كلامية . . . منظمة التحرير أنشأت وحداتها في سيناء وفي غزة وفي سوريا، وفي العراق وفي الكويت، ومنكم أنتم الطلاب والشباب هذا العام في فصل الصيف، منظمة التحرير دربت ثمانية آلاف طالب بارك الله في هؤلاء، نحن لا نخوض معركة كلامية ولكننا نسير في التجنيد وفي التدريب وفي التنظيم، لو أن الأبواب قد فتحت أمامنا لطلابنا وشبابنا في الصيف الماضي لأقمنا معسكرات شبابنا وطلابنا على ربى الخليل الجميلة وعلى هضاب القدس الفاتنة، وفي رام الله الخلابة وفي وديان نابلس وفي جنين وفي كل مكان، لو فتحنا المعسكرات لشبابنا وطلابنا في الأردن لكانت النسبة بين قطاع غزة وبين الأردن، اذا كنا قد دربنا ثمانية آلاف في غزة فنحن قادرون على أن ندرب ثلاثين ألف طالب وشاب من أبناء فلسطين في الأردن. هذه ليست معارك كلامية فمعركة التنظيم والتدريب والتجنيد هي معركة في صميم التحرير، ليست معركة كلام نحن هجرنا الكلام، شعب فسطين هجر منذ زمن طويل، الخطب الكثيرة والقصائد والشعر والنثر على مافيه من جمال وروعة، لكنه بعد اليوم نَظْمنا من أجل التحرير وخُطَبنا من أجل التحرير، هاهو الشقيري هنا أمامكم من أجل التحرير لا للخطب، ولا للبلاغة، ولا للفصاحة والبيان، ليست معركة كلامية، منظمة التحرير الفلسطينية لا تخوض معركة كلامية، قبل بضعة شهور وعلى أمواج الأثير ومن صوت منظمة التحرير عرضت منظمة التحرير الفلسطينية أن تقدم السلاح والعتاد والمعدات والذخائر للقرى الأمامية كلها، وأريد أن أكرر هذا العرض الآن وعلى مسمع منكم، وعلى مسمع من الشعب الفلسطيني وعلى مسمع من القرى الأمامية التي ألصقت أذانها وأفئدتها إلى أجهزة الراديو في هذه الساعة.

إن منظمة التحرير الفلسطينية مستعدة أن تسلح القرى الأمامية بالسلاح الخفيف

والمتوسط بذخائرها ومعداتها وبكامل أجهزتها، ونحن لا نحرص على أنانية وعلى ذاتية منا، لا لا نريد أن نقدم هذا السلاح بأيدينا نحن ندعو جلالة الملك حسين أن يقدم هذا السلاح بكلتا يديه إلى القرى الأمامية، وكذلك نحن لا نرى حرجاً لا في الأسماء ولا في النعوت ولا في الصفات. إذا شاء الأردن فليقل ولينقش على ذلك السلاح كلمة الأردن، وهي حبيبة إلى قلوبنا بشرط أن تقدم إلى القرى الأمامية، ليدافعوا فيها ويصبح خط النار خطاً حقيقياً مملوءاً بالنار لا خالياً من السلاح والعتاد، هذا أيها الاخوان ليس تفكير المراهقين، لقد قيل إن الكلام هو كلام المراهقين، كلام منظمة التحرير الفلسطينية وعرضها هذا كلام مراهقين ومرتجل بعيد عن الخطة وعن التنظيم، وأنا أعلم أن التنظيم ليس معناه الارتجال، التنظيم هو نقيض الارتجال، نحن نتهم بالارتجال ولكننا ندعو إلى التجنيد ندعو إلى التنظيم، ندعو إلى التجنيد هل هذه الدعوات ارتجال، هذا ليس بارتجال إنما هو إعداد للمعركة ليست هذه أفكاراً لمراهقين. . ولكنها عزيمة صادقة ونحن نعني ما نقول، ليس في الشعب الفلسطيني مراهقون لا في الفكر ولا في الضمير.

ليعلم كل من يريد أن يعلم وليسمع من له أذنان للسمع أن يسمع، شعبنا ليس شعب المراهقين ولكنه شعب الغرّ الميامين، وبرروا إذا شئتم أيها الإخوان، لا أريد أن أسترسل طويلاً، أرجو أيها الاخوان أن تثقوا أن حديثنا عن الأردن وتركيزنا على الأردن ليس له إلا هدف واحد ومعنى واحد هو هدف التحرير، لم لا نتكلم عن الدول العربية الأخرى، الجواب بسيط وبسيط لأن في الأردن الضفة الغربية أكبر منطلق للتحرير، وفيها شعب مصمم على التحرير، تسألوني عن الوساطة، وكما قلت لكم أيها الاخوان بالنسبة للدول التي تحفظت ومن جملتها لبنان، نحن انتهينا في مؤتمر الذروة إلى أن نتصل بهذه الحكومات واحدة واحدة لإزالة هذه التحفظات. . . وثقوا أن منظمة التحرير لن ترجع عن مطالب الشعب وإذا لم تتحقّق فستحقق على أيدي الشعب.

وإذا سألتموني عن الطريق فالشعب الفلسطيني ذكي الفؤاد وعارف بالهدف وبالطريق، إن طريقنا دون أن أشير إليه من قريب أو بعيد هو طريق الشعب ولا طريق سواه، هذا الذي يحقق مطالب الشعب، كل الذي أريد أن أنهي إليه حديثي أيها الاخوان أننا هنا حاسبنا الأردن على موقفه، ولا نريد من هذا الحساب إلا أن نتفق مع الأردن على الاستجابة الكاملة لمطالب منظمة التحرير الفلسطينية. هنالك وساطة طلبت من الجمهورية العربية المتحدة، وهي وساطة على الرأس والعين وساطة نرحب بها من الجمهورية العربية المتحدة ومن كل حكومة عربية على أساس الاستجابة الكاملة لمطالب منظمة التحرير الفلسطينية.

لن نتراجع، لن نتردد ولن نلتفت يميناً ولا يساراً، فالشعب بدأ طريقه، الشعب شق طريقه وسيظل الشعب ومنظمة التحرير بكل عزيمة لتحقيق مطالب التحرير بالتدريب وبالتجنيد وبالتسليح حتى يصبح شعبنا كله تحت السلاح وفي الخنادق استعداداً لمعركة التحرير. لقد وصلت إليّ ظهر هذا اليوم قصاصة من صحيفة إسرائيلية تصدر باللغة الإنجليزية اسمها **الجروسالم بوست** تعليقاً على ما بيننا وبين عمان، ما بين منظمة التحرير وعمان والعنوان مفجع حقاً ومفزع حقاً، يقول العنوان وأقرأه أولاً بالإنجليزية:

«لا مكان للشقيري في الأردن»، هذا ما تقوله إسرائيل، وهذا ما تريده إسرائيل وماتتمناه إسرائيل، لكن تخسأ إسرائيل لأن الأردن هي بلدنا وهي وطننا ولا تستطيع أية قوة قاهرة أن تحول بيننا وبين الأردن. وأنا أدعو عمان أن تقرأ هذا العنوان، فيه العبرة البالغة، فيه العظة الكبيرة.. أدعو عمان بالإخاء وبالجد وبالعزيمة، أدعو عمان بهدف التحرير المقدس، أدعو عمان إلى الطريق، إلى الطريق معاً منظمة التحرير وعمان، لها دورها، لها دورها كحكومة ولنا دورنا كشعب، نحن نجنّد شعبنا وننظم شعبنا وندرب شعبنا، ونلتقي معاً على الطريق. هذا العنوان يكفي أن تعود عمان إلى الطريق، أن تعود عمان إلى الحق... وأنا أدعو ناصحاً وأخاً أن تعود عمان إلى الطريق وأن تعود عمان إلى الحق.... فإن طريقنا هو التحرير لا نريد الخصام مع أية حكومة عربية، و لا نريد المعارك الجانبية، لا نريد جريدة إسرائيلية أن تكتب هذا العنوان، «لا مكان للشقيري في الأردن».. يجب أن نتعاون نحن وعمان حتى يكون مكاني لا في الأردن ولكن في يافا وفي عكا وفي حيفا وفي الناصرة.

(١٩)

طريق التحرير... طريق بورسعيد: خطاب الشقيري في المؤتمر الشعبي الذي أقيم في بورسعيد، ١٧ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٥

أخي اللواء حسن رشدي . .

إخواني أبطال بورسعيد

إخواني أبناء فلسطين

منذ غادرت القاهرة صبيحة هذا اليوم لأمثل أمامكم، لأمثل أمام الشعب وأؤدي حساب الأمانة، منذ غادرت القاهرة إليكم لأتحدث إليكم عن القضية الغالية على قلوبنا جميعاً العزيزة على أفئدة الأمة العربية بأسرها، وأنا أرى في طريقي إلهام التحرير ووحي التحرير يتعاقب وحياً بعد وحي، وإلهاماً بعد إلهام، رأيت كل هذا وأنا في طريقي إليكم وكأنما هذا اليوم مصادفة تاريخية أن يكون لقاؤنا هنا في بور سعيد في يوم جيش مصر، في هذا اليوم الذي تحتفل فيه الجمهورية العربية المتحدة بيوم القوات البرية . . يلتقي شعب فلسطين، وكنت في طريقي إليكم في السيارة أستمع إذاعة مصر بنبرة التحرير . . . أستمع إلى إذاعة مصر وهي تحتفل بيوم القوات البرية، من جيش مصر البطل الباسل . . أستمع إلى حديث بين المذيع وبين الفريق الأول المرتجى وسمعت حديثه وهو يتحدث عن قضية فلسطين .

هذا القائد المرتجى يتحدث عن جيش مصر وعن سلاح مصر وعن تدريب جيش مصر وعن الروح المعنوية في كتائب جيش مصر . . . يتحدث عن المعارك التي خاضها جيش مصر في اليمن ويسأل المذيع ذلك السؤال إلى القائد الكبير . . .

وما هي معركة المستقبل؟ وكان جواب القائد الفريق المرتجى جواباً فيه كل الفصاحة والبلاغة.. من غير أن تكون هنالك زخارف الفصاحة ولا بهارج البيان والبلاغة، قال: تسألني عن نوع المعركة المقبلة؟ الأطفال يعرفون المعركة المقبلة.. أطفال مصر، هي معركة فلسطين؟.. ومضيت في طريقي وهذا إلهام التحرير والوحدة، ووحي التحرير يتعاقب عليّ وأنا في سيري بالسيارة وجهاز الترانزستور إلى جانبي وأنا أستمع إلى أحاديث ضباط جيش مصر، كلهم يتعاقبون في الحديث عن الجيش وسلاح الجيش وقوة الجيش وروح الجيش، ورأيت في هذا الحديث كله وفي هذا الإعداد الروحي كله إعداداً لمعركتنا الكبرى معركة تحرير فلسطين معركة الأمة العربية.

لم يكن هذا الإلهام لي وحدي ولا هذا الوحي وحي التحرير وحياً لي وحدي، ولكنه كان وحياً وإلهاماً أيضاً للواء وجيه المدني قائد جيش التحرير ورئيس أركان الحرب السيد الجابي، كان هذا وحياً من الجيش إلى الجيش.. من جيش مصر إلى جيش فلسطين، ونحن لا نعد جيش فلسطين ليكون جيش الاستعراض في أيام أعيادنا القومية ولا نعده كذلك ليكون في هذه المناسبات أمام الشعب، يغدو ويروح ولكن نعده ليخوض المعركة بفدائية الشعب وطلائعية الشعب وقومية شعب فلسطين، هذا هو جيش تحرير فلسطين.. ومضيت في طريقي إلى أن بلغت المدينة مدينة الأبطال ومدينة الرجال مدينة الجهاد والاستشهاد مدينة بور سعيد التي نلتقي فيها الآن... ورأيت في طريقي إليها وحي التحرير، يلاحقني ويتابعني ورأيت نفسي وجهاً لوجه أمام قبر الجندي المجهول، أقف أمامه خاشعاً، أقف أمامه خاضعاً بالفاتحة الكريمة أترحم فيها على شهداء هذا البلد الذي أخرج البطولات والبسالات. وسار السؤال الكبير في نفسي من هذا الجندي المجهول؟.. ولمن سقط هذا الجندي المجهول؟..

ولقد تصدت بور سعيد للعدوان الثلاثي وردته خاسراً مدحوراً لقد فعلت هذا من أجل فلسطين ومن أجل تحرير فلسطين.. ثم جئت إليكم أيها الإخوان في هذا الحفل الحاشد في هذا الحفل الرائع، وأنا أستمع إلى هتافات الشباب وأنا أرى على وجوههم قسمات الإيمان والعزيمة والتحفز إلى البطولة والجهاد والاستشهاد..ورأيت الوحي يتابعني ويلاحقني.. هنا من حول هذه المائدة أرى اثنين من شبابنا.. هنا على ميسرتي وهنا على ميمنتي اثنان من شباب فلسطين يرتدون على رأسهم الكوفيه والعقال التي يلبسها إخواننا في الضفة الشرقية من الأردن. وكان ذلك أيها الإخوان، كان ذلك دليلاً قاطعاً ساطعاً بان منظمة التحرير لا تقوم بالفرقة ولا تدعو إليها، كان ذلك آية ساطعة بأن شعب فلسطين ليس

شعب تجزئة ولا شعب تفرقة ولكنه شعب قاتل من أجلها، وسقط شهداؤه من أجلها وهانحن هنا لنقدم الدليل القاطع لنضعه على رؤوسنا وعلى رؤوس شبابنا بأننا هنا لا نفرق بين شرقية وبين غربية، نحن رفاق السلاح، نحن رفاق الجهاد طريق السلاح وطريق الكفاح ولا يفرقن أحد شعبنا المجاهد ولا يعدلن أحد شعبنا عن طريق الكفاح والنضال، منظمة التحرير للوحدة وشعب فلسطين للوحدة وهي وحدة للتحرير ووحدة للكفاح..

وتعاقب وحي التحرير حتى شرعنا في حفلنا هذا. رأيت أن وحي التحرير يلاحقني ويلاحقنا جميعاً ويتعقب آثارنا، رأيت رئيس مكتب المنظمة في بور سعيد وهو يتقدم بوثيقة كتبت بالدم وليس هذا بالأمر الغريب أو العجيب.. شعب فلسطين شعب متلهف أن يحرر وطنه بالدماء، شعب فلسطين يتلهف إلى السلاح، شعب فلسطين قاتل من أجل وطنه ثلاثين عاماً أيام الانتداب البريطاني قوات من غير تكافؤ وغصت السجون والمعتقلات، وغصت بنا أراجيح الأطفال بمن علق على أعوادها من رجالنا وشبابنا وأبطالنا.

ليس غريباً على شعب فلسطين أن يكتبوا على طريق التحرير بالدم وليس غريباً أن تقدم وثيقة التحرير بالدم لأنهم مقبلون على طريق التحرير، وليس غريباً أن تقدم وثيقة الدم هنا في بور سعيد، وأرضها قد رويت بدماء الشهداء والرجال والنساء... ومضى هذا الوحي يتعاقب علينا جميعاً، الوحي هذا لم يسقط عليّ وحدي، ولكنه تهاوى أنتم عليكم جميعاً في ضمائركم وفي أفئدتكم وألقي على أكتافكم جميعاً... اللواء المحافظ تقدم إليّ بهدية غالية، هدية ذكية هي ذكية بذاتها ولكن تزداد ذكاوتها وتزداد قداستها، إنها تقدم إليّ من محافظ بور سيد وباسم شعب بور سعيد إلى شعب فلسطين... وهذه هدية غالية وتحمل ذكريات غالية وتنطوي على آمالنا جميعاً آمال الآمة العربية، سأصون هذه الهدية، سأحتفظ بها كما أحتفظ بأغلى مقتنياتي لكنها لن تظل في بيتي ولن تظل في حرزي، أرجو أن أظل على قيد الحياة يوم تحرير فلسطين لنضعها في متحف تحرير فلسطين.

أيها الإخوان..

منذ ثلاثة أيام تنادى إخواننا من أبناء فلسطين إلى الإسكندرية والتقى أبناء فلسطين في اجتماع شعبي كبير في جامعة الإسكندرية، ولم يكن الاجتماع قاصراً على أبناء فلسطين، فقد خف إليه ثقالاً وخفافاً أبناء الإسكندرية رجال الدولة في الإسكندرية، ورجال الاتحاد الاشتراكي في الإسكندرية، خف كل هؤلاء جميعاً ومعهم طلاب العرب جميعاً من الأردن ومن سوريا ومن لبنان. ولم يعد ذلك

الاجتماع مؤتمراً شعبياً فلسطينياً وإنما انقلب اجتماعاً شعبياً عربياً كبيراً تتجسد فيه آمال الأمة العربية وتتمثل فيه أغلى وأعز أمانيها. ومثلت أمام ذلك المؤتمر أتحدث عن قضية فلسطين وعن مؤتمر القمة وعن مطالب منظمة التحرير الفلسطينية في التجنيد والتسليح والتدريب وبالتنظيم، فاندفع صوت الشعب عالياً مدوياً مؤيداً لشعب فلسطين، ومؤيداً لمطالب منظمة التحرير لأنها مطالب الشعب الفلسطيني.

الشعب الفلسطيني مصمم على الكفاح، الشعب مهيء نفسه لخوض معركة التحرير، الشعب الفلسطيني قادر على أن يخوض معركة التحرير، لكن لابد للشعب الفلسطيني من تنظيم ومن تدريب ومن تسليح.. من أجل هذا فقد علا صوت مؤتمر الإسكندرية مؤيداً لشعب فلسطين، مؤيداً لمطالب منظمة التحرير الفلسطينية، لقد كان صوتاً عالياً وعلى يقيني أن هذا الصوت العالي قد وصل إلى الملوك والرؤساء. نحن على يقين أن صوت الشعب لا يعلو عليه شيء لأن صوت الشعب يعلو ولا يُعلى عليه.

نحن هنا الآن في مؤتمر شعبي آخر... نحن هنا بعد الإسكندرية في بور سعيد... بور سعيد أيها الإخوان حافلة بتاريخ جليل كتبه أيام العدوان الثلاثي، كل شارع في هذه المدينة الخالدة يضج بالتاريخ، كل منزل وكل دار وكل حي من أحيائها سقط فيه الشهداء وكتب آيات من البطولة العزيزة كتب آيات من البسالة العجيبة هي بسالة الأمة العربية وهي بطولة هذه الأمة العربية، ذلك أن شعب بور سعيد تتمثل فيه الفلذة الغالية والقطعة الغالية من شعب الأمة العربية وبور سعيد أرضها من تراب هذا الوطن الزكي الذي حفل ترابه على مر العصور والأجيال بأزكى أريج للشهداء والأبطال الشجعان. ينعقد مؤتمرنا هذا ولا يحضره أبناء فلسطين وحدهم ولكن يلتف من حولهم أبناء بور سعيد من رجال الدولة ومن رجال الشعب وفي هذا الرمز الكبير على أن الأمة العربية كلها في طريق التحرير وإلى هدف التحرير... وانعقاد هذا المؤتمر الشعبي الكبير في بور سعيد يحمل في طياته معنى كبيراً، هذه المعاني التي تحتفلون بها أنتم الآن.

بور سعيد أيها الإخوان لم تعد ثغرة من ثغور العرب فحسب، بور سعيد أيها الإخوان لم تعد أساساً جغرافياً نراه على الأطلس والخرائط.. بور سعيد أصبحت معنى خالداً من المعاني العربية الخالدة.. بور سعيد أصبحت رمزاً لقوة الشعب وقضية فلسطين وراءها قوة الشعب، وحين نلتقي هنا كما هتف الشباب في الصفوف الخلفية حينما قلتم سننتصر... سننتصر وكما انتصرت بور سعيد ستنتصر الأمة العربية في تحرير فلسطين.

قبل يومين وأنا عازم المجيء إلى بور سعيد تلقيت برقية من مكتبنا، مكتب المنظمة في نيويورك، وتلح هذه البرقية بكل إصرار على أن أسافر فوراً إلى نيويورك إلى الأمم المتحدة. . . لشهود جلساتها التي تنظر الآن وفي المساء قضية فلسطين ولن تكون هناك حيرة في نفسي، أذهب إلى نيويورك؟ أذهب إلى بور سعيد؟ لم تكن هنالك حيرة في نفسي لأنه كان هنالك أمامي خيار واحد لا ثاني له ذلك الخيار أن لا أذهب إلى نيويورك ولا إلى الأمم المتحدة، ولكن أذهب إلى بور سعيد لألقى إخواني في بور سعيد. . . وساءلت نفسي أيها الإخوان في لحظة من لحظات التأمل والتفكير، سألت نفسي لم أذهب إلى الأمم المتحدة؟ وهي التي ظلمت شعباً وأخرجته من دياره ومن وطنه، لم أذهب إلى الأمم المتحدة، وقد ذهبت إليها سبعة عشر عاماً طوالاً وأنا ورفاقي في الأمم المتحدة من أجل قضية فلسطين بكل عدالتها بكل قداستها بكل فداحتها، نستبكي من السامعين ونستصرخ ضمير الحاضرين. . . ما تركنا قانوناً إلا وأشرنا إليه ولا حجة إلا ووضعناها أمام الأمم المتحدة، ولا تاريخاً ولا جغرافية ولا منطقاً يمكن أن يخطر على البال وأن يجول على اللسان إلا وقلناه طوال سبعة عشر عاماً، متعاقباً دورة بعد دورة، فما أعدنا لاجئاً إلى وطنه ولا استنقذنا شبراً من أرضنا السليبة. قلت لن أذهب إلى الأمم المتحدة، ليست الأمم المتحدة الطريق إلى تحرير فلسطين لكن تحرير فلسطين هو هنا على أرضنا في بلدنا وفي الوطن العربي.

ومن أجل هذا أيها الإخوان أرسلت الجواب على البرقية إلى إخواننا في نيويورك أنتم هناك امضوا في طريقكم في الجبل الذي لا نهاية له. . . احضروا جلسة الأمم المتحدة وتحدثوا للمرة الثامنة عشرة ثم للمرة التاسعة عشرة، أضيفوا إلى سجلات الأمم المتحدة خطباً أخرى، ولكن ثقوا أن تحرير فلسطين ليس له إلا طريق واحد ليس طريق نيويورك ليس طريق الأمم المتحدة لكنه طريق بور سعيد، إنه أقصر إلى فلسطين.

أنا أرى أن النظام لا يضبطكم ولكني أعذركم لأن الثورة فوق النظام وأنتم الثوار. من أجل هذا رأيت أن أكون أمامكم هذه الليلة وأن أمثل أمامكم وأؤدي الحساب عن الأمانة الغالية. . أمانة قضية فلسطين وقضية فلسطين لا تحرر على منابر الأمم المتحدة ولكنها تحرر من أرضنا: تحرر من الخليل حين تكون الخليل كلها ثكنة عسكرية، تحرر من القدس ورجالها وشبابها كلهم تحت السلاح، تحرر من جنين ومن طولكرم ومن قلقيلية ومن قرانا الأمامية وكل رجالنا ونسائنا حاملون للسلاح مرابطون في الخنادق متحفزون للكفاح ينتظرون ساعة الصفر وينتظرون ساعة النصر، هذا طريق التحرير وليس طريق الأمم المتحدة ومن أجل هذا نلتقي هنا في

بور سعيد. . . ولست أقول هذا للأمم المتحدة وحدها، لست أقول هذا جواباً على برقية وردتني من نيويورك ولكني أقول هنا وأنا في بور سعيد، في بلد الرجال وفي بلد الأبطال وأنحني هنا أمام جهاد المجاهدين، وكفاح المكافحين. . وأنا أقف هنا في بور سعيد لا لأقول لا للأمم المتحدة ولكن لأقول لمؤتمر القمة العربي بكل ملوكه ورؤسائه أن طريق التحرير هو طريق بور سعيد ولا طريق سواه.

جئت لأحدثكم عن قضية فلسطين. . قضية فلسطين في ساعاتها التي نعيشها في يومنا هذا في مسائنا هذا. . جئت لأحدثكم عن قضية فلسطين ولا بد لذلك من حديث عن مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء، لأن الحديث عن قضية فلسطين لا يمكن أن ينعزل عن الحديث عن مؤتمر الدار البيضاء وما أنجز وما لم ينجز. وقضية فلسطين يجب أن تطرح أمام الشعب، أمام الأمة العربية بأسرها. . هي القضية الباقية هي القضية الكبرى. . . نحمد الله على أن إخواننا في الجزائر قد حققوا استقلالهم بعد جهاد طويل مرير دام مائة وثلاثين عاماً نحمد الله أن شعب تونس وأنا هنا أمجد شعب تونس وقد استطاع أن يحقق استقلال وطنه بعد سبعين عاماً من الكفاح. .

نحمد الله أن إخواننا في ليبيا قد استطاعوا بعد أربعين عاماً من الجهاد والاستشهاد أن يحققوا لبلادهم الاستقلال وهكذا شأن المغرب بعد ثلاثين عاماً من النضال ومن الجهاد ومن الاستشهاد، ونحن في يومنا هذا أمام كفاح إخواننا في عدن نحمد الله على أن الكفاح قائم على ساق وقدم في عدن ونحن مؤمنون بأن النصر لا بد أن يأتي لأهل عدن نتيجة لازمة لكفاحهم. فإذا كانت البداية كفاحاً كانت النهاية نصراً. . نحمد الله على ذلك كله لأن ذلك قد أزاح من طريقنا كثيراً من أحمال التحرير وأعباء الكفاح للأمة العربية في مشرقها وفي مغربها تستكمل سيادتها وحريتها واستقلالها، نحمد الله أن كفاح الأمة العربية قد أنجز الكثير وأمامنا الاستقلال نراه ونجتني طلعته وحين نسافر من المشرق إلى المغرب ونرفع الشعار الكبير من المحيط إلى الخليج نحس بأعماق ضميرنا أن تحت هذا الشعار حقائق عزيزة نشهدها في استقلال بلادنا وشعوبنا حامدين لله وشاكرين أن النصر الموفور قد جاء في أعقاب هذا الكفاح الطويل المرير، حامدين الله أن اتفاق جدة الأخير بين الرئيس عبد الناصر وبين الملك فيصل قد أمكن الوصول إليه لأن ذلك قد أزاح لنا من الطريق أيضاً أعباء وأعباء ووراء تلك الأعباء كثير من المصاعب والعقبات.

ولقد أصبحنا نحس من قرارة ضميرنا أن القوة العربية ستصبح قريبة من

ميدانها وفي جبهتها وفي خط النار. نحن حامدون لله كل ذلك لنقول لأمتنا العربية وليعلم كل إنسان واعٍ في هذه الأمة العربية أنه لم يبق لنا إلا القضية الكبرى القضية الغالية القضية المقدسة، لم يبق للأمة العربية إلا تحرير فلسطين. ليست هذه قضية شعب بمفرده ليست هذه رقعة واحدة من رقاع الوطن العربي الكبير، لم تعد قضية فلسطين قضية شعب فلسطين لقد كانت إلى أعوام ١٩٤٧ قضية الشعب الفلسطيني وقضية الوطن الفلسطيني ولكن بعد عام ١٩٤٨ أصبحت قضية فلسطين ملك الأمة العربية بأسرها، وأصبحت قضية فلسطين هي قضية الأمة العربية لحماً ودماً ومصيراً ووجوداً، هي معركة الفناء والبقاء هي معركة الأمة العربية لأزمان طويلة مقبلة.

الأمة العربية يتهدد وجودها ومصيرها خطر داهم عليها فلم تعد القضية قضية اللاجئين من أبناء فلسطين ولا قضية الشعب الفلسطيني، وإنما هي قضية الأمة العربية. هذه القضية التي التقى من أجلها مؤتمر القمة ومن أجل هذا لا يمكن أن يكون مؤتمر القمة إلا شامخاً في القمة فوق السحاب وفوق الضباب وفوق الغمام تسطع عليه شمس الحقيقة فلا مداورة ولا لف ولا مجادلة، ولكن كلام واضح صريح لأن القمة لا تكون في الكهوف ولا في المغاور ولا في الدهاليز ولا في الغرف المعتمة الباردة بعيداً عن أبصار الشعب وعن أفئدة الشعب وأسماع الشعب، ومن أجل هذا يجب أن يكون مؤتمر القمة تحت بصر الشعب. ونحن شعب فلسطين هنا في بور سعيد لا نتكلم باللغة الدبلوماسية ذلك أن بور سعيد لا تعرف الدبلوماسية ولغتها لغة الثورة، ولغتنا هذا المساء يجب أن تكون لغة الثورة ولا لغة سواها من أجل هذا أيها الإخوان سأكلمكم عن مؤتمر القمة.

أيها الإخوان من أجل هذا سأحدثكم هذه الليلة حديث الصدق والأمانة والصراحة سأحدثكم بصدق هذه المدينة الخالدة وبصراحة رجالها وأمانة شجعانها.

سبب آخر يدعو إلى الصراحة في الحديث عن مؤتمر القمة في بور سعيد، تذكرون ولايغيب عن ذاكرتكم أن الرئيس عبد الناصر في أعياد النصر وقف هنا في بور سعيد يخطب عن الظروف التي تلم بالأمة العربية، عن الانقسامات التي تسودها وتسود علاقاتها، عن الموقف العسكري عن الموقف السياسي، يخطب عن تحويل إسرائيل لمجرى الأردن عن سرقة العصابة الإسرائيلية لنهرنا لمائنا بروافده ومجراه، يخطب هنا في بور سعيد. ومن بور سعيد هنا دعا الرئيس عبد الناصر الملوك والرؤساء إلى اجتماع القمة العربي الأول في القاهرة... ومؤتمر القمة يا

أهل بور سعيد قد ورد هنا في بور سعيد وعلينا هنا أن نكشف عن مواطن القوة وعن مواطن الضعف في مؤتمر القمة. والتقى مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة والثاني في الإسكندرية والثالث في الدار البيضاء والسؤال مطروح الآن على الأمة العربية هل أفلح مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء أو فشل؟ ولتجيبوا عن هذا السؤال ولتعلموا إذا كان مؤتمر الدار البيضاء قد نجح أو قد أخفق لابد أن تعودوا بالأمور إلى بدايتها في القاهرة مؤتمر الذروة العربي الأول بالقاهرة من أجل ماذا؟

لقد انعقد من أجل موضوع تحويل إسرائيل لمجرى نهر الأردن. مؤتمر القمة العربي وضع خطة لمشروع عربي مشروع مضاد لتحويل إسرائيل، مشروع تحويل الروافد العربية في الأرض العربية، وضع خطة عسكرية وخطة مالية وخطة فنية. وطلب من القيادة العربية الموحدة أن تمضي قدماً في حماية مشروع تحويل الروافد العربية وكلف هذه المهمة إلى رجل من خيرة أبناء مصر هو مثال الاستقامة والخبرة العسكرية الفريق أول علي عامر. . . . وضع علي عامر الخطة لحماية المشروع العربي وقال لمؤتمر القمة أنا كرجل عسكري قادر على حماية العمل العربي وقادر على الدفاع ضد غارات إسرائيل، أنا قادر إذا نفذت مطالبي أن أحمي العمل العربي في الأرض العربية على التراب العربي وأنا كإنسان مسؤول أقول هذا للملوك والرؤساء. هذا ما قاله علي عامر أنا قادر على هذه الحماية إذا كنتم توفرون لي المطالب التي أريدها، وتقدّم بمطالبه وأقرّت تلك المطالب.

ماذا كان مصير المشروع في الدار البيضاء؟ بدأ المشروع في القاهرة كما وصفت لكم ثم استكمل مرحلته في الاسكندرية كما ذكرت لكم وحينما التقينا في الدار البيضاء وجدنا القوات العراقية. . . والقوات السعودية التي طلب علي عامر أن تأخذ مراكزها وتحشد قواتها على الأرض الأردنية لم تدخل الأرض الأردنية ولم يؤذن لها بدخول الأراضي الأردنية، بل هي في الصحراء بعيدة عن الخطوط الأردنية عاماً بكامله وهي تنتظر الأذن بالدخول وما استطاعت الدخول، وبهذا أصبح تحويل روافد الأردن من غير حماية عسكرية ورأى القائد علي عامر صاحب المطالب، رأى نفسه من غير مطالب وبهذا نحن أمام تجربة خطيرة.

نحن نرى أنفسنا أمام هدف كبير لا يجوز أن تغفل عنه الأمة العربية، لايجوز أن يحجب عن الأمة العربية، ليس هذا من الأسرار العسكرية فالصحف هنا في القاهرة وفي غير القاهرة نشرت الأنباء عن منع الأردن دخول القوات العربية العراقية إلى

الأراضي الأردنية لحماية المشروع العربي على الأرض الأردنية وبهذا أيها الاخوان ثار سؤال كبير في نفس كل عربي: اذا كان هذا هو مصير التحويل فما هو مصير التحرير؟ هذه تجربة صغيرة لوحدة الأمة العربية.. لوحدة قيادتها. القيادة العربية الموحدة ليست تحت أمر ملك أو رئيس، القيادة العربية تنفذ خطة التحرير والقيادة العربية الموحدة لا تلقى فيتو من هذا الملك أو ذاك الملك، من هذا الرئيس أو ذلك الرئيس، القيادة العربية اذا كانت أثناء المعركة وفي خضم القتال وقعقعة السلاح ولعلعة المدافع وصواريخ الطائرات يقال لها مزاجاً هذه الخطة لا تعجبني وهذا الطريق لا يلزمني، إذا كان كل ملك أو رئيس يترك تحرير فلسطين على مزاجه وعلى هواه ولا يدع يد قائدنا علي عامر سليطة في معركة التحرير فعلى الأمة العربية أن تبحث لها عن طريق آخر لتحرير فلسطين. والأمة العربية لا تبخل بهذا الطريق لأنها أمة جواد أمة كرم وأمة شجاعة وبطولة، فاذا لم يكن التحرير بالقمة فإن الأمة العربية تستطيع أن تبني قمة تكون في الذروة وقادرة على حمل الأمانة وحمل هذا التحرير إلى نهايته وإلى النصر الذي نبتغيه.

أيها الاخوان...

أيها الاخوان الهتاف الذي استمعتم إليه «جيش عربي واحد» هو الطريق الوحيد إلى تحرير فلسطين. الأمة العربية منذ نكبة فلسطين مرت في تجارب كثيرة كانت التجربة الأولى القيادة العربية المشتركة ثم انتقلنا إلى القيادة العربية الموحدة وها أنتم ترون أننا في هذا الموضوع الخطير، أنا لا أقول إن تحويل الروافد هو تحرير فلسطين إنه مسألة هامة من غير شك، مسألة خطيرة من غير شك، ولكن إذا كنا بهذا الأمر اليسير نتلكأ أثناء الطريق ونقيم العقبات في طريق علي عامر فحينئذ... هذه ليست قيادة عربية موحدة، هذه بلاد عربية لا هي قيادة ولا هي عربية ولا هي موحدة وإذا كنا نسير في طريق تحرير فلسطين على غرار ما نجري فيه في تحويل مجرى الأردن... أنعم بطول سلامة يا مربع... نحن نريد كما قال الشاعر...

زعم الفرزدق أنه سيقتل مربعاً أنعم بطول سلامة يا مربع

انعم يا إسرائيل بطول سلامة ولكن نريد الفرزدق في الأردن أن يقتل مربعاً في إسرائيل وتكون هذه هي بداية التحرير.

أيها الاخوان...

أنا حين أتحدث عن تحويل الروافد وتقاعس الأردن في موضوع تحويل

الروافد لا أفعل هذا حقداً على الأردن، ولكن حباً بالأردن وتقديراً للأردن. لو كان لأيّة دولة عربية أن لا تهتم بتحويل الروافد سواء أكانت في المغرب العربي أو في المشرق العربي فليس للأردن أن تغمض له جفن عن موضوع تحويل مجرى الأردن، فإن إسرائيل قد حولت مجرى الأردن لتعمير النقب، إن إسرائيل قد فعلت هذا لتستزيد من الطاقة البشرية، لتستزيد من المهاجرين بالملايين يقيمون على النقب لتقيم المصانع والمزارع في النقب، لتقيم القلاع بالمستعمرات في النقب، ولكن ينبغي أن تعلم كل الأمة العربية وفي طليعتها الأردن أن معركة النقب هذه ليست موجهة إلى مصر..

صحيح ما قاله الرئيس عبد الناصر في خطابه الأخير يوم أبرز الخريطة أمام الجماهير، تلك الخريطة التي بعث بها واحد من أبناء العروبة من لندن وهي تقول بأن حلم إسرائيل هو من النيل إلى الفرات... صحيح ما قاله الرئيس عبد الناصر لكن هذه معركة النقب ليست موجهة إلى مصر في المرحلة الحاضرة. إن معركة النقب ليست من أجل النقب، عين إسرائيل في النقب، معول إسرائيل في النقب لكن هواها وفؤادها على الضفة الغربية لأنها ترى أنها أكبر موقع استراتيجي من الثروة الاستراتيجية الكبرى التي تدمر إسرائيل، وأرادت إسرائيل أن تسد الدرب على الضفة الغربية على الأردن... مصر عبر التاريخ لها درب تاريخي عبر سيناء وعبر النقب إلى المشرق العربي... تاريخ مصر لم يكن مع المغرب العربي كان مع المشرق العربي كله وتاريخ المغرب العربي مع مصر هو الطريق التاريخي... مصر تروح وتغدو إلى المشرق العربي عن طريق سيناء وعن طريق النقب، وإسرائيل أرادت أن تضع حائلاً وسداً منيعاً يحول دون نجدة القوات المصرية والجيش المصري حينما تنقض إسرائيل على الضفة الغربية، لذلك فإن معركة النقب ليست موجهة إلى مصر، وإنها تعلم أن مصر قادرة على التدمير وعلى رد العدوان وعلى صدّ إسرائيل مدحورة خاسئة، ولكن إسرائيل أرادت أن تبني هذا السد الكبير بين مصر ونجدة الضفة الغربية حينما تنفرد بها وتضع يدها عليها، ولكن ليعلم الأردن أن معركة النقب هي من أجل الضفة الغربية، ليعلم الأردن أننا نريده أردنياً قوياً عزيزاً متيناً.

نحن الآن لا نحقد عليه لا نحقد على بلدنا ولا على وطننا وعلى شعبنا، الضفة الغربية هي منطلق التحرير ولا نريد أن تقع في قبضة إسرائيل، وعلى الأردن أن يعلم أن تحويل مشروع الروافد إنما يهدف إلى خير الأردن وإنما يهدف إلى الدفاع عن الأردن وإنما يهدف قبل الدفاع عن سوريا وقبل الدفاع عن لبنان وقبل الدفاع عن

مصر إنما يراد به أن يتمكن الأردن من الدفاع عن نفسه، وأن يحتفظ بهذه الأرض الطيبة منطلقاً للتحرير، ولهذا فنحن ندعو الأردن لا أن يصد القوات السعودية لا أن يصد القوات العراقية ولكن أن يأخذ زمام المبادرة بيديه.

نحن ندعو الأردن أن يذهب إلى دمشق ويقول للجيش السوري المحتشد على ٧٥ كيلو متراً، الجيش السوري بقواته الكثيرة قواته البرية محشودة على ٧٥ كيلو متراً ونحن هنا نحيي الجيش الأردني الباسل بضباطه وجنوده وأفراده وكل وحداته وأسلحته، فعليه عبء كبير يمتد ٦٥٠ كيلو متراً، نحن نريد من عمان أن يأخذ زمام المبادرة إلى ديار الشام إلى دمشق يستحث جندها بأن ينقلوا سلاحهم وعتادهم وقواتهم ليفرشوا هنالك الأرض بالجيش السوري على مسافة ٦٥٠ كم، وهذه البلاد كانت عبر التاريخ هي بلاد الشام وأحرى بجيش الشام أن يحمي ديار الشام كلها، نطلب من الأردن أن يذهب إلى الرياض إلى القوات السعودية والملك فيصل بيده الآن جيش قوي وهذا الجيش يجب أن يكون في خدمة فلسطين في خدمة تحرير فلسطين، يذهب إلى العراق ويطلب من القوات العراقية أن تعسكر في الأرض العربية والجيش الأردني لا يرى حرجاً من أن يلقى زملاءه في السلاح العراقيين والسوريين والسعوديين على أرض المعركة وبهذا نستطيع أن نحمي الأرض العربية لا لنكون فيها موقف الدفاع ولكن لنطلق فيها انطلاقة التحرير ونكون حينئذ قد حققنا النصر الذي نبتغيه، هذا مانريده من عمان ومنظمة التحرير الفلسطينية تعد الآن أمام الشعب، وتستمع لنا الأمة العربية عن طريق إذاعة منظمة التحرير، أننا مستعدون أن نسند الأردن في دمشق وفي بغداد وفي الرياض وفي كل عاصمة عربية نستنفر القوة العربية ونحمي الأرض العربية والكرامة العربية.

وكانت لنا في مؤتمر القمة نحن منظمة التحرير الفلسطينية مطالب لدى الأردن وغير الأردن بالنسبة إلى التجنيد والتدريب والتسليح.. كيف يمكن لشعب فلسطين أن يحرر وطنه من دون أن يقع تحت التجنيد وأعباء التجنيد؟ كيف يستطيع شعب فلسطين من غير تنظيم شعبي أن يكون مهيأ للمعركة؟ كيف يمكن لشعب فلسطين أن يؤدي ضريبة الدم من غير تدريب شعبنا كله؟... يريد التجنيد والتدريب والتسليح في كل تجمعاته، شعبنا في الأردن وفي سوريا وفي لبنان وفي الكويت وفي كل البلاد العربية مطلبه الأسمى التجنيد والتدريب والتنظيم الشعبي.. الأردن وقف موقفاً سلبياً أمام مطالب منظمة التحرير الفلسطينية وكان حواراً عنيفاً بيننا وبين الأردن في مؤتمر القمة العربي، ولم نستطع أن نصل من وراء هذا الحوار إلى نتيجة إيجابية، وقلنا لعلنا حين نعود إلى الوطن نعود إلى الناس نلقى الطريق مفتوحاً أمامنا

من أجل التدريب والتنظيم الشعبي وإذا بنا نسمع في مؤتمر صحفي كلاماً غريباً عجيباً ما ظننت في حياتي أن تستمع أذناي لمثل هذا الكلام، في مؤتمر صحفي يقول رئيس وزراء الأردن إن مؤتمر القمة العربي الأول قد أعفى الأردن من أي نشاط لمنظمة التحرير الفلسطينية، فذهلت لهذا القول كيف يمكن أن يعفى الأردن من نشاط منظمة التحرير الفلسطينية، منظمة التحرير الفلسطينية لمن؟ . . . منظمة التحرير الفلسطينية لشعب فلسطين . . . لتدريب شعب فلسطين . . لتنظيم شعب فلسطين ولتجنيد شعب فلسطين.

إنني أسأل: هل منظمة التحرير الفلسطينية مكتب إسرائيلي . . حرام عليه العمل والنشاط في أرضنا ومع شعبنا في وطننا الأردن . . .؟ منظمة التحرير الفلسطينية يكون لها نشاط في غزة وفي سوريا وفي الكويت وفي العراق ولا يكون لها نشاط في وطننا وفي بلدنا ومع شعبنا؟ لقد ذهلت من هذا القول وتساءلت لم لا يكون لنا نشاط؟ أليس شعبنا الفلسطيني في الأردن . . . هل شطب الشعب شعب فلسطين في الأردن؟ منذ بضعة أيام وأنا أستمع إلى إذاعة الأمم المتحدة وكان مندوب العصابة الاسرائيلية في الأمم المتحدة يقول بكل وقاحة لقد شطب اسم فلسطين من جغرافية العالم في سنة ١٩٤٨ لقد شطب اسم فلسطين وشعب فلسطين، مندوب إسرائيل أيها الاخوان يقول في الأمم المتحدة لقد شطب اسم فلسطين من جغرافية العالم، ثم ينتقل بعد ذلك إلى القول إن الفلسطينيين قد أصبحوا مواطنين في الأوطان العربية . . . أصبحوا في الأردن أردنيين وبهذا الفلسطيني في الأردن هل انمحى؟ انتهت شخصيته ولم تعد موجودة والشعب لم يعد موجوداً؟ وإني أنصح عمان ألا تتفيأ خلال هذا المنطق العجيب منطق إسرائيل . . يجب على عمان أن ترفض هذا المنطق وأنا أعلم أن عمان واجبها الوطني يدعوها أن ترفض هذا المنطق لا بالكلام ولكن، بالأعمال، وبأن تفتح الطريق أمام منظمة التحرير الفلسطينية.

لقد سرني يوم قال رئيس وزراء الأردن إن الأردن هو وطن المنظمة. لقد سرني هذا ولكن ساءني أن أرى في ما بعد أن الأردن لم يعد وطن المنظمة ولكنه قد أصبح سجن المنظمة. وأنا أدعو عمان إلى أن تخرج المنظمة من سجنها، وإذا كنا في وطننا فيجب أن نكون أحراراً في تنظيم شعبنا وفي تجنيد شعبنا، وفي تنظيم شعبنا نحن لا نريد سيادة على أرضنا نحن لا نريد حكماً نحن لا نريد أن نتنافس مع الأردن ولا أن نزعج الأردن ولا أن نقلق، ليس لنا كلام على الكيان الأردني ولا على النظام الأردني ولا على الأوضاع الأردنية: أوضاع الأردن للأردن لا شأن لنا في أموره الداخلية ولا

في سياساته، كل مانطلبه أن منظمة التحرير تسير في عمان كتفاً إلى كتف وجنباً إلى جنب ولكن سيراً ثورياً بالسلاح وبالخنادق هذا هو طريق التحرير ولا طريق للتحرير سواه

نحن والأردن نريد أن نثور فعلاً. . . ولكن ثورة على طريق التحرير، ثورة لتحرير وطننا السليب، ثورة لتحرير وطننا المغتصب. . . منظمة التحرير الفلسطينية تحمل للثورة معنى واحداً. . ولا معنى سواه. . الثورة على الظلم الكائن على أرضنا. . الجاثم على وطننا. . . الذي أنزل العار بديارنا. . . ونحن حين نركز على الأردن كما قلت لكم. . . لا نفعل هذا عن حقد ولا عن ضغينة، ولكن نفعل هذا لأننا نعرف دور الأردن الكبير في التحرير، نعرف دوره، نحن نعرف دوره بشعبه نحن نعرف دوره بجيشه، نحن نعرف دوره بكل شبر من أرضه، نعرف دوره بالضفة الغربية بتلالها وهضابها وجبالها المشرفة على اسرائيل. . المطلة عليها اطلالة التدمير والتخريب، نحن نعرف دور الأردن في معركة التحرير. . . إسرائيل تعرف دور الأردن في معركة التحرير. . ومن أجل هذا هي واضعة خطتها على أساس دور الأردن في معركة التحرير. . . الولايات المتحدة تعرف دور الأردن في معركة التحرير، ومن أجل هذا تضع الأردن في افتقار دائم واضطرار دائم، العرب يعرفون دور الأردن ويجب أن يعرفوا دور الأردن.

إنّ على العرب أن يدفعوا كل ما يستطيعون من غال ورخيص من أجل تركيز الدفاع في الأردن وتمكين الأردن، كل بندقية ترسل للأردن هي من أجل القيام بواجب التحرير هي بندقية للتحرير. . .وكل سنبلة تزرع في الأردن هي سنبلة مردودها للتحرير، نحن نعرف دور الأردن في التحرير ولكن نريد عمان أن تعرف دور الأردن في التحرير. . . ولأن منظمة التحرير تعرف دور الأردن ترى نفسها ملزمة بواجب التحرير أن تقدم كل ما عندها عوناً للأردن. . .وأقول هنا باسم منظمة التحرير: إن منظمة التحرير حاضرة لتضع كل امكانياتها. . كل مالها. . كل سلاحها وعتادها وذخائرها للأردن ولقد عرضنا نحن ونكرر العرض الآن. . إن منظمة التحرير مستعدة أن تسلح القرى الأمامية كلها بسلاحنا الخفيف والمتوسط وأن نحمل على أكتافنا ذخائرها وعتادها ونضعها بين يدي الملك حسين ليقدمها بكلتا يديه إلى قرانا إلى رجالنا إلى نسائنا إلى شبابنا وأطفالنا المتحفزين للسلاح المرابطين على الحدود ينتظرون الانطلاق للتحرير. . منظمة التحرير حاضرة لأن تكون في عمان مع عمان وفي طريق التحرير. . ومن أجل هدف التحرير، هذا هو طريقنا. . وهذا هو هدفنا فمن أراد أن يسير معنا فنحن معه،

ومن لا يريد أن يسير معنا فالشعب يعرف طريقه ويعرف كيف يشق طريقه..

لقد هتفتم الآن للرئيس جمال عبد الناصر... وحقاً ما هتفتم لأننا في مؤتمر القاهرة الأول.. وفي مؤتمر الإسكندرية الثاني وفي مؤتمر الدار البيضاء قالها الرئيس عبد الناصر إن مصر كلها وسيناء كلها تحت تصرف منظمة التحرير الفلسطينية، نحن كذلك أيها الإخوان واجدون كل تأييد لمنظمة التحرير الفلسطينية..

في ما يتعلق بجيش منظمة التحرير واجدون كل تأييد من مكة وبغداد والكويت ونحن شاكرون لهم جميعاً وشاكرون لكل ملك ورئيس يقف إلى جانب منظمة التحرير في طريق التحرير وعلى هدف التحرير...

وكما تعلمون بعد مؤتمر القاهرة في الدار البيضاء، أصدرت منظمة التحرير الفلسطينية بياناً كشفت فيه عن جوانب كثيرة مما تم الاتفاق عليه وهناك أمور لن نستطيع أن ننكر أنها كانت إنجازات رائعة كشفنا عن الجوانب كلها.. أمام الشعب الفلسطيني لأن هذه الأمانة ليست لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية ولا لرفاقه أعضاء اللجنة التنفيذية.. هذه أمانة الشعب.. يجب أن يعلم الشعب مصير هذه الأمانة.

لقد ذهب الزمان وولى بعيداً حين كانت قضية فلسطين بعيدة عن الشعب... وأما اليوم فيجب أن تكون بين يدي الشعب تحت أسماع الشعب وبصر الشعب.. هذا حساب من المنظمة إلى الشعب. ومن أجل هذا كله للبيان جوانب كشف عنها وهذه الجوانب كان لابد أن يعلمها شعب فلسطين وأن تعلمها الأمة العربية.. بيان أذيع بالإذاعة بكل صدق.. وبكل أمانة لا يحمل مهاترة ولا سفها ولا بذاءة.. لأن هذا ليس طريقنا ليس طريق الشعب الفلسطيني، فالقضية المقدسة أسمى من أن تنزل في وحول الرذالات والمهانات والمهاترات، قضيتنا فوق هذا كله عرض البيان بكل أمانة فماذا كان الجواب في العشية الأولى في عمان لهذا البيان الذي طرحته منظمة التحرير الفلسطينية على الشعب؟ لقد استنفر مدراء مكاتب البرق والبريد ليلاً من منازلهم حتى يتقبلوا برقيات استنكار لمنظمة التحرير الفلسطينية على البيان الذي أصدرته وطرحت فيه الأمانة للشعب الفلسطيني، وذهلت وحزنت من أعماق نفسي وتمنيت بدلاً من أن تفتح مكاتب البريد أن تفتح مكاتب التدريب والتجنيد وذلك أولى بعمان من فتح مكاتب البريد أن تفتح على مصراعيها مكاتب التجنيد لتتلقى الشباب والرجال... ولكن استنكار ماذا؟ يستنكرون ماذا؟ هل دعت منظمة التحرير إلى الحرام؟ هل دعت إلى المفاوضات مع إسرائيل.. والتعايش

السلمي مع إسرائيل؟ كما دعا واحد من الدعاة ولا أريد أن أذكر اسمه لأنه قد مضى مع التاريخ.. هل دعت منظمة التحرير إلى الموبقات حتى يستنكر موقف منظمة التحرير الفلسطينية.. تستنفر البرقيات بالليل والنهار ضد منظمة التحرير الفلسطينية تستنكرون ماذا؟ تستنكرون التجنيد؟ تستنكرون التدريب تستنكرون؟ التنظيم الشعبي الذي هو حياة التحرير؟ تستنكرون إنساناً قال ربي الله.. والتحرير هو هدفنا شعارنا وطريقنا... ماذا تستنكرون؟ هذه وسائل بالية لا تتفق مع سمو التحرير.

أنا لا ألوم الذين أبرقوا.... ولا ألوم الذين استنكروا ولا ألوم الذين كتبوا والذين خطبوا، نحن نعرف ظروف أولئك الذين استنكروا وأولئك الذين خطبوا... نحن نغتفر لهم ما فعلوا لأننا نعرف الظروف التي وقعوا تحتها.. نحن نعرف أن كثيراً منهم، وهم يستمعون الآن عن طريق إذاعة منظمة التحرير يعيشون منذ وقعوا برقيات الاستنكار في قلق عظيم، ونفوسهم وأرواحهم هي في حسرة وفي ندامة. أبدى هذا الشعب الفلسطيني بسالة وعناداً في موقفه.. لم يقبل بالضغط ولا بالإغراء ولا بالإرهاب... هذا الشعب صامد رغم الكارثة التي حلت به وأخرجته من دياره لكنها لم تخرج عقله، وما أخرجت كرامته من نفسه.. بقي بكرامته وعقله وضميره، كثيرون وكثيرون قد رفضوا وأبوا بكل عناد وبسالة أن يبرقوا وأن يستنكروا إذ كيف يمكن أن يستنكر المرء ذاته وكيف يستنكر المرء تحرير وطنه... وكيف يستنكر التجنيد والتدريب والتنظيم الشعبي... نحن نغتفر الذين استنكروا لأننا نعلم الظروف التي وقعوا تحتها، وأنا لا أعلم إذا كان جلالة الملك حسين على علم بتلك الظروف التي اتبعت لاستنفار تلك البرقيات، وأنا أتمنى الآن أن الملك حسين لا يلقي بالاً لهذه البرقيات وإنما ينزل إلى الشعب في جنين في طولكرم في نابلس في القدس في قلقيلية في القرى الأمامية ويسأل شعبنا هل أنتم مع المستنكرين أو أنكم مع المؤيدين؟ لعل جلالة الملك حسين يومئذ يعلم أن الشعب الفلسطيني هو مع منظمة التحرير الفلسطينية بقلبه وبعزيمته. هذه البرقيات ما هي إلا أعراض زائلة ولا يبقى إلا الشعب وإرادة الشعب وكلمة الشعب هي العليا.

ونحن ماذا نريد الآن؟... ماذا يريد الشعب الفلسطيني في هذه المرحلة من كفاحه؟.. نحن نعلنها صريحة بأننا لا نريد أن نتدخل في شؤون الدول العربية... الدول العربية وأنظمتها الاجتماعية والسياسية هي ملكها ولا شأن لنا بها.. نحن نرجو من الله أن لا تكون هنالك خلافات بين الدول العربية، ولكن

إذا وقع خلاف فقد نذرنا أنفسنا أن لا نكون في جانب الخلافات مع أي دولة عربية. . . ضد أي دولة عربية أخرى. . . نحن مع كل دولة عربية مع كل ملك ومع كل رئيس. . يسير إلى جانب قضية فلسطين. . ومن كان ملكاً أو رئيساً لا يسير مع منظمة التحرير. . فمنظمة التحرير ليست معه، ولا نبالي لأننا نعلم أن الأمة العربية كلها إلى جانب منظمة التحرير الفلسطينية فهذا هو سندنا. . . وهذا هو كنزنا. قضية فلسطين هي قضية الأمة العربية ما دامت الأمة العربية معنا وإلى جانبنا تشد أزرنا فلا نبالي من الملوك والرؤساء من كان علينا. . ذلك لأن الأمة معنا. . ومن كانت الأمة معه فإن الله معه. . ومن كان الله معه فإن النصر إلى جانبه والنصر هو للمؤمنين.

أبناء فلسطين مصممون وعازمون على خوض معركة التحرير، نحن نأبى أن تدخل الجيوش العربية وطننا محررة ونحن متخلفون قواعد. . نحن نأبى أن نسمح لأي ملك أو رئيس ولأي جيش عربي أن يدخل إلى يافا وإلى عكا وإلى حيفا قبل أهل يافا وقبل أهل حيفا وقبل أهل عكا، نحن طلائع الأمة العربية. . . وأبناؤنا يريدون أن يحملوا السلاح ليكونوا طلائع التحرير للأمة العربية، لا نسمح لجيش عربي أن يدخل أرضنا. . حتى ندخلها نحن. . . ونكون طليعة لها، وإن كنت كما قلت في هذا اليوم مداعباً لأخي المحافظ ورفاقه على مأدبة الطعام. . نحن الآن ضيوفك هنا لكننا سنكون ضيوفك إن شاء الله في فلسطين. . . وأبناء فلسطين قادرون على الكفاح. أبناء فلسطين تمرسوا في الكفاح. . . هم شعب كفاح. . شعب تخشّن وتمرن على دروب القتال والنزال يوم كان قليلاً في العدد يوم كانت مدنه عزلاء. . يوم كانت قراه مكشوفة. . والصهاينة والاستعمار على مدى ثلاثين عاماً وهم يرهقون هذا الشعب بكل عنت وإرهاق والشعب بصلابته وبيأسه ظل محتفظاً بوطنه. . إلى أن أصبح عدم التكافؤ قائماً. . . وفي قدرة أهل فلسطين أن يصمدوا لهذا الطغيان. . وأن يصمدوا لهذا البغض ولكنهم نذروا بعد أن خرجوا من ديارهم نذروا أنفسهم للسلاح. . هم قادرون على هذا.

أنتم تعلمون أيها الإخوان أن أبناءنا هنا أبناء فلسطين في بور سعيد كانوا رفاقاً تحت السلاح في الدفاع عن بور سعيد أيام العدوان الثلاثي. . لأنهم رأوا أن واجبهم المقدس أن يقفوا إلى جانب اخوانهم في بور سعيد إخوة السلاح. . وهذا عهدنا لأن عهد بور سعيد أن تقف إلى جانب أهل فلسطين بالسلاح من أجل تحرير فلسطين. أبناؤنا قادرون على هذا في كل مكان أذهب إليه يطلب شبابنا معسكرات للتدريب لا أرى نساءنا وبناتنا يردن لا التمريض والإسعاف الميداني ولكن يردن السلاح، هؤلاء

هم أبناء فلسطين وأنتم تعرفون أثناء العدوان الثلاثي وتعرفون مقامهم في ساحات القتال. . تعرفون أنه أثناء العدوان الثلاثي، وهذه الشهادة للرئيس عبد الناصر نفسه وشهادة من الفريق يوسف العجرودي. . في هذه المدينة البطلة الباسلة. . ونحن نحيي العجرودي، الآن وقفت الوحدات الفلسطينية في سيناء وفي غزة وقفة الرجال الأبطال على قليل سلاحها وعلى قليل عتادها. . . وعلى قليل عددها، وقفت تصد القوات الإسرائيلية. وأضاف إلى ذلك الفريق العجرودي حينما رأيته في العام الماضي. . قال لي أنا هاوٍ للرماية وأنا من الرماة المعروفين وأدرك مداها وأبعادها، قال خذها مني شهادة، بعد التجربة المباركة أن شباب فلسطين قد قاموا في الرماية. . ضربوا الرقم القياسي في الرماية، قلت أنعم وأكرم بهذه الشهادة لأن أبناءنا هؤلاء يدربون أنفسهم لا لرماية الأهداف الوهمية ولكن رماية هدفها تدمير تل أبيب. . ذلك هو الهدف الذي سيرمي إليه شبابنا ورجالنا. . وأينما ذهبت فبي الوطن العربي أسمع الكثير من وقائع هذه البطولة.

لقد كنت في بغداد منذ عام مضى وحدثني رجل من الجيش العراقي. . وهو يتحدث عن حروب الشمال التي كانت منذ أربع سنوات. . وروى لي قصة رائعة في البطولة عن شاب فلسطيني. . . هو من قطاع غزة. . في عمر الورود في العشرين من عمره. . وقع تحت الحصار في قمة من القمم في الشمال أربعين يوماً ومن حوله الجند يرمون بالنار وقد نفذت الذخيرة والزاد وبقي في هذا الحصار بكل شجاعة إلى أن نزلت عليه هليوكوبتر بالذخيرة والعتاد والماء، وبهذا استطاع هذا الشاب من أبناء قطاع غزة في العشرين من عمره أن يخرج من وراء طوق الحصار حراً ويعود منتصراً إلى بغداد وعلى رأسه إكليل من أكاليل البطولة والرجولة، هؤلاء هم شبابنا. . ولو شئت لحدثتكم كثيراً. . لكن لا أريد أن أتهم. . . لا أريد أن أتهم بالعصبية والعنصرية ولا عنصرية لأن أبناء فلسطين وشعب فلسطين هم جزء من طينة الأمة العربية وبسالتنا هي بسالتكم وبسالة بور سعيد بسالة الأمة العربية كلها. . ما هو بالعنصرية ولا بالعصبية ولا هو بالغرور. . لكن هذه شجاعة الأمة العربية. . ليس لي أن أزيدكم من الوقائع والشواهد. . سوى أن أشير إلى ما جرى أخيراً. . درع الرئيس عبد الناصر في الكلية الحربية قدم لشاب فلسطيني من الفالوجا وكان من الخير أن يقدم لرجل من الفالوجا. . الفالوجا التي وقعت تحت الحصار. .الفالوجا التي تقع الآن تحت أقدام الاحتلال الصهيوني. . وذلك نذير بأن إبن الفالوجا مع إخوانه أبناء فلسطين سيخرجون إسرائيل من ديارنا ومن وطننا فنعود إليها أعزة كراماً إن شاء الله.

أيها الإخوان

إن قضية فلسطين تسجل كل يوم مكاسب جديدة وانتصارات جديدة. وعلى الصعيد الدولي فإنكم تعلمون مؤتمر عدم الانحياز الذي انعقد في القاهرة في العام الماضي قد أصدر قراره المشهور الذي نعتبره أكبر نصر سياسي لفلسطين على الصعيد الدولي. . لقد أدان إسرائيل بالعنصرية أدانها بالاستعمار وأيد شعب فلسطين وكفاح شعب فلسطين من أجل التحرير. . كان هذا النصر على الصعيد الدولي والنصر يتلاحق بعد النصر. . . وفي صبيحة أمس كنت أستمع إلى الإذاعة أستمع إلى مندوب الاتحاد السوفيتي في الأمم المتحدة. . في لجنة حقوق الإنسان وهو يتقدم بمشروع يطلب فيه أن تدان الصهيونية. . والفاشستية والنازية. . لقد فعل حقاً فالصهيونيّة شر وهي كالفاشستية خطر. . . ولقد أحسن مندوب الاتحاد السوفيتي بأن وضع الصهيونية على المستوى نفسه الذي يضع فيه الفاشستية، هؤلاء هم أعداء الإنسانية الثلاثة الصهيونية والنازية والفاشستية. . وأنا من هنا باسم شعب فلسطين. . أحيي الاتحاد السوفيتي لمشروع القرار هذا. . الذي تقدم به بطلب شجب الصهيونية كشقيقة للنازية كشقيقة للفاشستية.

قضية فلسطين تسجل انتصارات على الصعيد الدولي. . ولكن لا نطمع من وراء تلك الانتصارات الدولية في تحرير فلسطين. . إن تحرير فلسطين لن يكون في لجنة حقوق الإنسان. . ولن يكون في الأمم المتحدة. . ولا على الصعيد الدولي. . إن تحرير فلسطين سيكون من أرض فلسطين بشعب فلسطين وبالأمة العربية. . ونحن طلائعها. . . والنصر أمامنا إن شاء الله.

(٢٠)

خطاب الشقيري في وفود ٧٤ دولة إسلامية في مؤتمر أبي بكر الصديق في الإسكندرية، ٢٥ آب/أغسطس ١٩٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيد المرسلين

أخواتي المسلمات المؤمنات . .

و إخواني المسلمين المؤمنين . .

الإسلام يهدم حواجز اللون والدم والجنس

هذا يوم رائع حقاً، إنه يوم مجيد حقاً، وأستطيع أن أقول بملء جوارحي ومن أعماق ضميري إنه مشهد جليل وبهيج حقاً . . . المشهد الذي أراه أمامي هذه العشية مليء بالوحي ومليء بالإلهام. هنا على مقربة مني أرى أمامي أخواتنا المسلمات المؤمنات من الأوطان الإسلامية جميعاً، وفي الجانب الآخر أرى كذلك إخواني المسلمين المؤمنين من أوطان الإسلام جميعاً. وهذا معنى كبير من معاني الإسلام لأننا نلتقي كلنا تحت راية الإسلام، نلتقي كلنا تحت كلمة الإسلام. وفي هذا المشهد الذي أراه من الصور الرائعة ما يجعلنا نفتخر بإسلامنا ونعتز بديننا . . فهنا يلتقي شباب العالم الإسلامي بمختلف لغاته وبمختلف لهجاته، من متعدد أوطانه وديارة، ومن شتيت ألوانه، هنا الأسود والأبيض . . هنا الأصفر والأحمر . . وهذا هو معنى الوحدة الإسلامية التي لا تفرق بين لون ولون، ولا دم ودم، ولا جنس وجنس.

إن العالم اليوم يئن من التمييز العنصري: يئن من التمييز العنصري في قلب أفريقيا، ويئن من التمييز العنصري في قلب أمريكا التي تدعي لنفسها ذروة الحضارة وقمة العرفان، وما زال العالم يئن من ويلات التمييز الديني والعنصري والعرقي.

ولقد حفلت الأمم المتحدة بشكاوى الشعوب المعذبة، الشعوب المضطهدة ولم يستطيعوا أن يجدوا حلاً لهذه الشكاوى، يخطبون ويخطبون على منبر الأمم المتحدة ويصدرون القرارات من الجمعية العامة ومجلس الأمن، وكل هذه القرارات تدعو إلى المساواة والأخوة ولكن من غير جدوى. ليأت رجال الأمم المتحدة هنا إلى مؤتمر أبي بكر الصديق، ليروا الأصفر والأحمر والأسود والأبيض من إخواننا وأخواتنا المسلمين والمسلمات يجلسون على سرر متقابلين، لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالعافية والتقوى.

فالواقع أنه ما نَفَعَ العالم المتمدن المتحضر ميثاقه ولا قوانينه ولا دساتيره.. كثرت الدساتير وكثرت المواثيق ولكن ما نفعت الدساتير ولا المواثيق وما زال العالم يئن من التمييز العنصري.. ومعنا هنا كثير من إخواننا وأخواتنا من أفريقيا ومن غيرها، وهم يعرفون الكثير عن ظلم الإنسان للإنسان لأن بشرته سوداء، ولأن شعره مجعد، ولأن فيه سمات وملامح تختلف عن سماته وملامحه، فما نفعت المواثيق وما نفعت الدساتير، ولكن إسلامنا، ولكن ديننا هو الذي يهدم هذه الحواجز ويهتك هذه الحدود.. لا فرق بين مسلم ومسلم، كائناً ما كان لونه. إنما المؤمنون إخوة، وكلكم من تراب، كلكم لآدم وآدم من تراب و﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[1].

شعارنا ممارسة الأخوة... لا مجرد الدعوة إليها بالكلام

ذلك هو شعار الإسلام وقرآن الإسلام ووحي الإسلام، لا ندعو إلى الأخوة المحمدية، ولا ندعو إلى المساواة الإسلامية بالكلام الموشى والعبارات المزخرفة، ولكننا نمارس هذه الأخوة، ونعيش هذه الأخوة، لأنها تعيش في قلوبنا... في لندن حيث الحضارة في ذروتها، يمارس التمييز العنصري.. وفي الولايات المتحدة حيث ذروة المعرفة.. وصل الأمريكان إلى الأفلاك وإلى النجوم، لكنهم لا يزالون في الحضيض وفي القاع في التمييز بين الإنسان والإنسان، أما نحن فإننا نعيش الأخوة في قلوبنا وفي ضمائرنا، نمارسها في تلك البلاد.. لا يستطيع زنجي أن يدخل بعض النوادي ولا أن يجلس إلى جانب الأبيض ولا أن يدخل إلى مطعم ويتناول الطعام مع أبيض.. ألا فلتأت المدنية الأمريكية والأوربية لتتعلم من ديننا الإخوة الإنسانية متمثلة في هذه الصور الرائعة التي أراها أمامي في هذه الموائد الممدودة أمامنا نجلس كلنا على سرر متقابلين، لا يفصل بيننا لون، ولا يفصل بيننا وطن، وإنما نلتقي تحت شعار الإسلام وأخوة الإسلام.

---

(١) **القرآن الكريم**، «سورة الحجرات،» الآية ١٣.

لقد كان للإسلام خصوم كثيرون في القرون الأخيرة التي مرت وخاصة أمام الغزو الاستعماري في آسيا وأفريقيا.. ولقد أرادوا أن يضعفوا الإسلام وأن يوهنوا المسلمين وأن يبعدوا بين المسلمين والدين وأن يبعدوا بين الإسلام وقرآن المسلمين، ولكن بالرغم من كل هذه المعارك الضخمة، ومن كل الخصومات المريرة ها نحن نرى الإسلام بخير ونلتقي تحت راية الإسلام. وستظل هذه الراية مرفوعة ويظل المسلمون مرابطين إلى يوم القيامة يحملون راية الجهاد في كل أوطان الإسلام حتى يحرروا ديار الإسلام للمسلمين ويرفعوا كلمة الله، كلمة الله هي العليا، وسنظل في هذا الدرب، درب الكفاح، نرفع راية الإسلام حتى ترفرف أعلامها في جميع أقطار الأرض.

قضية فلسطين... لا نظير لها ولا شبيه

قضية فلسطين أخواتي وإخواني.. قضية فريدة... قضية منقطعة النظير، لا أحسب أن لها شبيهاً أو نظيراً لا في نشوئها ولا في تطورها، وما أحسب أنه سيكون لها نظير في ماضيها أو شبيه في حاضرها ومستقبلها، ولذلك فإن الحديث عن هذه القضية سهل يسير، وإنما هو إلى جانب ذلك صعب مرير.. إنه سهل يسير حين يكون تحت تصرفنا أيام بل شهور لندرس هذه القضية من كل جوانبها ونستعرض كل مراحلها، وقضية فلسطين متعددة الجوانب، كثيرة الأبعاد، مترامية الأطراف، وإنه ليصح أن تكون مادة مستقلة.. مادة علمية تدرس كما يدرس أي موضوع علمي مستقل، كما يدرس تاريخ القرون الوسطى مثلاً، أو تاريخ الحضارة المصرية القديمة.. هذه القضية كتبت فيها عشرات المؤلفات والكتب، عشرات المؤلفات في مجلدات وفي لغات متعددة، لغات حية بل أحسب أن بعضها لغات ميتة... وفي قضية فلسطين وضعت كثير من الدراسات في كلّ أقطار الأرض حتى لقد أصبحت مكتبة كاملة بذاتها، مكتبة فلسطينية، مكتبة عربية ومكتبة دولية إذا شئتم، عقدت لقضية فلسطين مئات الندوات ومئات المؤتمرات الدولية، فنوقشت وبحثت ودرست، وقتلت نقاشاً وبحثاً ودرساً، عشرات الاجتماعات عقدت في البرلمان البريطاني وفي الكونجرس الأمريكي وفي المجالس الأوربية، وخلال سنين طويلة منذ الحرب العالمية الأولى، وعبر الحرب العالمية الثانية إلى يومنا هذا وقضية فلسطين تقتحم طريقها إلى برلمانات العالم أجمع في المشرق وفي المغرب على السواء.. أيام الانتداب البريطاني.

وأحسب أن بيننا هنا نفراً من إخواننا أبناء فلسطين يعلمون أنه في عهد الانتداب البريطاني الذي دام ثلاثين عاماً، مالا يقل عن عشرين لجنة برلمانية، دخلت إلى فلسطين وقامت بتحقيق وتدقيق، وقامت بدراسة وتحليل، كلما وقعت ثورة...

وكلما نزل حادث أوفدت الحكومة البريطانية إلى الديار المقدسة، إلى فلسطين، لجنة تحقيق أو أوفدت خبيراً عن الأراضي أو خبيراً عن شؤون الهجرة. . . وبهذا أضيف إلى مكتبة فلسطين فيض كبير من المؤلفات والكتب والمجلدات. قضية فلسطين كذلك عام ١٩١٩ بعد الحرب العالمية الأولى، اقتحمت طريقها إلى مؤتمر الصلح. وهنالك في الأروقة السرية، وهنالك في الغرف المقفلة، وهنالك وراء الكواليس، كم دبرت من مؤامرات ودسائس على شعب فلسطين وعلى قضية فلسطين.

في عهد العصبة البائدة. . . والهيئة القائمة

في عهد عصبة الأمم البائدة أمام لجنة الانتدابات الدائمة احتلت قضية فلسطين حيزاً كبيراً من مناقشات عصبة الأمم إلى جانب القضايا الدولية الأخرى، وبهذا شاركت عصبة الأمم كذلك في تدبير كثير من المؤامرات والدسائس على شعب فلسطين المسالم الوادع في أرضه وفي وطنه، وانتقل الأمر بعد ذلك إلى الأمم المتحدة. وبعد الحرب العالمية الثانية اشتغلت الأمم المتحدة بجمعيتها العامة ومجلس الأمن ومنظماتها المختلفة في قضية فلسطين منذ كانت قضية فلسطين إلى يومنا هذا، في عشرين دورة من دورات الأمم المتحدة، الدورات العادية والدورات الاستثنائية الخاصة. . في عشرين دورة متعاقبة وقضية فلسطين على جدول أعمال الأمم المتحدة دورة بعد دورة، وعاماً بعد عام، ويقولون إن الأرقام والإحصاءات باردة، وقد تكون بعض المرات سمجة فاترة، لكنها في قضية فلسطين حارة مثيرة، لأنها تظهر بأجلى وضوح عمق الظلم الواقع على إخوانكم شعب فلسطين، وهذه هي الأرقام أضعها أمامكم عن علاقة قضية فلسطين بالأمم المتحدة.

الأرقام ودلالاتها. . . في قضية فلسطين

عقدت الأمم المتحدة، الجمعية العامة أو مجلس الأمن أو مؤسساتها المختلفة، ولا تذهلوا للرقم الذي سأضعه أمامكم ومن كان معه ورق فليكتب، ٩٨٥ جلسة عقدتها الأمم المتحدة لمناقشة قضية فلسطين في خلال عشرين دورة، تصوروا أن العالم الدولي في منظمته، المنظمة الدولية، ينعقد ٩٨٥ مرة، الجمعية العامة أو مجلس الأمن وآخرها انعقاد مجلس الأمن لمناسبة العدوان الإسرائيلي الأخير على سوريا، تلك الجلسة التي انتهت بأن مجلس الأمن قد أخفق في اتخاذ أي تدبير إجرائي، أي تدبير إيجابي. . . أي تدبير فعال لمواجهة العدوان الصارخ. . عدوان إسرائيل على سوريا وعلى شواطئ بحيرة طبريا.

ثم بعد ذلك أيها الإخوان قد تتساءلون: وكم مشروع قرار قدم إلى الأمم المتحدة؟ وتعلمون أن قضايا الأمم المتحدة تقدم لها مشروعات قرارات لمناقشتها

وبحثها، هذه القضية وحدها قدم فيها أربعمائة مشروع قرار للجمعية العامة وإلى مجلس الأمن، أما القرارات الموضوعية التي اتخذتها الأمم المتحدة بشأن عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم، إلى ديارهم، فقد بلغت تلك القرارات سبعين قراراً أصدرتها الأمم المتحدة ولا يزال الظلم قائماً على شعب فلسطين، من غير أن تستطيع هذه المنظمة الدولية أن تعيد الحق إلى أصحابه وأن تعيد العدل إلى نصابه وأن تعيد الشعب إلى وطنه. . . وترون من هذه الأرقام الباردة الحارة، ترون من هذه الأرقام الفاترة المثيرة أن الأمم المتحدة لم تشغل بقضية أكثر من انشغالها بقضية فلسطين عبر السنين منذ كانت الأمم المتحدة إلى يومنا هذا.

إنكم تعلمون أن الأسلحة الذرية، تعلمون أن موضوع نزع السلاح يتوقف عليه مصير العالم، مصير الأمن والسلم في الدنيا بأسرها، ولكن من حيث الحيز خذوها عني، أخواتي وإخواني بخبرتي المتواضعة في الأمم المتحدة لسنين طويلة، أن قضية فلسطين قد شغلت الأمم المتحدة أكثر من نزع السلاح وأكثر من الأسلحة النووية، ولم؟! قد تعجبون وخاصة أخواتي وإخواني، من الذين لا يعرفون دقائق هذه القضية وحقائقها، لأن أوطانهم بعيدة عن فلسطين وعن شعب فلسطين. . .

قضية تجمعت فيها. . . كلّ الآثام والشرور

الجواب على ذلك أن هذه القضية فريدة بذاتها من حيث جوهرها ومن حيث موضوعها، الأمم المتحدة حفلت كثيراً بالقضايا الدولية، قدمت شكاوى كثيرة من شعوب متعددة من أفريقيا ومن آسيا، قضية أندونيسيا كانت أمام مجلس الأمن في سنة ١٩٤٧، القضايا العربية، تونس والجزائر وليبيا كانت أمام الأمم المتحدة، قضية أنغولا في الأمم المتحدة، قضية الكونجو في الأمم المتحدة، قضية التمييز العنصري في جنوب أفريقيا في الأمم المتحدة، وكانت هنالك قضايا أخرى من أمريكا اللاتينية وكذلك من أوروبا، ولكن كل قضية من هذه القضايا كانت ترتكز على موضوع واحد.

وهنا أريد انتباهكم وأن تعيروني سمعكم وعقولكم وضمائركم. . . قضية ما، كانت ترتكز على حقوق الإنسان، شعب من الشعوب يشكو لأنه خرقت مبادئ حقوق الإنسان في بلده، قضية أخرى كانت تستند على خرق تقرير المصير، ثم قضايا كانت تأتي إلى الأمم المتحدة من أجل إزالة القواعد العسكرية الأجنبية باعتبارها مهددة للسلم الدولي وللأمن العالمي، قضايا أخرى كانت تأتي وهي تطالب بمكافحة الاستعمار بكل ألوانه وأشكاله، اقتصادياً كان أو سياسياً أو ثقافياً. . ولكن قضية فلسطين. . وما هذه بأنانية مني كفلسطيني أو كعربي، ولكنها

حقيقة موضوعية أرجو أن تعوها جميعكم، وأن تنقلوها إلى أهليكم وإلى أوطانكم وإلى شعوبكم.

قضية فلسطين كانت فيها كل هذه الشرور: تقرير المصير، قضية فلسطين جرى فيها مخالفة لتقرير المصير، حقوق الإنسان، قضية فلسطين تمت فيها مخالفة كبرى لحقوق الإنسان، التمييز العنصري كذلك جرى هذا على أبشع صوره بالنسبة إلى أخواتكم وإخوانكم الذين يعرفون بالأقلية العربية في داخل منطقة فلسطين المحتلة، القواعد العسكرية، كذلك نحن نعتبر أن إسرائيل كلها هي قاعدة عسكرية للولايات المتحدة يجب أن تقتلع من جذورها، ففي قضية فلسطين تجمعت هذه الشرور.

أخواتنا وإخواننا الوافدون من أفريقيا يعرفون أن قضايا أفريقيا كل واحدة منها تستند على شكوى، لكن قضية فلسطين تجمعت فيها كل المساوئ، هي استعمار، وهي تمييز عنصري، وهي خرق لحقوق الإنسان، وهي مخالفة لتقرير المصير. ولكن هنالك بعد ذلك شيء أكبر، هنالك شيء أخطر، لم يقع مثله في أية قضية من قضايا الأمم المتحدة التي شهدتها منذ نشأت إلى يومنا هذا. في قضية فلسطين شر أكبر وشر أخطر، هنالك احتلال الوطن وهنالك إجلاء شعب. ما عرفت الأمم المتحدة بين كل قضاياها الوافدة من آسيا أو من أفريقيا أو من أمريكا اللاتينية، ما عرفت قضية تجمعت فيها كل هذه الشرور وأضيف إليها اقتلاع الشعب من وطنه واحتلال الوطن، ومن أجل هذا فقضيّة فلسطين، كما قال أحد الإخوان الخطباء الذين سبقوني، قضية فريدة في التاريخ الإنساني. ما عرف التاريخ في قديمه ولا في متوسطه ولا في حاضره قضية فيها هذه الشناعة، وفيها هذا الظلم الفريد، كما جرى في قضية فلسطين. وما أحسب أن التاريخ في مستقبله سيسجل قضية فيها شرور ما في قضية فلسطين، فيها هذه المظالم البشعة، فيها هذه المغارم بكل شناعتها كما تتجلى في قضية فلسطين.

قضية إسلامية . . . بلا خشية ولا حرج

من أجل ذلك أيها الإخوان والأخوات فإن الحديث عن قضية فلسطين صعب مرير، لتعدد جوانبها، وكثرة ما فيها من بلاء ومن ظلم، ويحبس الإنسان نفسه أن تنجرف عاطفته في الحديث عن قضية فلسطين، ويحرص أن يكون حديثه للعلم، لأنه في قضية فلسطين العلم وفلسطين يلتقيان، يحرص كل من يتكلم عن قضية فلسطين أن يكتشف جوانب العدل في قضية فلسطين، من غير إثارة عاطفية، لأن العدل وفلسطين يلتقيان ولا يبتعدان، في قضية فلسطين يلتقي العلم ويلتقي العدل. ولكني

أجد الحديث عن قضية فلسطين يسيراً أمامكم وإن كان صعباً مريراً. . . يسيراً أمامكم لأن هذه القضية هي قضيتكم جميعاً، يسيراً لأن هذه القضية هي قضية إسلامية، لأن هذه القضية هي قضية الشعوب الإسلامية قضية العالم الإسلامي، الحديث يسير أمامكم بشأن قضية فلسطين، لأنها قضية كل واحد منكم، لأنها قضية كل مسلم في جميع آفاق الأرض. وأنا هنا أعلنها صريحة دون أن نخشى أو نستحي، هذه قضية إسلامية من غير خشية ولا وجل ولا حياء لأن الإسلام دين الحق ودين الحرية، ودين العدالة، وقضية فلسطين هي قضية الحق وقضية العدالة وقضية الحرية. ولماذا تعتبر هذه القضية إسلامية، بالعاطفة وحدها، والعاطفة مجيدة؟ إنها قضية إسلامية بالعاطفة وبالواقع، إنها قضية إسلامية بالعلم وبالدين، إنها قضية إسلامية بمصير العالم الإسلامي. . . تعلمون أن فلسطين هي الديار المقدسة وقدسيتها تقف إلى جانب الديار الحجازية.

مقدسات الإسلام. . . في وطن الإسراء

مقدسات العالم الإسلامي وكنوزه الروحية وتاريخه الرائع المجيد مركّز ومكثّف في الديار الحجازية بما تحتوى من مكة والمدينة وما حولهما، وكذلك فإنها مكثفة ومركّزة في الديار المقدسة في فلسطين كلها، وأنتم تعلمون بما قرأتم من القرآن والحديث النبوي الشريف أن فلسطين هي وطن الإسراء والمعراج، إليه أسرى الرسول عليه الصلاة والسلام ومنها عرج إلى السماء، فهنالك وطن الإسراء والمعراج.

إنكم لتعلمون أن الشعوب تحمي مقدساتها وتصونها بمهجها وأرواحها، إن الأمم تختلف على عالم كبير أينتسب إلى هذا الشعب أو ذاك، إن الأمم تختلف على قبر أهو قبر لهذا الشعب أو لذاك، تصون قبورها وتصون متاحفها وتصون مسارح ذكرياتها، لكن موطن الإسراء والمعراج، هو أجلّ وأروع، وهو أسمى وأرفع لأنه يتصل بحياة الرسول صاحب هذه الرسالة، يتصل بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام. وسواء كان الإسراء والمعراج بالجسد أو بالروح وكائناً ما كان قول الفقهاء والعلماء في هذا، فإن الثابت الذي لا مراء فيه أن الإسراء والمعراج له وطن واحد في العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه، إنه فلسطين.

إنّ الأمم الحية تحرص على رجالها وعلى آثار رجالها وتصون مكتباتهم وتصون منازلهم وتصون أثاثهم. وتعرفون من المتاحف في أوروبا وفي غيرها كم تحرص الشعوب على هذا التراث الحضاري الذي تملكه لرجال لا يقاسون إلى جانب خاتم النبيين والمرسلين، فوطن الإسراء والمعراج هذا يجب أن يستقر في نفوسنا جميعاً نحن الشعوب الإسلامية تقديساً ما بعده تقديس، وإجلالاً ما بعده إجلال. وليس

هذا فحسب فإلى فلسطين كان الرسول عليه الصلاة والسلام يصلي في قبلته الأولى، فلسطين هي أولى القبلتين وفيها ثالث الحرمين، الحرم المكي والحرم المدني والمسجد الأقصى، هذه الثلاثة هي مساجدنا الكبرى، التي تتصل بديننا وبتاريخنا وبتراثنا وبحضارتنا. المسجد الأقصى هو ثالث الحرمين وفيه أولى القبلتين، ومحمد عليه الصلاة والسلام صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ثم توجه صوب مكة، فأولى القبلتين فيها صور رائعة من حياتنا ومن تراثنا. ولست أتحدث عن العمارة الرفيعة التي يفاخر بها العالم الإسلامي لمبنى المسجد الأقصى وما حوله، وعسى أن تتاح فرصة لكم لزيارة هذه التحفة الرائعة في هندسة العمارة الإسلامية، لا أشير إلى هذا لأن هذا عارض ولكن الخالد الخالد هي القدسية الكبرى لأولى القبلتين وثالث الحرمين.

ومعنى من معاني هذا التمجيد، برز يوم توفي الرسول، عليه الصلاة والسلام، رأى بعض أصحابه أن يدفن في المدينة المنورة، ورأى البعض الآخر من أصحابه أن يدفن في بيت المقدس، اختلف صحابة رسول الله: أين يدفن الرسول؟ أفي المدينة مهجره، حيث هاجر إليها، أم في بيت المقدس مسراه ومعراجه؟ ولكن ترجح أن يدفن في المدينة في الحجرة النبوية حيث يثوى الآن جسده الطاهر، كان بعض صحابة رسول الله يرى أن يدفن في بيت المقدس، وأحسب أنهم رجحوا المدينة المنورة للمواصلات الطويلة في نقل جثمانه الطاهر من المدينة المنورة إلى المسجد الأقصى. ولكن هذا يعطي الشعوب الإسلامية والعالم الإسلامي فكرة التقديس الكبير لفلسطين فيما ذهب إليه صحابة رسول الله من أن يكون جسده الطاهر في جنبات المسجد الأقصى في جوار أهل فلسطين وشعب فلسطين. والرسول عليه الصلاة والسلام حين تحدث عن ساحل فلسطين وعن سواحل ديار الشام قال: «من أقام في سواحل الشام أو في سواحل القدس فإنهم مرابطون إلى يوم القيامة»، وشعب فلسطين أيها الإخوان قد نذر نفسه أصالة عن ذاته ونيابة عن العالم الإسلامي أن يظل من المرابطين والمجاهدين إلى يوم القيامة. . .

عهد الخليفة العادل عمر . . . وجحود أوروبا المسيحية

ثم إن لنا في فلسطين ذكريات رائعة مجيدة. . ارتبطت فيها مسيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاتح بيت المقدس، الخليفة الذي دخل بيت المقدس ومولاه على الجمل وهو يأخذ بالزمام يقود الجمل ماشياً على قدميه في شوارع بيت المقدس، هذه المسيرة الرائعة الفريدة شهدتها بيت المقدس حين دخل سيدنا عمر بن الخطاب، وهنالك أعطى العهد، وما أقدسه من عهد ! وأنا أشير إلى العهد، ومعنا نفر من

إخواننا أبناء فلسطين، نصارى فلسطين العرب معنا هنا على هذه الموائد. . . سيدنا عمر أعطى إلى البطريرك سوفرانيوس عهداً إلى النصارى بالأمن والسلام والمحبة والحماية. . عهداً إلى نصارى فلسطين حفظه أهل فلسطين إلى يومنا هذا، وهؤلاء إخواننا من نصارى فلسطين معنا من أيام عمر، يعيشون معنا في الكفاح وفي النضال من عهد عمر الذي سبق ميثاق الأمم المتحدة، الميثاق الكاذب الفاجر، عهد عمر الذي سبق ميثاق حقوق الإنسان وقد أهدرت على مسمع وعلى بصر من الدنيا. . . أهدرت حقوق الإنسان.

عهد سيدنا عمر وما أقدسه وما أروعه كتب في بيت المقدس، وهو أعظم تراث حضاري بعد القرآن والسنة يحفظه المسلمون جيلاً بعد جيل ليمدوا يد الولاء ويد المودة إلى إخواننا نصارى العرب في فلسطين. ولكن حين دار التاريخ دورته وقعت فلسطين فريسة لإسرائيل بتأييد من الاستعمار الغربي. . . ونسيت أوروبا المسيحية عهد عمر وما ردت الجميل إلى المسلمين بل ما ردته إلى أبناء دينهم من نصارى العرب، فهاجر إخواننا نصارى العرب من فلسطين مشردين مشتتين، كما شرد إخوانهم المسلمون. وهانحن في الإسكندرية في الثغر الإسلامي الكبير، الثغر العربي الكبير، يحتوي أبناء فلسطين في الملجأ والمأوى، لا فرق بين مسلم ونصراني.

مأمن الله. . . مثوى علماء المسلمين وشهدائهم

وفي فلسطين أخواتي وإخواني، قبور الصحابة والشهداء والأولياء لا من أبناء فلسطين وحدهم أبداً، بل من الصحابة والتابعين من العالم الإسلامي كله، العلماء والصلحاء من الشعوب الإسلامية كلها وفدوا إلى فلسطين عبر الأجيال، واستقرت مضاجعهم في فلسطين، وطهرت فلسطين بأجداثهم ورقدوا فيها ليزيدوها أريجاً على أريج وعطراً على عطر، وقداسة على قداسة، وأحسب أن من شعوبكم أنتم جميعاً إخواناً وأخوات لكم من بلادكم ومن شعوبكم ممن وفدوا عبر التاريخ إلى فلسطين دفنوا فيها: هنالك أجدادكم أولياؤكم وعلماؤكم وصلحاؤكم ضمتهم جنبات الأرض المقدسة، فأنتم مع فلسطين في وشائج كريمة وفي روابط مقدسة تبتدئ من عهد الرسول عليه الصلاة والسلام إلى يومنا هذا. . . في غزة التي تعرف بمدينة هاشم، قبر جد الرسول عليه الصلاة والسلام. . . جده هاشم دفن فيها في سفرة من أسفاره إلى ديار الشام لقيته المنون في غزة ورقد فيها، ولايزال جثمانه الطاهر في غزة إلى يومنا هذا.

أبناء عمومة الرسول عليه الصلاة والسلام، العديد منهم، مراقدهم وأضرحتهم

في فلسطين وعلى ثرى فلسطين، الفضل بن عباس بن عبد المطلب إبن عم الرسول عليه الصلاة والسلام في مدينة الرملة قبره فيها، أمين هذه الأمة عبيدة بن الجراح الصحابي الكبير ضريحه في أرض فلسطين. ولو شئت أن أحصر لكم العشرات من صحابة رسول الله والتابعين بإحسان من الذين ضمهم ثرى فلسطين لمضى الوقت بنا طويلاً. وحين نسرد هذه الأسماء الضخمة التي ساهمت في بناء الإسلام وفي بناء الحياة الإسلامية، علينا أن نذكر أن هنالك مقبرة، أبناء فلسطين يعرفونها ولا أدري إذا كان معنا أحد من بيت المقدس، مقبرة اسمها مأمن الله، وبالعامية تعرف بماميلا . . مقبرة مأمن الله هذه أكبر متحف إنساني على وجه الأرض. نحن نعرف كثيراً من المقابر في العالم، فيها ضريح كبير أو ضريح عالم أو ضريح مؤرخ، أو ضريح مخترع، لكن مقبرة مأمن الله فيها قبور العلماء لأجيال، علماء العالم الإسلامي كله، فيها سبعون ألف شهيد مدفونون في مقبرة مأمن الله من الذين سقطوا في جنبات المسجد الأقصى أيام الحروب الصليبية.

أيام الحروب الصليبية، القتال في مدينة القدس كان في الشوارع كان في الأزقة الضيقة، كان في الدهاليز، كان في ساحة المسجد الأقصى، كان في ساحة الحرم، كان في داخل المصلى. وهناك سقط الشهداء، ومنهم علماء حملوا السلاح جهاداً في سبيل الله، لم يكن هنالك جند فقط، ولا كانت جحافل إسلامية فحسب، ولكن جلة الأعلام الأفذاذ حملوا السلاح في سبيل الله وقاتلوا. ويقول المؤرخون المسلمون إن شوارع المدينة أصبحت الدماء فيها قريباً من الركبة، وسبعون ألف شهيد من صلحائنا وشهدائنا وعلمائنا دفنوا في مقبرة مأمن الله في مدينة القدس. هذا على الصعيد الديني، وأنتم طلاب علم لعلكم تريدون أن تعرفوا على الصعيد العلمي وعلى الصعيد الحضاري: ما هو دور فلسطين في حضارة الإسلام وفي تراث الإسلام وفي علوم الإسلام؟

المسجد الأقصى وجنباته، المسجد الأقصى وأروقته كلها كانت مدارس ومكتبات، مدارس للمسلمين من كل حدب ومن كل صوب. الزاهدون في العالم الإسلامي يتجاورون في المسجد الأقصى، الرحالون في العالم الإسلامي لابد لهم من أن ينزلوا في الزوايا والتكايا، وما أكثرها، بالمئات والعشرات في فلسطين، لابد أن ينزلوا في الرباطات. والرباطات هي مراكز المجاهدين، مراكز المرابطين، كم من رباط في فلسطين كان مركزاً للجهاد وللنضال، وللكفاح عن دنيا الإسلام. . . ولا أطيل الكلام على الصعيد الحضاري العلمي، فيكفي أن تعلموا أن الإمام الغزالي حجة الإسلام قد جاور في المسجد الأقصى وعاش في القدس سنين، وهنالك أخرج خيرة كتبه. . . إحياء علوم الدين.

أخواتي وإخواني.

لعلكم قرأتم عنه أو قرأتموه . . . إنه أنفس ذخائر الإمام الغزالي حجة الإسلام، كتب في بيت المقدس، الإمام الشافعي ولد في مدينة غزة، أحد الأئمة الأربعة، بفقهه ودراسته وعلمه النير، هذا إبن غزة، هذا من أبناء فلسطين. فلسطين لم تكن على الصعيد الديني مقدسة فحسب لدى المسلمين، ولكنها ساهمت بقسط كبير في حضارة الإسلام، وفي تراث الإسلام، كانت مشعلاً من مشاعل المعرفة الإسلامية.

في فلسطين أخواتي وإخواني ما يزيد على ألف مسجد، مساجد تاريخية قديمة، من بناها؟. ما بناها أبناء فلسطين وحدهم، وقد بنوا كثيراً، ولكن بناها ملوك المسلمين، بناها أمراء المسلمين، الشعوب الإسلامية ساهمت في بناء هذه المساجد القديمة الدينية التاريخية الأثرية، ففلسطين ما بناها أهلها وحدهم، ولكن بنتها الشعوب الإسلامية كلها عبر التاريخ وفي مختلف أحقاب التاريخ . . . الأوقاف الإسلامية الخيرية من تكايا، من زوايا، من مستشفيات، من مدارس، من أراض موقوفة على الخيرات، من حبسها على الخير؟ من حبسها لله؟ والوقف عندنا هو حبس العين لله ومن أجل الخيرات، من فعل هذا؟ أنتم، شعوبكم، ملوككم، أمراؤكم، الصلحاء من الشعوب الإسلامية هم الذين حبسوا تلك الحبوس ووقفوا تلك الأوقاف. وما يقرب من مليون دونم من أخصب الأراضي في فلسطين أراضي وقف، وقف إسلامي ملك الله، ليست ملك أبناء فلسطين، الوقف هو ملك الله، من بنى هذا وحبسه؟ أنتم، شعوبكم عبر التاريخ والأجيال. إن فلسطين ليست لنا وحدنا، ليست لأبناء فلسطين وحدهم، ليست للأمة العربية وحدها، ولكن فلسطين هي تراث العالم الإسلامي وموئل العلوم الإسلامية وفيها أمجاد العالم الإسلامي كله.

وليس هذا فحسب، فلسطين قررت مصير العالم الإسلامي عدة مرات . . . فلسطين الصغيرة التي لا تتجاوز عشرة آلاف ميل مربع قررت مصير العالم الإسلامي عدة مرات، لم تقرر مصير فلسطين وحدها، ولا مصير الأمة العربية وحدها، ولكنها قررت مصير العالم الإسلامي كله، قررت مصير وجوده، وقررت مصير حضارته. لولا تلك الوقفات الحاسمة في فلسطين ما التقينا هنا في هذه الندوة هذه العشية كمسلمين، وربما لم يكن هنالك عالم إسلامي، وربما لم تكن هنالك أوطان إسلامية، وربما لم تكن هنالك حضارة إسلامية، ليس هذا مبالغة ولا زخرفاً في القول، التاريخ ينبئ بهذا، تاريخ الإسلام ينبئ بهذا.

كانت أول وقعة فاصلة حاسمة في تاريخ العروبة والإسلام في عام ٦٣٦

ميلادية، موقعة اليرموك التي فتح المسلمون فيها فلسطين، ولم يفتحوا بها فلسطين فحسب ولكنها فتحت مصر، معركة اليرموك فتحت شمال أفريقيا، معركة اليرموك فتحت العراق، معركة اليرموك فتحت الأقطار البعيدة النائية إلى السند، إلى الهند، إلى الصين.. كانت البداية، الباب الأكبر في الإنتصارات الإسلامية، في الفتوح الإسلامية. ولولا معركة اليرموك لبقي الإسلام في الجزيرة العربية، وربما وهن الإسلام في الجزيرة العربية ولكن الله أراد، وإن لله عباداً إذا أرادوا أراد، منهم خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح، فانتصروا في معركة اليرموك، وأين كانت معركة اليرموك؟ في فلسطين، في المثلث الصغير الذي يقع بين سوريا والأردن وفلسطين، في واد خالد، المعروف إلى يومنا هذا، هنالك وقعت المعركة، يومها انهزم هرقل الروم وولى الأدبار وهو يقول: سلام عليك يا سوريا سلاماً لا لقاء بعده.

إنَّ معركة اليرموك هي التي قررت مصير العالم الإسلامي وحضارة العالم الإسلامي. وليس هذا فحسب ولكنها كانت مسرحاً لأروع حدث عرفته البشرية في أحقابها الطويلة إلى يومنا هذا، هل عرفتم في حروب البشرية كلها قائداً يخلع ويقاتل؟ هل عرفتم أن قائداً قد خلع وقاتل؟ أبداً، كل التاريخ في الحرب العالمية الأولى والثانية، وكل الحروب التي سبقت، حينما كان يفشل القائد أو يهزم القائد، يخلع القائد، ويعود إلى منزله. ولكن إنساناً واحداً في هذه البشرية قد خلع من القيادة وقاتل جندياً، وقال: أنا لا أحارب من أجل عمر ولكني أحارب من أجل الله، ذلكم هو خالد بن الوليد.

الوقعة الثانية في تاريخ فلسطين التي قررت مصير العالم الإسلامي، معركة حطين، وقد ذكرها أحد اخواننا الخطباء، في عام ١١٨٧ ميلادية... وحطين تقع بين طبريا والناصرة كانت فيها الوقعة الكبرى التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي... انتصر لا بأبناء فلسطين وحدهم ولا بأبناء العروبة وحدهم ولكنه انتصر بالجحافل الإسلامية، بالجحافل الإسلامية من مصر ومن سوريا ومن العراق ومن كل الديار الإسلامية... صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين ردّ الصليبيين وردّهم إلى الأبد عن فلسطين. لولا حطين لما التقينا هذه العشية في هذه الندوة مسلمين ولما التقينا عرباً ولا التقينا فلسطينيين... لو انتصرت الحروب والحملات الصليبية في فلسطين وامتدت إلى شرق الأردن كما كانت المعارك في الكرك ومنها امتدت إلى سوريا وإلى لبنان لانفصم العالم الإسلامي والأمة العربية ووقع الدمار، ووقع الاندثار. ولكن الله كانت له إرادة أخرى ولا رادّ لإرادته، إن لله عباداً إذا أرادوا أراد، وكان صلاح الدين هو الذي أراد وأراد الله له، فكتب الله النصر للمسلمين.

وهنالك المعركة الثالثة في فلسطين وعلى أرض فلسطين: هذا البلد الصغير،

على مشارف البحر الأبيض المتوسط كان يمسك بزمام العالم الإسلامي كله، ومصائره بين يدي هذه التربة الغالية المقدسة.. معركة عين جالوت أين كانت؟ قريباً من بيسان، شرق فلسطين في أواسط فلسطين، التتار، المغول جنكيزخان تيمورلنك حرقوا وهدموا وأتلفوا في العراق، فما تركوا أقنية ولا حضارة ولا مستشفيات ولا مؤسسات عامة، كلما دخلوا بلداً حرقوها ودمروها وشردوا أهلها. وبهذا كانت الحضارة الإسلامية والوجود الإسلامي كله بل الوجود العربي كله يهتز أمام تيمورلنك وأمام جنكيزخان، وكانت الموقعة الكبرى مرة ثالثة في فلسطين، في عين جالوت في عام ١٢٦٠م. هذه المرة الظاهر بيبرس بجيوشه الإسلامية وبطلائعه من جيش مصر ومن أبناء مصر رد المغول عن ديار العروبة والإسلام، وكانت فلسطين هي الساحة التي قررت مصير العروبة والإسلام.

هذا العرض القصير الموجز ترون منه، أخواتي وإخواني، أن فلسطين ليست وحدها، وأن فلسطين ليست للأمة العربية وحدها. إن فلسطين لكم جميعاً، وعلى كل واحد منكم واجب من أجل فلسطين، لأن فلسطين التي حملت مصير العالم الإسلامي في الماضي، تقف الآن مرة ثانية أمام المصير... مرة ثانية فلسطين تغزوها الآن إسرائيل، وما هي التي تغزوها وحدها، إن وراء إسرائيل الصهيونية العالمية ووراء الصهيونية العالمية الاستعمار الغربي بكل مكره ودسائسه وخداعه، أمام هذا كله يقف هذا الشعب المشرد المشتت الوديع المسالم. ولكن الواقع أن العالم الإسلامي يواجه مصيره مرةً ثانية: إن أفلحت إسرائيل وأفلحت الصهيونية وأفلح الاستعمار الغربي، فحينئذ يهتز مصير الأمة العربية كلها ويهتز مصير العالم الإسلامي كله. وكما انتصرنا في حطين، وفي اليرموك، وفي عين جالوت، فإن شعب فلسطين مسنوداً بالأمة العربية، ومسنوداً بالشعوب الإسلامية، سينتصر مرة أخرى.

دعوى اليهود... مجرد أوهام ومتاهات مزيفة

وإذا كانت فلسطين وطن الإسلام فهي وطن عربي، وإني أريد أن أعرفكم بأن فلسطين وطن عربي، أعرفكم أنتم البعيدون عن الوطن... أنتم الذين كنتم مشغولين بقضاياكم وما أكثرها، وما أعزها.. أنتم الذين تتوارد عليكم الكتب والمجلات والنشرات باللغات المختلفة دساً على القضية الفلسطينية، لابد أن تعرفوا أن فلسطين ليست وطناً إسلاميا فحسب... هي وطن إسلامي، ولكنها وطن عربي أيضاً. الجغرافيا كثيراً ما تصنع التاريخ، جغرافية البلد تصنع تاريخه وتصنع شعبه. ولو نظرتم إلى خريطة فلسطين بالنسبة إلى العالم العربي لحكمتم أن فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير، أنظروا إلى الخريطة أنظروا إلى الجزيرة العربية كلها، تروا في

الشمال أرض فلسطين، متنفس الجزيرة العربية. وأنتم، من درس منكم تاريخ الجزيرة العربية وتاريخ العرب، تعلمون أن الجزيرة العربية كانت تبعث بالهجرات موجة بعد موجة صوب الشمال، في كل ألف عام يقع طوفان، أو يدمر سد من السدود، أو تنزل نكبة أو زلزال، فتقذف الجزيرة العربية بقبائلها صوب الشمال.

وهكذا ظلت فلسطين وديار الشام على مدى أحقاب بعيدة في القدم تستقبل القبائل العربية المهاجرة من الجزيرة العربية وتستقر في فلسطين، فهي أرضنا وبلدنا، وأهلها هم من الشعوب العربية المهاجرة القديمة. ولعلنا لو رجعنا إلى كتاب العهد القديم لرأينا أن فلسطين اسمها أرض كنعان، ومن هو كنعان هذا؟ كنعان هذا جد من أجداد العرب، ومن كانت له منكم خبرة في تركيب الألفاظ باللغة العربية، يعلم أن كنعان على وزن فعلان، مثل غسان وهو جد نصارى العرب، قحطان هو جد مسلمي العرب بل هو جد العرب جميعاً. فإذا كان في العهد القديم عند اليهود أن هذه البلاد اسمها أرض كنعان وهو جد من أجداد العرب فلا بد أن تكون قبل ذلك العهد القديم جزء من الوطن العربي الكبير وشعبها جزء من الأمة العربية. وفلسطين جزء من ديار الشام. . . لو تساءلتم وما معنى لفظ الشام أو ما هو بعض معاني لفظ الشام؟ الشام تعني في بعض معانيها الشمال من الجزيرة العربية وجنوبها اليمن. وما أدري إذا كان معنا هنا من إخواننا أحد من اليمن، وسميت اليمن لأنها تقع من الجزيرة العربية في ميمنتها، ونحن ديار الشام نقع من الجزيرة العربية في شمالها أي على ميسرتها، وفلسطين جزء من ديار الشام فإذا كانت اليمن عربية ففلسطين عربية.

إنّني أكلمكم الآن بالعلم وبالتاريخ لأن العرب متهمون في المحافل الدولية بأن كلامهم عاطفي وأن قضيتهم ليست لها وقائع علمية وأنهم يتحدثون بالأصوات العالية بعيداً عن العلم وعن التاريخ، فمن أراد العلم والتاريخ، فهذا هو العلم وهذا هو التاريخ. هذا وطن عربي منذ القدم، نعترف أنه قد غزاه الكثيرون، غزاه اليونان، وغزاه الرومان وغزاه الفرس، وغزاه الأتراك والسلاجقة، وغزاه البريطانيون كذلك في العهد الأخير، غزوات بعد غزوات. ولم هذه الغزوات في فلسطين وليست في غير فلسطين؟ لأن فلسطين تقع على مفارق الطرق، تقع بين أوربا وآسيا وأفريقيا، هي على مفرق الطريق، هي الطريق إلى الهند، الإسكندر أراد أن يصل إلى الهند فلا بد له من فلسطين، الفرس يريدون أن يصلوا إلى أفريقيا وإلى آسيا الصغرى فلا بد لهم من فلسطين.

ولقد قلت لكم إن الجغرافيا تصنع التاريخ وتصنع الشعب، وجغرافية فلسطين على مفارق الطرق هي التي جعلتها مناط أمل الغزاة على أعقاب التاريخ. ومن جملة هؤلاء الغزاة العبرانيون القدامى، القبائل السائحة التائهة في الوطن العربي، غزوا

هذه البلاد، وعبروا النهر، وسمّوا عبرانيين لأنهم عبروا نهر الأردن، وعبوره يعني غزو البلاد، فهم غزاة ليسوا من أهل البلاد القدامى، ومن أجل هذا فدعوى اليهود في فلسطين تقوم على متاهات الأوهام، لا سند لها من الحقيقة، ولا سند لها من التاريخ. ولو شئنا أن نرجع بالتاريخ أحقاباً طويلة إلى الوراء، لنرى أين حل هذا الشعب أو ذاك، وكيف غزا هذا الشعب أو ذاك، لوجدنا أنه لابد لنا من أن نقلب خريطة الدنيا رأساً على عقب، فما استقر شعب في وطنه إلا وكان عليه غزو، وكان عليه عدوان، فالغزوة اليهودية عادية باغية ترون أخبارها في التلمود، وترون أخبارها في العهد القديم، يبدو فيها الغزو ويبدو فيها العدوان، وتبدو فيها وحشية التقتيل، ووحشية الترويع، وتبدو فيها الحرائق التي أشعلوها في المدن والقرى.

ولقد أعاد التاريخ نفسه، لأن إسرائيل قد قامت مرة ثانية على التدمير والتقتيل والترويع، كما فعل الغزاة القدامى، العبرانيون عبر التاريخ القديم. . . وإذا جاز الزعم بأن لليهود حقاً في فلسطين، فعلينا أن نعترف بهذا الحق لأهل كريت. . . كريت الجزيرة المعروفة بالبحر الأبيض المتوسط التي يسميها المؤرخون العرب «أقريطش»، قبائل من كريت اسمهم «فلستين» نزحوا إلى أرضنا فسميت فلسطين من ذلك اليوم، وفي كتاب العهد القديم تردد ذكر هذه القبائل وسموا «الفلسطينيون» وقد ورد أنهم جاءوا من كريت. فإذا كان لليهود حق فأهل أقريطش أو كريت لهم حق في فلسطين، هذه هي الدعوى الصهيونية المزيفة الكاذبة.

اليهود ليسوا شعباً. . . ولا قومية

إن اليهود ليسوا شعباً، وأحب أن تعرفوا هذا للتاريخ، يقول هذا علم الأنساب، و«الأنتروبولوجيا» تقول هذا، مؤسسة اليونسكو في مؤلفاتها الأخيرة تقول هذا: إن اليهودية دين، اليهودية ليست قومية. وليس علينا إلا أن نرجع إلى دائرة المعارف لا البريطانية ولا الأمريكية ولكني أردكم إلى **دائرة المعارف اليهودية**. من يعرف منكم الإنكليزية أو الفرنسية فليذهب إلى مكتبة عالمية ويطلب دائرة المعارف اليهودية، «الجويش أنسايكلوبيديا»، ويفتح تحت مادة «جو» بالانجليزية أو «يهودي» ماذا يرى هناك؟ يرى فعلاً أن اليهود ليسوا شعباً، ولا قوماً، اليهودية دين، واليهودية حضارة.

في القرن السابع للميلاد، كان هنالك مغول بالملايين قد جاؤوا من أواسط آسيا ودخلوا على ما نعرفه اليوم بالاتحاد السوفيتي قريباً من بحر خزر، هؤلاء الملايين من التتار والمغول استقروا هنالك على شواطئ بحر الخزر، وأقاموا دولة اسمها دولة الخزر، وأميرها كان يبحث عن دين له، أيختار المسيحية، أيختار الإسلام، أم يختار

اليهودية؟ وصادف في ذلك الوقت أن بعض تجار اليهود كانوا في تركيا وسافروا إلى مناطق الخزر واتصلوا بأمير المغول التتاري الوثني واستمالوه لدينهم واعتنق اليهودية. هذا ليس كلامي ولا كلام أبناء فلسطين، هذا كلام دائرة المعارف اليهودية. . . وهكذا فرض أمير الخزر على شعبه كله اليهودية، وأصبحوا يهوداً، هؤلاء ليسوا ساميين، ليسوا من الساميين القدامى أبناء عمومة العرب. . . ليسوا من القبائل العبرانية التائهة الغازية وراء موسى أو قبل موسى، هؤلاء المغول والتتار بالملايين الذين اعتنقوا الدين اليهودي بإمرة أميرهم، يهود أوربا الشرقية كلهم مغول تتار، اعتنقوا الدين اليهودي، ليسوا عبرانيين، ليسوا ساميين، ليسوا من اليهود الذين قطنوا في فلسطين أو غزوها، يهود أوربا الشرقية كلهم، من المغول وقد نشأت الفكرة الصهيونية في أوربا الشرقية. ومن العجيب أن الصهيونية حمل لواءها من أصلهم مغول وتتار من دولة الخزر، ولذلك فالحديث عن القومية اليهودية حديث فارغ وحديث سخيف.

إنّني أكلمكم الآن بلغة العلم، لأنكم ستعودون إلى أوطانكم، وكل واحد منكم يجب أن يكون داعية علم، وداعية معرفة. . . لا تنقلوا إلى شعوبكم دعاية عاطفية فحسب ولكن العلم معكم، ولكن التاريخ معكم، ولكن العدل والحق معكم، وهؤلاء من دولة الخزر، كثيرون من أحفادهم هم الذين جاءوا إلى فلسطين مهاجرين، وهذه ليست وطنهم، إذا كان لهم من وطن فوطن المغول والتتار.

إن شعب فلسطين لن يقف عند هذه الحقائق العلمية فحسب، ولكنه سيكافح، سيكافح بالدماء، بالمهج والأرواح. . . من أجل وطنه. لن يقف عند الحقائق العلمية. . . لن يقف أمام الإنسيكلوبيديا البريطانية أو اليهودية ويظن أنها ستعيده إلى فلسطين، لا بد لشعب فلسطين من كفاح وحينئذ سيعود أبناء فلسطين إلى فلسطين، وأبناء الخزر إلى الخزر، وستمزق إسرائيل شذر مذر.

الاستعمار يضرب العالم. . . العربي والإسلامي في فلسطين

أخواتي إخواني

الموضوع ليس موضوع حق تاريخي، هذه أوهام تاريخية هذه أساطير وخرافات، اعتمدها الاستعمار الغربي، الاستعمار الغربي هو الذي خلق الصهيونية، إسرائيل هي ربيبة الاستعمار الغربي. الاستعمار الغربي في القرن التاسع عشر وفي القرن الثامن عشر ركز مصيره حول شواطئ البحر الأبيض المتوسط ونظر في حال الأمة العربية وما حولها من العالم الإسلامي، وصمم أن يضع يده على الأمة العربية. . . وأن يضع يده على العالم الإسلامي بما فيه من الثروات والكنوز. . . الكنوز الروحية والكنوز

البشرية . . . وماذا رأى أمامه؟ وضع أمامه الخرائط يستطلع ما في الأرض من دفائن ومن كنوز . . ماذا رأى؟ . . رأى العالم العربي أشبه بنصف دائرة، ورأى حوله العالم الإسلامي يحتضن العالم العربي بنصف دائرة أخرى، وفي وسط كل هذا فلسطين . . . فلسطين في وسط العالم العربي، وحول العالم العربي ملفوفاً بذراعيه العالم الإسلامي . . . وماذا في العالم العربي؟ مبتدأ من الغرب، تجدون مضيق جبل طارق . . . مفتاح حيوي للمواصلات . . . هذه شواطئ عربية، ثم ننتقل إلى الشرق . . الثغور العربية من الدار البيضاء إلى الجزائر إلى تونس إلى ليبيا إلى ثغر الإسكندرية إلى ثغر بيروت إلى اللاذقية، هذه ثغور حيوية. البحر الأحمر مجرى مائي دولي عظيم، قناة السويس، شريان المواصلات، باب المندب في الجنوب مفتاح المواصلات إلى آسيا.

هذا العالم العربي بيده مفاتيح الدنيا، الثغور والموانئ والممرات الدولية. وهذا من ناحية جغرافية. لكن ماذا في الوطن؟ الوطن فيه ثروات وكنوز، فيه بترول، فيه أسواق، فيه خامات، كل هذا في الأرض. أما على الصعيد الإنساني فهنالك أمة عربية، أمة مبدعة أمة خلاقة صنعت حضارة فيها قدرة هائلة، كيف يسمح الاستعمار للعالم العربي بمواقعه الإستراتيجية بثرواته في أرضه، هذه الثروات والكنوز الروحية في هذه الأمة العربية ذات الحضارة، كيف يسمح لها بأن تتحد، بأن تكون موجودة بأن تعود إلى رسالتها الحضارية مرة ثانية. ثم إن الاستعمار الغربي وجد نفسه أمام السؤال الكبير من الذي يحمي العالم الإسلامي، من يحميكم؟ يحميكم العالم العربي، وإذا ذل العرب ذل الإسلام، والعرب مادة الإسلام كما كان يقول الرسول عليه الصلاة والسلام. ولهذا وضع الاستعمار الغربي هدفاً بعيداً بأن يضرب العالم الإسلامي وأن يضرب العالم العربي ورأس الرمح في هذه الخطة الجهنمية أن تحتل إسرائيل فلسطين، لأن فلسطين هي قلب العالم العربي والعالم العربي قلب العالم الإسلامي. وهكذا راح الاستعمار الغربي يضرب العالم العربي والعالم الإسلامي من فلسطين من قطب الدائرة، من مركز حياتها، ولتكن إسرائيل فيها قائمة، هذا ما أراده الاستعمار الغربي.

خرافة الحق التاريخي وأوهامه هذه كلها مساخر إنما أرادوا بها أن يضربوا الأمة العربية والشعوب الإسلامية، ولهذا أخواتي إخواني إعلموا أن معركتنا الآن مع إسرائيل هي معركة الأمة العربية بمصيرها، ومعركة الشعوب الإسلامية بمصيرها ومستقبلها. وإذا كان الاستعمار قد جمع جموعه وهيأ صفوفه ودفع إسرائيل لتكون رأس الرمح فعلى الأمة العربية والشعوب الإسلامية من ورائها أن تسند شعب فلسطين ليكون رأس الرمح في هذه المعركة الضاربة، معركة الحق والحرية.

الاستعمار . . وتنفيذاً لخططه الاستعمارية، وأرجو ألا نضجر إذا عدنا قليلاً إلى التاريخ، إلى الوقائع، إلى الأرقام . . فقضيّة فلسطين تشكو ظلم الجهل، لأن فلسطين تشكو ظلم الكذب والتزوير والتزييف من الاستعمار والصهيونية وإسرائيل.

الاستعمار هذا متمثلاً في بريطانيا أصدر وعد بلفور: ووعد بلفور هذا كانت كلماته قليلة ولكن الكارثة بعده جاءت كبيرة، وأصدر بعده صك الانتداب البريطاني، فقد تعهدت الحكومة البريطانية أن تضع فلسطين تحت ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية تسهل الهجرة اليهودية وشراء الأراضي العربية لإقامة وطن قومي يهودي في فلسطين، بريطانيا سلبت من يملك ووهبت مالا تملك، ويوم أصدرت بريطانيا وعد بلفور، إعلموا ماذا كان الوضع الطبيعي في البلاد: لما وعدت اليهود أن يقيموا وطناً قومياً لهم في فلسطين كان اليهود في فلسطين ٥٪ (خمسة في المائة) من سكان البلاد . . . من كان عنده ورقة وقلم فليكتب، لترجعوا بهذه الحقائق الأساسية إلى أوطانكم وإلى شعوبكم لتعيدوها على الشعوب الإسلامية في المساجد، في النوادي، في الشوارع، في الميادين.

صمدنا ثلاثين عاماً . . . بعزم وإيمان

حينما أصدرت بريطانيا وعد بلفور كان يهود فلسطين ٥ في المئة وإخوانكم مسلمو فلسطين ٩٥ في المئة من سكان فلسطين. وماذا كان اليهود يملكون من الأراضي؟ كانوا يملكون ٢,٥ في المئة من أراضي فلسطين كلها . . اشتروها بالزور والرشوة وفساد الأخلاق أيام الدولة العثمانية لسبعين عاماً مضت. كان هذا بداية الظلم ثم امتد ثلاثين عاماً زمن الحكومة البريطانية بالتشريع وبالقسر وبالمظالم، وتدفقت قوافل الهجرة اليهودية تسندها الحراب البريطانية بالألوف حتى أصبح اليهود في عام ١٩٤٧ ثلث السكان . . . واشتروا ماذا؟ اشتروا ٣,٥ في المئة على مدى ثلاثين عاماً . . بريطانيا، وبتجاربها الاستعمارية الضخمة استطاعت في مدى ثلاثين عاماً أن تجعل اليهود يشترون ٣,٥ في المئة وأن يصبح اليهود ثلث السكان، وبهذا أصبحت الملكية اليهودية إلى عام ١٩٤٨، ٦ في المئة من أراضي فلسطين.

وأريد أن أقول لكم هنا، إرفعوا أيديكم تحية لشعب فلسطين، وأريد أن أقول لكم أيها المسلمون والمسلمات، يجب أن تعتزوا بشعب فلسطين، شعب فلسطين صمد ثلاثين عاماً من غير تكافؤ في القوى . . لقد كنا في المعركة وصمدنا على فقرنا وشدة إيماننا، على قلة سلاحنا ووفرة عزمنا وصبرنا وشجاعتنا وبسالتنا . . . صمدنا ثلاثين عاماً، والصهيونية والاستعمار بكل ما عندهما من أموال وقوى وبكل ما عندهما من سند دولي وضعا ثقلهما على هذا الشعب الوديع المسلم الأعزل. وكان يفترض أن

نسقط من العام الأول، كان يفترض أن نسقط من العام الخامس لأنه لا تكافؤ في القوى. شعب فلسطين حين كان يقاتل الصهيونية والاستعمار يوم كان العالم العربي من حوله كله تحت الاحتلال.. كان الوعي قليلاً لم تكن هناك مؤسسات دولية، ولا رأي عام دولي، ولا صحافة حرة في العالم، ولا العالم الثالث، ولا عالم دول عدم الانحياز، ولا الدول المتحررة، أبداً، كل هذا لم يكن موجوداً في الساحة الدولية، شعب فلسطين كان وحده في المعركة، ولكننا صمدنا ثلاثين عاماً.

على الصعيد السياسي عقدنا مؤتمرات فلسطينية كثيرة، ومؤتمرات عربية كثيرة، ومؤتمرات إسلامية كثيرة، وأرسلنا وفوداً إلى لندن وإلى جنيف وإلى العالم العربي والعالم الإسلامي، وهذا الكفاح السياسي كان وراءه الشعب الفلسطيني كله، بموارده القليلة لكن بوعيه الكبير، وعزمه الأصيل. وعلى صعيد الكفاح السياسي لابد لي أن أذكر لكم أمراً خارقاً هو المعجزة بنفسها، شعب فلسطين في عام ١٩٣٦ أضرب ستة أشهر متوالية، ستة أشهر بأيامها ولياليها، توقفت مرافق الحياة، الموانئ، المتاجر، المزارع، المصانع... أضرب الشعب كله في الليل والنهار، ستة أشهر متوالية. أخواتنا وإخواننا، القادمون من الهند أو الباكستان عرفوا الإضراب لأيام، لأسابيع، لكن التاريخ كله، ما عرف إضراباً يستمر ستة أشهر. لكن شعب فلسطين قد صنع المعجزة، واستطاع أن يضرب عن أعماله ومرافقه ستة أشهر، وبهذا قدم إلى تاريخ الكفاح البشري أروع صفحة من صفحاته في هذا الإضراب الطويل.

افتراء وإرجاف... روجت لهما إسرائيل ضدنا

وهنا لابد أن أقف معكم هنيهة... لعلكم سمعتم الكذبة الكبرى على شعب فلسطين.. لعلكم سمعتم الإرجاف الكبير أن أهل فلسطين باعوا أرضيهم وخانوا وطنهم وخرجوا... الصهيونية كتبت مؤلفات في هذا، وإن بعض الألسنة والأقلام العربية الخائرة كذلك روجت هذا الكلام الفاجر، هذا الكلام الداعر.

وإني آسف لاستعمال هذه العبارات القاسية النابية، حين يقولون إن أهل فلسطين باعوا أراضيهم، هذا الكلام يشيع في أفريقيا، ويشيع في آسيا وأمريكا اللاتينية، وسفراء إسرائيل في الاجتماعات وفي حفلات الشاي يفترون على شعب فلسطين ويقولون «نعمل إيه باعوا أراضيهم وطلعوا من البلد: هذا كذب وزور، هذا كذب وفجور، خلال ثلاثين عاماً ما استطاعت اليهودية أن تشتري أكثر من ٣,٥ من أرض فلسطين، ومِنْ مَنْ؟ ليست من فلاحينا، ليست من عمالنا، أكثرها باعها مالكون بعيدون وغائبون، وإقطاعيون، باعوها وكانوا بعيدين عن البلاد، وما عرفوا الأرض. ويوم اشتراها اليهود وجدوا فيها فلاحين من العرب من أبناء فلسطين، وقد

عشت تلك الأيام، كانت المصفحات البريطانية وكانت الدبابات البريطانية في وادي الحوارث ووادي القباني، ووادي التيان ومرج إبن عامر أصحابها مالكون غائبون، دخلت المصفحات البريطانية على فلاحينا، على رجالنا وعلى نسائنا، هدمت أكواخنا وخيامنا، لكن فلاحنا بقي باسلاً وبطلاً، فما خرج من الأرض إلا على أسنة الرماح وعلى أفواه المصفحات والدبابات.

قد يظن بعض الناس ممن لا يعرف ذلك التاريخ الطويل المرير، أن أهل فلسطين حملوا على أكتافهم أولادهم وحقائبهم وأخذوا طريقهم في البحار، وطريقهم بالبراري والقفار، ونزحوا إلى سوريا ولبنان والأردن، وهكذا هربوا من بلادهم. أبداً هذا زور كبير، ما خرجنا مستسلمين ولا جبناء ولا خائفين، لقد خضناها معارك طويلة على مدى ثلاثين عاماً: في القدس كانت لنا ثورة في عام ١٩٢٠، في يافا كانت لنا ثورة، في الخليل كانت لنا ثورة سنة ١٩٢٩، في صفد كانت لنا ثورة سنة ١٩٢٩، في كل مدينة في كل قرية: رجالنا، نساؤنا، طلابنا، عمالنا فلاحونا حملوا السلاح كلهم وخرجوا إلى الجبال والوديان، يقفون أمام الجيش البريطاني وأمام العصابات اليهودية. وكانت آخر ثوراتنا التي امتدت ثلاثة أعوام من سنة ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩، وسلاحنا البنادق القديمة، سلاحنا الذخائر والعتاد القديم ممّا يقع تحت أيدينا، كان فلاحنا يبيع بقرته ليشتري بندقية حتى ينزل إلى معركة الوغى. ونحن ما خرجنا جبناً ولا استكانة، خرجنا لأنه لم يكن هناك تكافؤ بالقوى أمام تلك القوى الطاغية الباغية من بريطانيا بكل ما عندها من جيوش.

أخواتي وإخواني

إن المسلمين والنصارى الذين خرجوا من فلسطين ما وضعوا على أكتافهم أطفالهم وهاجروا مستسلمين، كان وراء ذلك جهاد طويل مرير وكفاح صعب امتد ثلاثين عاماً. وقد صنع شعب فلسطين المعجزة في أنه صمد ثلاثين عاماً، وكان عليه أن يسقط في العام الخامس، أو العام الخامس عشر، ولكنه لم يسقط وبقي يقاتل ويناضل، وشعب فلسطين.. شعب فلسطين.. لا يفاخر بالأمجاد القديمة، شعب فلسطين لا يعتز بالذكريات الماضية، شعب فلسطين يقف الآن على عتبات الكفاح، شعب فلسطين يقف الآن على عتبات النضال.. إن الأمم المتحدة قد قسمت وطننا وشردت أهلنا، وكانت الولايات المتحدة وراء هذه المؤامرة الكبرى ولا تزال.. إن الولايات المتحدة قد اعترفت بإسرائيل بعد إحدى عشرة دقيقة من قيام إسرائيل. ومن منكم يدرس القانون الدولي وتاريخ العلاقات السياسية لن يجد حادثة واحدة وقع فيها اعتراف بعد إحدى عشرة دقيقة من إعلان قيام أي دولة. ولعل ترومان كان جالساً على تليفون مع تل أبيب فسمع بقيام إسرائيل وأصدر الأمر بالاعتراف.

منظمة التحرير الفلسطينية . . . طليعة التحرير

كانت مؤامرة كبرى وتشتت شعبنا وتشرد أهلنا في الوطن العربي، وعشنا الكارثة سنين طوالاً، وعاشت قضية فلسطين في فراغ كبير إلى أن قامت منظمة التحرير الفلسطينية، وكانت بداية تاريخ . . . تاريخ نضال وتاريخ كفاح. شعب فلسطين لسنين طويلة كان من غير منظمة، كان من غير قيادة، حتى عقد مؤتمر الإسكندرية في هذا الثغر العربي الكبير، المؤتمر الذي دعا إليه الرئيس جمال عبد الناصر، وأعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية لتعالج كارثة ولتعالج نكبة.

حمداً لله . . انتهى الفراغ . . لم تعد قضية فلسطين تعيش في فراغ، أصبح لنا منظمة تحرير، ومنظمة التحرير ليست أحمد الشقيري الذي يقف أمامكم على هذا المنبر . . إن الشقيري قضى سنين طويلة وراء المنابر في الأمم المتحدة فما تقدمت قضية فلسطين خطوة واحدة. إن قضية فلسطين ليست منبراً، ولا خطباً ولا مقالات، قضية فلسطين اليوم على عتبة الكفاح وعتبة النضال، أكبر إنجازات منظمة التحرير الفلسطينية هو قيام منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة لكفاح الشعب الفلسطيني وإرادته في التحرير.

منظمة التحرير الفلسطينية لها جيش اسمه جيش التحرير، ألوف من شبابنا مثلكم، في قطاع غزة، في سوريا في العراق، وحدات جيش التحرير الفلسطيني، ولا نذكر لكم العدد بالألوف من شبابنا، هم الآن في جيش التحرير الفلسطيني.

والعشرات من شبابنا في الكليات الحربية في بغداد، وفي القاهرة وفي دمشق، غداً صباحاً الساعة التاسعة وفي الكلية الحربية في القاهرة، يحتفل بتخريج عدد كبير من الضباط العرب وفي طليعتهم أبناء فلسطين . . الشعب الفلسطيني الذي كان يبحث عن خرطوشة واحدة ويتمناها بأحلام الليل والنهار، أصبح الآن يملك السلاح، ويملك العتاد ويملك الذخائر . . وألقينا مراسينا في العالم الدولي . . منظمة التحرير لا تعيش وحدها في غرفتها المغلقة متقوقعة على ذاتها . . . إنها ألقت مراسيها في العالم الدولي.

إن السلاح يأتينا من أصدقائنا: بعضه يأتينا بالمال وبعضه من غير مال ولا ثمن. ومن الذين يعطون من غير مال ولا ثمن إلى جيش التحرير؟ جمهورية الصين الشعبية الديمقراطية، ليس الأمر مقصوراً على السلاح ولكنه تعدى ذلك إلى التدريب . . . أفواج من أبناء فلسطين من شباب فلسطين ذهبوا إلى الصين الشعبية ليتدربوا على الصناعة المقدسة صناعة الموت في سبيل الوطن . . . صناعة البذل والفداء . . صناعة الشهادة في سبيل الله . . ذهب فوج من شبابنا إلى الصين الشعبية ليتلقى الخبرة الكبرى

في حرب التحرير . . . ومنذ خمسة أيام عاد شبابنا المدربون المسلحون إلى أرض الوطن في مكان ما، من الوطن العربي.

إن منظمة التحرير الفلسطينية ليست كلاماً وليست خطباً . . ولم ينشأ جيشها ليقيم في الثكنات والمعسكرات أبداً . . . جيشنا ما أنشئ ليقيم في المعسكرات في غزة، وفي سيناء، وفي سوريا والعراق . . جيشنا للكفاح جيشنا للنضال. وجواباً على خطاب واحد من إخواننا في الصفوف الوسطى . . أريد أن أقول له . . بعد أن بدأ الاصطدام المسلح بين سوريا وبين إسرائيل . . أصدرت المنظمة الأوامر إلى كتائب جيش التحرير المتمركزة في سوريا بأن تكون طليعة الجيش السوري.

دور الشعوب الإسلامية . . . في معركة فلسطين

لا أطيل عليكم كثيراً . . أنتم عائدون إلى شعوبكم . . وإلى أوطانكم احملوا معكم صورة مشرفة عن شعب فلسطين . . وبسالة شعب فلسطين . . عن منظمة التحرير . . وعن جيش التحرير . . وقد تتساءلون أيها الأخوات والإخوان . . ما هو دوركم . . ما هو دور الشعوب الإسلامية في هذه المعركة؟ أقول لكم بكل صدق وصراحة المعركة معركتكم جميعاً . . أنتم الجالسون والجالسات أمامي وشعوبكم من ورائكم، هذه المعركة هي معركة كل امرأة مسلمة كل فتاة مسلمة، كل رجل مسلم، كل شاب مسلم . . معركة الشعوب الإسلامية في الأوطان الإسلامية كلها هي معركة جهاد في سبيل الله . . . في سبيل رقعة مقدسة من ديار الإسلام، فيها حضارتنا وتاريخنا، وفيها مصيرنا، فيها حاضرنا من أجل مستقبلنا.

يوم تعودون إلى شعوبكم . . احملوها إلى شعوبكم . . . كلمة فلسطين . . واستنجاد فلسطين . . بإخوانهم المسلمين . . الشعوب الإسلامية كلها. ولابد لكم حين تعودون أن توضحوا حقائق القضية الفلسطينية . . . وكثير من شعوب العالم لا يعرفها . . وأريد أن أوجز ما عليكم من واجبات لقضية فلسطين: هي واجبات الجهاد والكفاح . . والجهاد هو فرض عين . . ليس فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، إنه فريضة على كل مسلم ومسلمة . . وهذه المعركة هي معركة كل مسلم في الأرض . . كل مسلمة في الأرض. لا أقول هذا تعصباً ولا تزمتاً، وإن الإسلام دين الشمول ودين الإنسانية كافة . . وقد أرسل محمد إلى الناس كافة، وأنا أضع أمامكم الآن هذه المقترحات لتعملوا على هديها . . أريدكم أن تنهضوا بواجبكم الإسلامي في إفهام الشعوب الإسلامية حقيقة القضية الفلسطينية، جوهرها وموضوعها، كقضية إسلامية، ليست قضية فلسطينية لشعب فلسطين وحده ولا قضية عربية للأمة العربية وحدها ولكنها قضية الإسلام بأسره.

عندنا أيام شؤم ثلاثة اذكروها دائماً.. واعقدوا لها الندوات.. اعقدوا لها الاجتماعات في المساجد، في المعابد في الشوارع، في الطرقات، في الميادين العامة: ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر يوم صدور وعد بلفور المشؤوم، ١٥ أيار/ مايو يوم قيام إسرائيل، ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر يوم تقسيم فلسطين. هذه الأيام الثلاثة هي أيام الكارثة.. اعقدوا لها الندوات، واعقدوا لها الاجتماعات، في هذه الأيام الثلاثة، تجمعوا أنتم وأهلوكم وأقاربكم وأحباؤكم، واذكروا فلسطين في تلك الأيام، أذكروها بالكلمة، فإن الكلمة مقدسة، واذكروها بالمال، لأن المال ذكره الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم قبل النفس ﴿**وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم**﴾[٢]. ما ذكر الجهاد في القرآن، وقد ذكر أكثر من عشرين مرة، إلا وذكر الجهاد بالمال قبل الجهاد بالنفس. الجهاد بالنفس يتناول فرداً بذاته وأما الجهاد بالمال فإنه جهاد يشمل الجماعة، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول من جهز غازياً فقد غزا.

واذكروا شعب فلسطين بالسلاح، إن استراتيجية هذا الزمان ليست كأيام صلاح الدين، إن المعركة ليست في حاجة إلى جحافل إسلامية من العالم الإسلامي، ليست في حاجة إلى متطوعين بالملايين من العالم الإسلامي أبداً.. استراتيجية المعركة تغيرت في زماننا هذا، استراتيجية المعركة في تحرير فلسطين، نحن نتصورها على صورة واحدة ولا صورة سواها.. أن يعبأ شعب فلسطين في معركة الكفاح، وأن تكون فلسطين هي فيتنام الشرق الأوسط ومن حولها الأمة العربية ومن حولها الشعوب الإسلامية.

الواجب الثاني.. واجب العالم الإسلامي: إن العالم الإسلامي على علاقات جيدة مع الغرب.. مع أمريكا ومع بريطانيا ومع الدول الغربية الأخرى.. ما أغنى العالم الإسلامي بأسواقه وبخاماته.. كم هي عديدة العلاقات الكبرى بين العالم الإسلامي والمعسكر الغربي.. الصهيونية تضع كل ثقلها لتضغط على واشنطن ونيويورك وعلى لندن وسائر العواصم الغربية، ضغطاً اقتصادياً وسياسياً، والشعوب الإسلامية قادرة على أن تمارس نفس الضغط. العالم الإسلامي أغنى من الصهيونية على غناها.. العالم الإسلامي بثرواته المادية وبأسواقه الكبيرة وببتروله وخاماته وحديده وسائر مواده قادر على أن يتحكم بسياسة الدول الغربية وأن يسيطر على المعسكر الغربي: إذا كان صلاح الدين الأيوبي قد استنفر الجحافل الإسلامية من العالم الإسلامي كله، فنحن نطالب بأن نستنفر ما عندكم من سيطرة ومن قوة سياسية واقتصادية وأدبية على الغرب حتى يمنع المدد، يمنع السلاح، يمنع الذخيرة عن

(٢) **القرآن الكريم**، «سورة التوبة،» الآية ٤١.

إسرائيل.. ومعركتنا مع إسرائيل ووراءها الاستعمار كله بما يمدها من سلاح.. وبما يمدها من مال.. وبما يمدها من عون.. والعالم الإسلامي مطالب بأن يقول لواشنطن وأن يقول للندن.. هذه فلسطين بلدنا ووطننا.

الواجب الثالث أيها الإخوان.. ألا يقوم تعاون مع إسرائيل أبداً.. لا يصح لمسلم أن يتعاون مع إسرائيل.. لا يصح لدولة إسلامية أن تتعاون مع إسرائيل.. إسرائيل اجتاحت دياركم المقدسة.. استباحت حرمات إخوانكم المسلمين وأخواتكم المسلمات اللاجئات في الخيام وفي الكهوف وهم يستمعون إلى هذه الندوات، يتطلعون إليكم، أخواتكم وإخوانكم المسلمون والمسلمات يعيشون بالذل ويعيشون بالحرمان.. يعيشون بالبؤس والشقاء. إسرائيل استباحت مدننا وقرانا، وطننا ومزارعنا وكرومنا، كيف يجوز لمسلم أن يتعاون مع إسرائيل؟ أنا أعلم أن هنالك بعض العلاقات الاقتصادية بين إسرائيل وبعض الشعوب الإسلامية.. هنالك علاقات ثقافية وسياسية بين إسرائيل وبين بعض الشعوب الإسلامية.. كيف يجوز هذا.. ليس مسلماً من يتعاون مع إسرائيل ملكاً كان أو رئيساً، أميراً كان أو سفيراً.. لا يصح أن تكون هذه العلاقات.. بعض المسلمين من أفريقيا، بعض المسلمين من آسيا يزورون إسرائيل.. وأنا أستمع إلى إسرائيل ويهتز جناني وترتعد فرائصي.. كيف يجوز لمسلم أن يدخل إسرائيل التي استباحت أرضنا وهدمت مساجدنا ومقابرنا... لا يجوز هذا أبداً، الإسلام وإسرائيل لا يلتقيان ولا يجتمعان فاحملوا هذه الرسالة احملوها إلى شعبكم.. ولا تسمحوا لمسلم أبداً من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية أو أوروبا أن تكون بينه وبين إسرائيل علاقات أو زيارات.

لا يحزنكم أيها الأخوات والإخوان وأنا أقترب من نهاية حديثي، أن تسمعوا أن بعض ملوك المسلمين يخونون الإسلام.. لا يحزنكم أن تسمعوا أن بعض أفراد المسلمين يخونون الإسلام.. أبداً.. وقع مثل هذا في الماضي، زمن الحروب الصليبية، كان بعض أمراء المسلمين يكاتبون الصليبيين ويستعدونهم على إخوانهم الأمراء.. ملك اسمه الكامل، وما هو بكامل لأنه ناقص وناقص، اسمه الكامل في زمن الحروب الصليبية عقد صلحاً مشيناً مع فريدريك الثاني أحد قادة الحملات الصليبية، عقد معه اتفاقاً يشبه حالنا الحاضر الذي تعيشه قضية فلسطين.. سلمه القدس.. سلمه الشقة الساحلية من القدس إلى عكا.. الشقة الساحلية من القدس إلى عكا الآن مع إسرائيل.. التاريخ يكرر نفسه.. لا يحزنكم إذا سمعتم أن بعض الملوك المسلمين يخونون في هذه الأيام قضية فلسطين وشعب فلسطين. لا يحزنكم أن الجهاد تقف في طريقه العقبات.. أبداً.. صلاح الدين الأيوبي وجد كثيراً من

العقبات في زمانه من أولئك الخونة الذين كانوا يداورون ويحاورون ويكاتبون الصليبيين.

من أجل هذا فإن الأحرار في الأمة العربية ماضون في طريقهم، وفي العرب وفي المسلمين ملوك أخيار وفيهم أمراء أخيار. كما إن هنالك ملوكاً أحراراً وملوكاً أشراراً خونة ولن تضرنا الخيانة أبداً، بل سنسير في الدرب ويكرر التاريخ نفسه.. التاريخ سيعيد نفسه، وكما انتصر صلاح الدين غير مبال بالأمراء الخونة سننتصر غير مبالين بالملوك والأمراء الخونة... سبيل الخداع كذلك لن يخدعنا.. لا ينخدع المسلمون في كلِّ أقطارهم وأنصارهم بالدعوات الخادعة والشعارات الزائفة.

الاسلام... الثورة الانسانية المتجددة

الإسلام ليس له شعارات براقة، الإسلام إيمان.. الإسلام عزيمة.. الإسلام صبر على الكفاح.. الإسلام لا يخدع والمسلمون لا يخدعون..

اذهبوا ثواراً وأحراراً.. أنتم جميعاً إلى أوطانكم.. إخواني وأخواتي.. إذهبوا وأنتم تحملون راية الثورة.. راية الحق.. الإسلام دين الثورة.. الثورة المتجددة.. الثورة المتجددة أبداً.. المتجددة سرمداً.. ليس الإسلام في حاجة إلى تجديد لأنه كل يوم هو في جديد.. نحن المسلمين في حاجة إلى تجديد إيماننا وتجديد إسلامنا.. بتجديد ثورتنا.. الإسلام ثورة إنسانية كبرى متجددة على كر السنين والأيام فلنعد إلى بلادنا وإلى أوطاننا ثواراً.. نحمل الثورة.. كلمة الحق.. كلمة الإسلام.. جهاداً في سبيل الله.. وأنتم هنا في معهد أبي بكر الصديق.. في مؤتمر أبي بكر الصديق أول ثائر بعد الرسول. لقد قضيتم أيامكم ولياليكم في ندوات أبي بكر الصديق.. في معسكر أبي بكر.. احملوا رسالة أبي بكر في ثورته.. في خلافة أبي بكر بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام.. امتنع بعض القبائل عن دفع الزكاة فحاربهم وقاتلهم، وقال كلمته المشهورة: والله لو منعوا عني عقال بعير لقاتلتهم وحاربتهم من أجله.. ومن هنا في مؤتمر أبي بكر احملوا معكم راية الثورة.. الثورة على الباطل.. الثورة على الكذب.. الثورة على الزور.. ثورة حيثما وجدتم باطلاً وظلماً. ليكون عالمنا الإسلامي عالماً ثائراً.

وهذه الثورة إخواني وأخواتي ما جاء بها أبو بكر من بيته ولا من تحت إبطه ولا من عقله ولا من وجدانه إنما جاء بها من القرآن، ميثاق الثورة الإنسانية الأكبر.. يعيبون على المسلم جموده وعلى الإسلام ركوده، وما بنا جمود ولا ركود لأن الإسلام حيّ يقظ دائماً. لو رجعنا إلى قرآننا وإلى ديننا لوجدنا أن القرآن فيه ميثاق الثورة

الإنسانية الرفيعة. واسمعوا قول الله ﴿**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين**﴾[٣]. . أرأيتم أطايب الحياة التي ذكرها القرآن الكريم في هذه الآية. . الأبناء وما أعزهم والآباء وما أكرمهم والأزواج وما أقربهم إلى قلوبنا والعشيرة والصحب والأموال وما أطيبها والتجارة وما أغلاها. . كل هذا مهدور. . الآباء مهدورون والأبناء مهدورون. . . والأزواج مهدورون والإخوان والعشيرة والمساكن التي ترضونها والتجارة التي تخشون كسادها، كل هذا مهدور في سبيل الجهاد من أجل الله. . هذه هي الثورة الإنسانية الرفيعة التي علينا أن نعتز بها ونفاخر بها. . نفاخر بها في زماننا هذا حيث العقائد الكثيرة. . حيث المبادئ الكثيرة. . وعندنا العقيدة الكبرى وعندنا المبدأ الأسمى. . . ثورة الإسلام، من ليس بثائر فليس بمسلم. . لأن الثورة جهاد والجهاد جهاد النفس وجهاد البيئة، وأن ترفع راية الجهاد في كل أوطان الإسلام.

عودوا واحملوا معكم رسالة أبي بكر من مؤتمر أبي بكر. عودوا واحملوا معكم كلمة فلسطين إلى إخوانكم وأخواتكم في الشعوب الإسلامية، واحملوا معكم الثورية التي تهدم وتدمر حيثما تكون الساحة مملوءة بالأباطيل والأكاذيب. . . عودوا إلى أوطانكم وأولادكم وعشيرتكم والأقربين وإلى تجارتكم ومساكنكم، لكن ليكن الجهاد فوق كل هذا، ولتكن راية الثورة وكلمة الحق هي العليا. . . عودوا إلى بلادكم وقولوا: ﴿**جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً**﴾[٤]. صدق الله العظيم.

---

(٣) **القرآن الكريم**، «سورة التوبة،» الآية ٢٤.

(٤) المصدر نفسه، «سورة الإسراء،» الآية ٨١.

(٢١)

مذكرة الشقيري إلى مؤتمر القمة الأفريقي في أديس أبابا، تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٦

بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الأفريقي، يتشرف رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، أن يتقدم بالمذكرة التالية، باسطاً فيها، باختصار، حقيقة القضية الفلسطينية التي يرجو باسم شعب فلسطين، أن تلقى التفهم المأمول من قبل السادة رؤساء دول أفريقيا المناضلة.

لقد عرفت شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية كل ألوان الغزو الاستعماري، إلا أن الغزو الذي حدث في فلسطين يتميز، بصورة خاصة، أنه اتخذ شكل طرد شعب بأسره من أرض آبائه وأجداده، وأحل محله شعباً آخر حرم السكان الأصليين حتى من حق العيش في أوطانهم.

أ ـ عندما دخلت القوات الانكليزية أرض فلسطين عام ١٩١٧، كان أكثر من ٩٠ في المئة من سكانها عرباً، ولم يكن عدد اليهود يزيد على ٥٦,٠٠٠ نسمة، نصفهم كان قد هاجر إليها في العقود القليلة المنصرمة. وبهذا يكون عدد السكان الأصليين من اليهود في فلسطين عام ١٩١٧ يشكل ٥ في المئة فقط من عدد السكان.

ب ـ كان العرب عام ١٩١٧ يمتلكون ٩٧,٥ في المئة من أراضي فلسطين، في حين لم يكن السكان اليهود، بمن فيهم المهاجرون حديثاً، يمتلكون سوى ٢,٥ في المئة من مجموع تلك الأراضي.

ج ـ عندما صدر قرار التقسيم في عام ١٩٤٧، لم يكن بحوزة الصهيونيين سوى ٦ في المئة من أرض فلسطين معظمها كانت قد وهبتها إياهم حكومة الانتداب من أملاك الدولة.

(هذه الأرقام مقتبسه من التقارير الرسمية لحكومة الانتداب البريطاني في فلسطين).

وعلى الرغم من هذه الوقائع أوصت الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، مانحة إسرائيل ٥٤ في المئة من البلاد. مع أن اليهود لم يكونوا يملكون من هذه الـ ٥٤ في المئة إلا ١٠ في المئة. ولكن إسرائيل لم تقنع بما أعطاها إياه قرار التقسيم، فأخذت تحتل بالقوة المسلحة أراضي إضافية، وتطرد السكان الأصليين، حتى بلغ ما احتلته ٨٠,٤٨ في المئة من مجموع مساحة أراضي فلسطين، وهي ما تزال تحتله حتى الآن. كما بلغ عدد العرب الذين طردتهم من ديارهم أكثر من مليون عربي، يعيشون منذ ١٨ عاماً لاجئين بلا وطن وبلا عمل.

ويمكن ملاحظة ما يلي على قرار التقسيم:

أ ـ بلغ عدد الدول التي وافقت على قرار التقسيم (٣٣) دولة فقط معظمها واقع تحت تأثير الامبريالية الأمريكية التي لعبت الدور الرئيسي في ضمان الموافقة على هذا القرار الظالم. وعارضه (١٣) دولة، وامتنع عن التصويت (١٣) دولة.

ب ـ أُخذ القرار بمعزل عن موافقة آسيا وأفريقيا بأسرهما. إذ لم يوافق عليه من آسيا غير الفيليبين، ومن أفريقيا غير جمهورية ليبيريا، وحتى هاتان الدولتان كانتا معارضتين للقرار، ثم تراجعتا ووافقتا عليه تحت تأثير الضغط الأمريكي المباشر.

لم نذكر موافقة حكومة جنوب أفريقيا على القرار لأنه من الخطأ اعتبارها دولة أفريقية، رغم قيامها على أرض أفريقية، وذلك لأنها دولة أقلية أوروبية بيضاء عنصرية، كان من منطق الأمور أن توافق على قيام دولة أقلية بيضاء عنصرية مثلها في فلسطين.

يجب أن نستنتج من هذه الحقائق ما يلي:

١ ـ إن اليهود جاؤوا إلى فلسطين «كمعمرين».

٢ ـ إن إسرائيل اغتصبت فلسطين من سكانها الأصليين.

٣ ـ الخلاف بين العرب وبين إسرائيل ليس خلافاً ايديولوجيا أو دينياً أو قومياً، وليس نزاعاً على حدود بين دولتين متجاورتين. إنما هو خلاف بين شعب هو صاحب الحق في فلسطين منذ فجر التاريخ وبين أقلية من المستوطنين الأوروبيين استولوا على وطنه وطردوه منه. شعب فلسطين سكن هذه البلاد منذ أقدم الأزمان وقد تعرض، في تاريخه الطويل، إلى غزوات الآشوريين والرومان والفرس والعبرانيين والسلاجقة والصليبيين والأتراك والانكليز وغيرهم. ولكنه بقي على الدوام يشكل الأغلبية

الساحقة من سكان فلسطين وصاحب الحق فيها، بينما أولئك الغزاة ومن ضمنهم اليهود، كانت علاقتهم بفلسطين لا تتعدى المرور بها لفترة من الزمان ثم ينتهي أمرهم بمغادرتها. اليهود مثلاً جاؤوا إلى فلسطين كقبيلة هاربة من مصر، واستقروا فيها كأقلية، ثم انتهت علاقتهم بها عام ١٣٥م كما يقول المؤرخ البريطاني توينبي.

إن المأساة العربية في فلسطين، لم تتوقف عند حد استيلاء إسرائيل على وطن بأسره، وطرد أبنائه الشرعيين خارج حدوده، إنما أيضاً بما يعنيه قيام دولة إسرائيل من خطر مستمر على حركات التحرر الوطني في الشرق الأوسط وأفريقيا:

أولاً: إن دولة إسرائيل قد ولدت في أحضان الإمبريالية التي تعهدت رعايتها وحمايتها ليس فقط تحقيقاً لأطماع الصهيونية، وإنما أيضاً تحقيقاً لمصالح الامبريالية العالمية، وبصورة خاصة الامبريالية الأمريكية. وإن ما بذله الاستعمار من أجل قيام إسرائيل، وللمحافظة على بقائها، آن له أن يجني ثماره، لذلك على إسرائيل أن تكون جيباً استعمارياً يعتدي على حركات التحرر الوطني في البلدان العربية.

في عام ١٩٥٣ هاجمت إسرائيل قريتين أردنيتين، محدثة مجزرة رهيبة فيها، وفي عام ١٩٥٦ هاجمت قلقيلية وحوسان الأردنيتين. وقد جاء توقيت هذين العدوانين مع انتفاضتين لشعب الأردن للقضاء على النفوذ الأنكلو أمريكي في بلاده، وفعلاً كاد الشعب أن ينتصر، لولا تدخل إسرائيل وتمكنها من تحويل المعركة والأنظار إليها بدلاً من الإمبريالية. هذا وقد أعلن المسؤولون الإسرائيليون مراراً أنهم لن يسمحوا بإحداث أي تغيير في الأردن.

وفي عام ١٩٥٨ عقب انتصار ثورة ١٤ تموز/ يوليو في العراق التي وجهت ضربة قاصمة لحلف بغداد الاستعماري، أعلنت إسرائيل حالة الطوارئ وسمحت للطائرات الانكليزية المحملة بالجنود والدبابات أن تنزل إلى الأردن عبر أجوائها، لضرب شعب الأردن والاستعداد للتدخل المسلح في العراق.

ونفس ما قيل عن توقيت إعتداءات إسرائيل على الأردن مع اشتداد النضال الشعبي ضد الإمبريالية يمكن أن يقال بالحرف الواحد عن اعتداءات إسرائيل على سوريا العربية كلما تعرضت الأخيرة، بسبب مواقفها الوطنية، إلى مؤامرات الامبريالية العالمية. وإن قصة اشتراك إسرائيل بمؤامرة هندرسون عام ١٩٥٧/ ١٩٥٨ على سوريا، التي حاكها حلف بغداد بالتعاون مع الإمبريالية الأمريكية، لمشهورة جداً.

ولعل تحرك إسرائيل ضد مصر عام ١٩٥٦ عقب تأميم قناة السويس واشتراكها الفعلي في العدوان الثلاثي الذي استهدف القضاء على الحكومة الوطنية في مصر التي

تلعب دوراً بارزاً في النضال العربي والأفريقي ضد الإمبريالية والعنصرية، لدليل دامغ على الدور الذي تلعبه إسرائيل بوصفها جيباً استعمارياً مستعداً أبداً لمقاومة قوى الحرية والتقدم في الوطن العربي وأفريقيا.

أوضح مكنمارا وزير الدفاع الأمريكي في خطاب له في مونتريال في شهر أيار/ مايو من عام ١٩٦٦، أن أحد الأسباب التي حدت بالولايات المتحدة لتسليح إسرائيل، هو قناعة وزارة الدفاع الأمريكية بضرورة التخلص من سياسة الاعتماد على الأسطول السادس في الشرق الأوسط بإقامة «شبكة دفاعية من الدول الصديقة للولايات المتحدة في المنطقة».

وفي تلك الفترة ذاتها صرح مسؤول بوزارة الخارجية الأمريكية، في معرض تعليقه على تسليح أمريكا لإسرائيل، قائلاً: «لقد وصلت الولايات المتحدة إلى نتيجة هي أنها لم تعد قادرة على أن تستجيب لكل حادث يقع حول العالم، وأنها يجب أن تعتمد على القوة الرادعة لدولة صديقة في المنطقة، كخط أول يجنب أمريكا التدخل بطريقة مباشرة».

إن إسرائيل منذ توقيع اتفاقية الهدنة عام ١٩٤٩ شنت مجموعة كبيرة من الاعتداءات على جيرانها، الأمر الذي جعل الجمعية العامة ومجلس الأمن يوبخانها أو يدينانها أو يلومانها إحدى عشرة مرة: خمس مرات من مجلس الأمن، وست مرات من الجمعية العمومية، وبهذا تكون إسرائيل أكثر دولة في العالم أدينت بالعدوان من قبل الهيئة الدولية.

ثانياً: إن إسرائيل هي أداة الاستعمار الجديد في أفريقيا:

أ ـ إن دراسة المدى الذي تغلغل فيه الرأسمال الإمبريالي في اقتصاد إسرائيل، يعطي صورة فاضحة للشراكة بين إسرائيل وبين الامبريالية، وهذه بدورها تكشف أولئك الذين يقفون وراء إسرائيل حين تتقدم بالمساعدة لدول أفريقية الفتية. ففي عام ١٩٥٦ بلغت رؤوس الأموال الأمريكية ٥٦ في المئة من مجموع إجمالي المبالغ التي تستغل في إسرائيل. وفي عام ١٩٥٧ وصلت النسبة إلى ٧٣ في المئة، وهي تزداد كل سنة. (مختار الصحافة والأنباء للوكالة اليهودية، الجزء الحادي عشر، صفحة ١٠٣٦).

ب ـ إن ما تلقته إسرائيل من مساعدات، بعضها أمريكية، وبعضها من جبايات المنظمات الصهيونية الرأسمالية في العالم، وبعضها من التعويضات الألمانية، بلغ بمجموعه بحسب التقارير الرسمية (٧٠٠٠) مليون دولار.

ج ـ إن «المعهد الأفرو ـ آسيوي « للدراسات العمالية والتعاونية في تل أبيب،

الذي أسسه الهستدروت واتحاد العمل الأمريكي المعروف بـ AFL-CIO أي إندماج «الاتحاد الأمريكي للعمل» و«مجلس المنظمات الصناعية» الذي يقوم بنشاط واسع للتغلغل الإسرائيلي في أفريقيا. كان هذا المعهد قد تلقى من اتحاد العمل الأمريكي مبلغ ١٨٠,٠٠٠ دولار عام ١٩٦٠/ ١٩٦١، و٢٢٠,٠٠٠ دولار عام ١٩٦١/ ١٩٦٢. وقدم له إتحاد عمال السيارات في الولايات المتحدة مبلغ ٢٠,٠٠٠ دولار عام ١٩٦٢/ ١٩٦٣. وابتداءً من عام ١٩٦٣ تعهدت المؤسسة الأمريكية لتنمية العمل الحر بتمويل برامج تدريس العمال من أمريكا اللاتينية في المعهد المذكور.

وبديهي أن دولة يخضع اقتصادها، إلى هذا الحد، لتغلغل رأس المال الامبريالي، وتتلقى هذا القدر من المساعدات المقدمة من الحكومات والمؤسسات الامبريالية، من المحال أن تقدم مساعدة نزيهة لدول آسيا وأفريقيا. إنها على العكس، لا تستطيع إلا أن تكون أداة لتسرب الاستعمار الجديد إلى البلدان النامية.

ثالثاً: إن إسرائيل بؤرة العنصرية والشوفينية في أبشع صورها:

أ ـ لو تتبعنا الجذور الفلسفية للصهيونية نجدها تقوم على أساس تمييز اليهود عن كل شعوب الأرض بوصفهم « الشعب المختار». إن هذه الفكرة بالذات هي التي حالت دون أن يمتزج اليهود بالشعوب الأخرى وهي التي سوغت لهم التجمع في فلسطين وخلق مأساتها.

ب ـ يوجد في إسرائيل الآن أكثر من (٢٥٠) ألف عربي يمارس ضدهم التمييز العنصري: فلا يمنحون أجوراً مساوية لأجور اليهود بالنسبة لنفس العمل، ويمارس ضدهم في التعليم والوظائف. إن المناطق التي يسكنها العرب يطبق عليها الحكم العسكري منذ (١٨) عاماً، فمثلاً لا يستطيع العربي أن يتنقل من قرية إلى أخرى أو من مدينة إلى مدينة، إلا بإذن خاص لا يأخذه إلا بعد تحقيق واستجواب. وأكثر من ذلك، هنالك آلاف العرب في إسرائيل يعتبرون كغائبين، لأنهم غادروا أماكن سكناهم إلى أماكن أخرى في نفس إسرائيل، وقد صودرت أملاكهم ووضعت تحت إمرة حارس أملاك العدو. وكلما دخلت أفواج جديدة من المهاجرين اليهود، يُرحل سكان قرية عربية ما، لكي يحل محلهم المهاجرون الجدد. هذا بالإضافة إلى ممارسة إسرائيل ضغطاً مستمراً على العرب لإجبارهم على مغادرة بيوتهم والهروب من إسرائيل. إن المادة (١٠١) من قوانين الطوارئ تخوّل رئيس أركان الجيش الإسرائيلي اعتقال أي عربي لمدة سنة دون حاجة لإبداء الأسباب. وتطبق هذه المادة بنشاط كبير الأمر الذي جعل سجون إسرائيل مكتظة، باستمرار، بمئات الشباب العرب.

ج ـ إن العنصرية الشوفينية في إسرائيل قد وضعت نصب أعينها توسيع رقعة

دولتها العنصرية، لتشمل الأرض العربية من النيل إلى الفرات، وقد عُبّر عن هذه النيات في تصريحات علنية عديدة للمسؤولين الإسرائيليين الذين كتبوا بأحرف بارزة على مدخل الكنيست (البرلمان اليهودي) عبارة «من الفرات إلى النيل أرضكم يا بني إسرائيل».

لقد أعلن المسؤولون الإسرائيليون بأنهم يسعون لرفع عدد السكان إلى خمسة أو ستة ملايين نسمة في السنوات القليلة القادمة، رغم إدراكهم أن فلسطين بلد صغير وفقير لا يتسع لملايين جديدة من المهاجرين. وما سرقة مياه نهر الأردن الذي حولوا مجراه إلى إسرائيل وحرموا آلاف الفلاحين العرب من مصدر معيشتهم، إلا جزء من هذا المخطط في التوسع السكاني الذي يعني أن إسرائيل قد أسقطت من حسابها نهائياً عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم، والذي يعني أيضاً أنها ستواجه اختناقاً سكانياً لا يحل إلا بالتوسع على حساب البلدان العربية المجاورة مع ضرورة إخلائها من سكانها العرب.

ولا شك في أن هذا المخطط الذي يستهدف إحلال شعب مكان شعب آخر هو أبشع أنواع التمييز العنصري والسياسة الشوفينية اللذين عرفهما التاريخ.

د ـ ومن الوقائع التي تكشف إسرائيل كدولة عنصرية تؤيد العنصريين في كل مكان، مواقفها في دعم منظمة الجيش السرية في الجزائر، وفي دعم المستعمرين في الكونغو وأنغولا وموزمبيق وجنوب أفريقيا. هذا إلى جانب مواقفها في هيئة الأمم إلى جانب العنصريين والمستعمرين في لجنة تصفية الاستعمار، وفي امتناعها عن التصويت لمصلحة استقلال بلدان أفريقيا المستعمرة. أما محاولاتها الأخيرة في المجال الدولي لمسايرة السياسة الأفريقية ما هي إلا خداع يقصد منه تسهيل مهمتها في خدمة الاستعمار الجديد.

أعلن ممثل موريتانيا في هيئة الأمم عام ١٩٦٢ ما يلي: «إن إسرائيل أكثر عنصرية حتى من حكومة جنوب أفريقيا. إن قادتها اليهود الأوروبيين يمارسون التمييز العنصري ليس فقط ضد العرب بل أيضاً ضد اليهود الشرقيين أو المنحدرين من أصل أفريقي. وعلى الرغم من أن إسرائيل تقوم بنشاط سياسي واسع في أفريقيا إلا أن الأمر الملفت للنظر أنها لم تقبل قط مهاجرين من آلاف اليهود السود في الحبشة».

رابعاً: إن كيان إسرائيل مصطنع وغير طبيعي الأمر الذي خلق منها دولة شاذة لا مثيل لها في العالم:

أ ـ تقوم الدول عادة لتمثل شعباً سكن أرضاً محددة خلال مئات أو آلاف السنين، أما إسرائيل فقد قامت لتمثل خليطاً من البشر لا أرض لهم جاؤوا من

مختلف أنحاء العالم، ولا يربط في ما بينهم سوى رابطة الدين، ولا يجمعهم إلا الاستعمار والأطماع العنصرية الصهيونية.

ب ـ قام العنصريون في روديسيا وجنوب أفريقيا باغتصاب الأرض واستعباد السكان الأصليين، ولكن العنصريين في إسرائيل اغتصبوا وطناً بأسره وطردوا السكان الأصليين منه.

ج ـ إن الدول الداخلة في الأحلاف الاستعمارية أو الخاضعة للنفوذ الإمبريالي، تأتمر بأوامر الاستعمار كحكومات عميلة، ولكن إسرائيل وإن كانت هي الأخرى تأتمر بأوامر الاستعمار كحكومة عميلة، إلا أنها شريكة للاستعمار أيضاً، بوصفها ذات أطماع استعمارية لحسابها الخاص، وبوصفها طليعة الصهيونية العالمية التي تشارك بنصيب وافر في رؤوس الأموال العامله في التروستات والكارتيلات الامبريالية. لذلك فإن إسرائيل أداة بيد الاستعمار، وفي الوقت نفسه كيان استعماري شريك للاستعمار، مصالحه مندمجة بمصالح الاستعمار اندماجاً عضوياً.

د ـ إن الدول الاستعمارية تطمع لاكتساب الأسواق الجديدة والسيطرة على مصادر الثروة في البلدان الأخرى، أما إسرائيل فهي بالإضافة إلى ذلك تطمح لاكتساب أراض جديدة مع إخلائها من سكانها الأصليين. فهي ليست استعماراً بقصد النهب المادي فحسب، بل أيضاً استعمار سكاني عنصري.

إن الدول الاستعمارية أصبحت مكشوفة لدى الشعوب المتخلفة، أما إسرائيل فما زال بمقدورها أن تلبس ثوب الحمل، وتخفي حقيقتها الاستعمارية العنصرية، مما يجعلها أخطر من الاستعمار على شعوب آسيا وأفريقيا، لأن ذلك يتيح لها فرصة النجاح في التضليل والخداع إلى أبعد الحدود.

من كل هذه الوقائع يتبين أن هذا الكيان جعل شعب فلسطين يواجه خطراً لا مثيل له، فبعض الشعوب واجهت خطر الاستعمار المباشر، وبعضها واجه خطر المستوطنين المعمرين. . وبعضها واجه مؤامرات الاستعمار الجديد الخ. . . أما شعب فلسطين فيواجه كل هذه الأخطار مجتمعة لأن دولة إسرائيل جمعت في آن واحد كل ألوان الشرور التي عرفتها الشعوب. لذلك لا يمكن أن تحل قضية فلسطين إلا على الطريقة التي حلت وتحل بها أفريقيا مشاكلها مع الاستعمار والعنصرية، أي تصفية المواقع الاستعمارية والعنصرية.

لقد حاول شعب فلسطين العربية بكل الطرق السلمية، في هيئة الأمم وفي غيرها من المجالات الدولية، أن يحل قضيته بصورة عادلة ولكنه فشل، فلم يبق أمامه من سبيل سوى حرب التحرير، وهو ماض في هذا السبيل بعزيمة لا تردد فيها، ولا

تراجع عنها، ومنذ عام ١٩٦٤ عام ولادة منظمة التحرير الفلسطينية، بدأت فصائل جيش التحرير تستعد لتحقيق هذا الهدف المقدس، وهي الآن كامنة في مواقعها السرية في غزة وسيناء وسوريا والعراق تتأهب لأن يقترن اسمها في معارك التحرير مع شعوب أنغولا وموزمبيق وفيتنام.

إن كل ما تقدم من حقائق في هذه المذكرة هو الذي يحدد موقف العرب من إسرائيل، وهو الذي يجب أن يحدد موقف كل قوى الحرية والسلام في العالم منها. ولقد اتخذ المؤتمر الثاني لرؤساء دول وحكومات البلدان غير المنحازة، المنعقد في القاهرة من ٥ إلى ١٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٤، القرار التالي:

«إن المؤتمر إذ يندد بالسياسة الاستعمارية، يقرر وفقاً لميثاق الأمم المتحدة:

١ ـ تأييد استعادة حقوق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه استعادة كاملة وكذلك حقه الطبيعي في تقرير مصيره.

٢ ـ إعلان تأييده التام للشعب العربي في فلسطين في كفاحه للتحرر من الاستعمار والصهيونية».

لذلك، فإن رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية يناشد السادة رؤساء دول أفريقيا أن يدعموا ويؤيدوا كفاح شعب فلسطين من أجل تصفية إسرائيل:

١ ـ بوصفها دولة قامت على اغتصاب فلسطين، وتشريد أهلها العرب.

٢ ـ باعتبارها جيباً استعمارياً للغزو والعدوان.

٣ ـ بوصفها بؤرة عنصرية وشوفينية مثل حكومتي روديسيا وجنوب أفريقيا .

٤ ـ لكونها تشكل خطراً على أفريقيا يتسرب الاستعمار الجديد من خلالها إلى البلدان (المتخلفة).

٥ ـ ولكونها تسعى لتهجير ملايين جديدة من الصهيونيين العنصريين إلى فلسطين الأمر الذي يهدد السلم، ويزيد من عدوانيتها وأطماعها التوسعية.

إن منظمة التحرير الفلسطينية التي أخذت على عاتقها العمل من أجل تحرير فلسطين، تهيب بالسادة رؤساء دول أفريقيا أن يؤيدوها باعتبارها إحدى حركات التحرير الوطنية في العالم.

(٢٢)

الرسالة التي وجهها الشقيري، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، إلى شعب فلسطين والأمة العربية بمناسبة الذكرى الخمسين لوعد بلفور، ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٧

نحن اليوم، في الثاني من تشرين الثاني/ نوفمبر من عام ١٩٦٧ إنه يوم واحد حقاً، ولكنه يضعنا وجهاً لوجه أمام خمسين عاماً طوالاً شداداً.

ففي الثاني من تشرين الثاني/ نوفمبر من عام١٩١٧، أصدرت الحكومة البريطانية وعدها المشؤوم بإقامة وطن قومي يهودي في فلسطين، ومنذ ذلك التاريخ، وشعب فلسطين يقف في هذا اليوم من كل عام أمام هذه الذكرى السوداء، يجدد العهد والإيمان، ويؤكد الثبات والعزم عنيداً في كفاحه صابراً مثابراً على نضاله.

ولم يكن شعبنا في مثل هذا اليوم، يقتصر على المؤتمرات الوطنية أو المهرجانات الشعبية يعلن فيها عروبة فلسطين واستنكار الاستعمار والصهيونية.

لم يكن يقتصر على الجهود السياسية يحرك العالمين العربي والإسلامي، بل لم يقتصر على إرسال الوفود إلى الحواضر الدولية يستنكر الباطل ويعلي كلمة الحق. ولكنه كان يخوض غمرات كفاح رهيب يواجه الصهيونية العالمية بكل طاقاتها والاستعمار بكل قدراته وخبراته.

أجل لقد خاض شعبنا كفاحاً مريراً من غير تكافؤ، بيننا وبين عدونا، خضناه عاماً بعد عام بل يوماً بعد يوم، وقاتلنا معركة بعد معركة ومرحلة بعد مرحلة،

وخسرنا أرضنا قرية بعد قرية بل شبراً بعد شبر، ولكن لم ينكسر إيماننا بالله ولا وهنت ثقتنا بالوطن، ولا ضعف استمساكنا بالحق.

وفي عهد الانتداب البريطاني منذ ١٩١٨ حتى ١٩٤٨، خاض الشعب خمس عشرة ثورة مسلحة، حملت أعباءها جماهير الشعب من العمال والفلاحين، والطلاب والشباب، والرجال والنساء، وسقط الشهداء بالآلاف، ونسفت المدن، وهدمت القرى، وغصّت السجون والمعتقلات، وأعلنت الجماهير عصياناً مدنياً واضطرابات متواليات، كان آخرها إضراب الأشهر الستة، بما لم يشهد التاريخ له مثيلاً منذ كان تاريخ النضال.

تلك سيرة كفاح طويل، في كلام قليل، لو شئنا أن ننصفه إلى آخر مداه لانتهى بنا إلى تاريخ جليل، كل صفحاته آيات بيّنات من ضروب الشجاعة والبطولة.

ولقد شهد عام ١٩٤٨ تقسيم وطننا، وقيام إسرائيل على ساحله الجميل، وتشرد شعبنا، وانتقل زمام القضية إلى الأيدي العربية في حقبة امتدت عشرين عاماً تخللتها مؤتمرات وانقلابات، وأحداث عربية ودولية، تدور كلها في فلك قضية فلسطين، من قريب أو من بعيد.

وها نحن نقف الآن أمام الذكرى الخمسين للوعد المشؤوم والسؤال الصارخ، صارخ في آذاننا: ماذا نرى، أين نحن اليوم، أين نسير، وإلى أين المصير؟

يوم صدر وعد بلفور كان خيالاً عريقاً في خيال، لم يصدقه واضعوه، واعتبروه تجربة عابرة، بل مقامرة مغامرة.

وعد بلفور، كتب يوم كتب مسربلاً بالقيود مكبلاً بالشروط، العطف لغته، والتمني لهجته، ولم يكن في فلسطين يومئذ إلا خمسون ألف يهودي، يملكون اثنين في المائة من أرض فلسطين، ومضت ثلاثون عاماً من الانتداب البريطاني حاشداً كل قوته حتى أصبح اليهود في ١٩٤٧ ثلاثة أرباع المليون، يملكون ستة في المائة من أرض فلسطين. ومع هذا بقي شعب فلسطين صامداً مرابطاً، لا تلين قناته، ولا تنثني عزيمته. وجاءت بعد ذلك مرحلة الأمم المتحدة فقامت إسرائيل، واغتصبت ما يزيد على نصف فلسطين، وشرّدت شعب فلسطين وأصبح اليهود يزيدون على مليونين، احتلوا مدننا وقرانا، ومزارعنا ومصانعنا، واستباحوا معابدنا ومقابرنا وكل مقدساتنا.

ثم جاء العدوان الإسرائيلي الأخير، فأصبحت فلسطين كلها تحت الاحتلال،

من البحر إلى النهر، وشمل العدوان أرضاً عربية غالية، في مصر وسوريا، وأصبح شعب فلسطين كله بين أسير ومشرد، وامتدت كارثة النزوح إلى أبناء العروبة فأصبحوا يعدّون بآلاف الآلاف.

هذه هي الصورة بعد خمسين عاماً من الصراع في مرحلتين حاسمتين، الأولى مع شعب فلسطين والثانية مع الأمة العربية بأسرها. صورة واضحة يبدو فيها خطان متوازيان يسيران جنباً إلى جنب حتى النكسة الأخيرة، الأول يجسد الهزيمة العربية عاماً بعد عام والثاني يجسد الانتصار الصهيوني عاماً بعد عام.

وهذان الخطان ما يزالان يسيران بانتظام: نصر إسرائيلي متلاحق، وانكسار عربي متلاحق. والسؤال الصارخ الثائر، لماذا كان الانتصار لعدونا ولماذا الانكسار لنا؟ لماذا تتوالى علينا هذه الكوارث منذ خمسين عاماً حتى الآن؟ لماذا أصبحت تجربة وعد بلفور حقيقة ثابتة؟ لماذا قام الوطن القومي اليهودي في فلسطين؟ لماذا تحول الوطن القومي اليهودي إلى دولة يهودية، تهدد حاضرنا وتنذر مستقبلنا؟ لماذا انكسرنا أمام إسرائيل في الخامس من حزيران/ يونيو؟ ولماذا أصبحنا نواجه هذا البلاء الأكبر يطالعنا كل صباح وكل مساء؟

سؤال كبير على لسان كل عربي، على لسان مئة مليون عربي، بل السؤال على لسان الملايين من الشعوب الصديقة، كلها مثلنا في لهفة وحسرة، في ذهول ودهشة، كيف انهزمنا وكيف انتصر عدونا؟ وكيف انتصرت إسرائيل المحصورة في الرقعة الصغيرة، كيف انهزمت الأمة العربية في أرضها الرحبة الكبيرة؟ عددها مئة مليون، فيها الثروات المادية والبشرية والروحية، أمة تملك المواقع الاستراتيجية الهائلة، تملك شواطئ البحر الأبيض وقناة السويس، والبحر الأحمر والبحر العربي حتى الخليج، أمة ذات حضارة عريقة، أمة ذات تاريخ مجيد بالفتح والنصر، أمة طموحة شجاعة، أمة حققت الاستقلال لأوطانها بالكفاح والنضال، أمة هذا شأنها وهذا أمرها كيف انكسرت وكيف هزمت؟.

ولعل الباحث عن جواب يجد كثيراً من الأسباب، يسردها ويشرحها ويؤكد أثرها وخطرها، أسباب امتدت وتراكمت على مدى خمسين عاماً، وحين نرجع بالذاكرة عبر هذه السنين تبرز أمامنا هذه الأسباب، واحداً بعد واحد.

يبرز أمامنا **أولاً**: أن الصهيونية ولدت على فراش الاستعمار وترعرعت في أحضانه، غذاها بالمال ودعّمها بالسلاح.

يبرز أمامنا **ثانياً**: الخديعة الاستعمارية كما تجلّت في المفاوضات العربية البريطانية أثناء الحرب العالمية الأولى.

يبرز أمامنا **ثالثاً**: أن الأمة العربية لم تكن قد تكامل وعيها، وقد شنت معارك ضارية في كل أوطانها لترفع الاحتلال وتظفر بالاستقلال.

يبرز أمامنا **رابعاً**: دور ألمانيا الهتلرية على غير إرادتها، في تصعيد الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

يبرز أمامنا **خامساً**: إنتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، وهم ملتزمون بتأييد القضية الصهيونية.

يبرز أمامنا **سادساً**: الاستهتار القومي والخيانة العظمى في حرب فلسطين عام ١٩٤٨.

يبرز أمامنا **سابعاً**: أن الكيان الفلسطيني قد تصدع عام ١٩٤٧ وأن منظمة التحرير الفلسطينية قد نشأت عام ١٩٦٤ بدلاً من عام ١٩٤٨.

يبرز أمامنا **ثامناً**: أن التجنيد الإجباري لم يطبق على أبناء فلسطين في الأردن وأن الضفة الغربية قد بقيت مكشوفة عزلاء وأن القرى الأمامية كانت من غير تسليح ولا تحصين.

يبرز أمامنا **تاسعاً**: أن معاهدة الدفاع المشترك مع الأردن قد تمت قبل العدوان بخمسة أيام، وأن هذه المعاهدة قد تمت مع العراق ليلة العدوان، وأن الجيش العراقي قد دخل الأراضي الأردنية يوم العدوان.

يبرز أمامنا **عاشراً وأخيراً**: أن الإعداد الشعبي لم يكن على مستوى الأحداث فإن المسارح والملاهي والأندية الاجتماعية في الوطن العربي تفوق أضعافاً مضاعفة معسكرات التدريب العسكري.

وتبرز كذلك أسباب فرعية أو جانبية إلى جانب هذه الأسباب التي وصلت بنا إلى هذا اليوم الكريه الذي نعيشه، الثاني من تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٦٧. ولكن سبباً واحداً يقع في رأس هذه الأسباب، هو أصل هذه الكوارث والنكبات. . . إنه السبب الأول والأخير، عاش معنا في هذه الخمسين عاماً ولا يزال يعيش معنا حتى الآن. . . وسيظل سبب الكوارث والنكبات التي تحل بنا، ما بقي هذا السبب يعيش معنا ونعيش معه.

ولنرجع إلى الماضي لنعرف السبب، حين صدر وعد بلفور في عام ١٩١٧ كانت بلاد الشام وطناً واحداً وقد تساند الاستعمار والصهيونية على تجزئة ديار الشام، فقامت فلسطين وشرق الأردن وسوريا، وكانت هذه التجزئة أول خطوة في بناء الوطن القومي اليهودي.

وفي عام ١٩٤٨ قامت إسرائيل في ظل التجزئة وكانت من حولها حكومات عربية متعددة، وجيوش عربية متعددة، وحين انطلق العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ على مصر كان في حساب الدول المعتدية أنهم يواجهون حكومات عربية متعددة وجيوشاً عربية متعددة.

وفي هذا العدوان الإسرائيلي الأخير في شهر حزيران/ يونيو، ضربت إسرائيل في مصر والأردن وسوريا، أين تشاء وكيف تشاء، وهي لا تواجه جبهة عربية واحدة، ذات خطة واحدة على رأسها قيادة واحدة.

في هذا كله يتجلى الجواب عن السؤال الكبير، لقد انهزمنا في ظل التجزئة، لقد انهزمنا لأننا لم نحقق الوحدة، والوحدة التي أعنيها ليست لفظاً لغوياً، أو معنى عاطفياً أو تعبيراً حماسياً، وإنما أعنيها وحدة حقيقية قومية دستورية ذات سيادة كاملة وسلطة شاملة.

ومما يدعو إلى هذه الوحدة الكاملة، ذات السيادة الشاملة، أن التجارب الماضية، أن تجارب التنسيق الماضية، تجارب العمل المشترك، قد قصرت عن بلوغ الغاية.

أمامنا **أولاً**: تجربة الجامعة العربية، لو قيست بعمرها الطويل لرأينا جهداً قليلاً وضئيلاً دون مستوى الأحداث.

أمامنا **ثانياً**: تجربة مجلس الدفاع المشترك، كل ما أنجزه أنه أضاف إلى الملفات العربية ملفات إضافية.

أمامنا **ثالثاً**: القيادة العربية الموحدة، رُمي بتوصياتها وطلباتها في أكثر من مناسبة.

أمامنا **رابعاً**: تجربة مؤتمرات القمة، كان جهدها الأقصى أنها وضعت العمل العربي في حده الأدنى.

ولقد كشف العدوان الإسرائيلي الأخير أكثر من أي وقت مضى، أن هذه

التجارب الماضية قد فشلت، وأن هذا الفشل دفعناه ثمناً غالياً، أصاب كرامتنا وشرفنا، وأدى إلى احتلال أرضنا وتشريد أهلنا.

ولهذا أصبح لابد لنا من الوحدة الحقيقية، تبادر إليها الدول العربية التي تتشابه في ظروفها وأوضاعها. إن إسرائيل تمثل جماعات من شعوب مختلفة على رأسها حكومة واحدة، ونحن أمة واحدة على رأسنا ثلاث عشرة حكومة.

ولقد انتصرت إسرائيل لأن لديها وزيراً واحداً لشؤون الخارجية وعندنا ثلاثة عشر وزيراً.

إن إسرائيل لها وزير واحد للدفاع ولنا ثلاثة عشر وزيراً.

إن إسرائيل لها وزير واحد للاقتصاد ولنا ثلاثة عشر وزيراً.

إن إسرائيل لها وزير واحد للشؤون الإعلامية ولنا ثلاثة عشر وزيراً.

هذه هي أسباب انتصار إسرائيل، وانكسار العرب ببداهة وبساطة.

ونحن لو نظرنا إلى مقومات الوحدة في الأمة العربية لوجدناها متوافرة متكاثرة أكثر منها في أية أمة أخرى بلا استثناء:

الاتحاد السوفيتي شعوب متعددة، ولغات متعددة، ومن أعظم أسباب قوتها الصناعية والعلمية والعسكرية وإنجازاتها النووية أنها دولة واحدة، ولو كان كل إقليم فيها دولة مستقلة في مثل حالنا، لغدت ضعيفة واهنة لا تطمع في بلوغ كوكب الزهرة.

وهذه الولايات المتحدة، شعوب مهاجرة من مختلف أقطار الأرض، ومن أسباب طاقاتها الصناعية الضخمة، وتقدمها العلمي وتفوقها في المجالات الذرية وآفاق الفضاء، أنها دولة واحدة، ولو أصبحت كل ولاية فيها دولة مستقلة لأصبحت من الدول النامية تلتمس العون والمدد.

وهكذا الأمثلة عديدة، في مجال سردها، وكلها يقين ما بعدها يقين تثبت أن مشاكل العرب الرئيسية ليس لها حل إلا بالوحدة، فالتجزئة هي سبب كل المشاكل العربية، والوحدة علاجها ولا علاج سواها.

والواقع أن الوحدة بالنسبة إلى الأمة العربية ليست حدثاً جديداً، فإن إقامة الوحدة هي عودة إلى الأصل، وهي عودة إلى الأمر الطبيعي وأن قيام ثلاث عشرة

حكومة على أمة واحدة، هو الأمر الطارئ، هو الأمر غير الطبيعي، هو الأمر الذي لا داعي لبقائه أو دوامه.

فما الذي يفرق بين السوري والعراقي، وبين السعودي، والكويتي، بين الأردني والفلسطيني، بين الليبي والتونسي، بين الجزائري والمغربي، بين السوداني والمصري، وما الذي يفرق بين هؤلاء جميعاً في ما بينهم، كلهم أمة واحدة مصالحهم واحدة، ثقافتهم واحدة، إرادتهم واحدة، ومصائرهم واحدة.

وهذه الحدود المصطنعة في الوطن العربي، من الذي صنعها؟ الاستعمار الدخيل البغيض: وأسماء الأقطار هي أسماء لأقاليم جغرافية، تماماً كأسماء المحافظات أو المديريات أو المقاطعات في الدولة الواحدة، وما سوريا والعراق والحجاز ونجد وتونس والمغرب والجزائر وليبية والسودان وفلسطين إلا أسماء لأقطار متعددة في الوطن الواحد.

وما من تصريح أو حديث أو خطاب يصدر عن قادة العرب إلا ويصف هذه الحدود بأنها حدود مصطنعة، فإذا كانت كذلك، لماذا تبقى؟ لماذا تظل قائمة؟ ثم من الذي يحمي هذه الحدود المصطنعة؟ من يبني عليها المخافر؟ ومن يراقب فيها جوازات السفر؟ من يستوفي فيها الجمارك؟ إنها الحكومات العربية التي تتحدث عن الحدود المصطنعة، وتخطب عن الحدود المصطنعة.

إن الاستعمار الذي صنع هذه الحدود قد ولّى إلى غير رجعة، ولكننا نحن الذين نحتفظ بهذه الحدود المصطنعة، نبنيها ونحميها، ثم نستنكرها كلاماً، شعراً أو نثراً.

في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر من كل عام تثور هذه المعاني من مكامنها، ولكن بعد الخامس من حزيران/ يونيو من هذا العام، يجب أن تصبح هذه المعاني منطلقاً للثورة العربية الكبرى، ثورة تغّير كل حياتنا إلا أهدافنا الكبرى، وكنوزنا الروحية والفكرية، بل إن الثورة الكبرى مطلوبة اليوم لحماية هذه الأهداف وهذه الكنوز.

لقد قامت في الوطن العربي في القرنين السابقين ثورات إقليمية مجيدة انتزعت الاستقلال وحققت الحرية، ولكن نكسة حزيران/ يونيو يجب أن تفجر في الأمة العربية ثورة فوق كل الثورات، يجب أن تفجر الثورة الأم التي تحتضن جميع الانتفاضات والثورات.

وإن هذه الثورة الأم هي قيام الدولة العربية المتحدة، تبادر إلى إنشائها الدول العربية التي تتشابه في ظروفها، وتظل مفتوحة للدول العربية الأخرى تدخلها حين تشاء.

هذه الدولة العربية المتحدة يكون لها رئيس واحد، وبرلمان واحد، للسياسة الخارجية وزير واحد، للدفاع وزير واحد، للمال وزير واحد، للثقافة وزير واحد، للإعلام وزير واحد، للبحث العلمي والطاقة النووية وزير واحد، جميعهم تختارهم كفاءتهم وترشحهم قدرتهم على النضال، فلا حرج أن يكونوا جميعاً من الجزائر أو من مصر أو من سوريا أو العراق، فالوزراء في أمريكا لايختارون بحسب الولايات، والوزراء في روسيا لا يختارون بحسب الأقاليم، وإنما تؤهلهم مؤهلاتهم وكفى.

الوحدة عمل جبار، والطريق إليها مليء بالمصاعب والمتاعب، ولكن هذه المصاعب والمتاعب أهون من النكبة الكبرى التي حلّت بنا، وأيسر من النكبات التي تنتظرنا.

ورب مجادل يجادل، إن الوقت ليس وقت الوحدة، إنه وقت إزالة آثار العدوان، بعد ذلك ندرس ونبحث ونخطط وننفذ، للوحدة وغير الوحدة. . ذلك وهم عريق في الوهم. إن إزالة آثار العدوان لا تتم بهذا الجهد المبدد في ساحة العمل العربي، ولا بالخطب الرائعة التي تلقى في الأمم المتحدة، ولا بهذه الأسفار العربية التي ضجت منها الطائرات.

إن العدوان قد تّم بالقوة، ولا يزول إلا بالقوة، إن القوة العربية الموحدة هي كفيلة بإزالة آثار العدوان، اللاحق والسابق، وإن الجيش العربي الواحد على رأسه قائد واحد، في دولة عربية واحدة، هو الذي يستطيع أن يحرر سيناء، والضفة الغربية، والمرتفعات السورية، وأن يكون بعد ذلك قادراً على تحرير الوطن السليب.

ورب سائل يتساءل، وما شأن منظمة التحرير الفلسطينية في أمر الوحدة؟ وما شأن اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر في قيام الدولة العربية المتحدة؟

والجواب عن السؤالين في غاية البساطة واليسر: إن شعب فلسطين كأي شعب من الشعوب العربية، من حقه الكامل وواجبه المقدس أن يدعو للوحدة ويعمل لها، إن شعب فلسطين هو وحدوي العقيدة وقد نادى بها منذ عام ١٩١٩ وناضل من

أجلها، وسقط شهداؤه بين جزرها ومدّها، وقد أعلنها شعب فلسطين غير مرة أنه غداة التحرير لا يطمع في أن يقيم الدولة الرابعة عشرة، وإنما يتطلع أن يكون عضواً أصيلاً في دولة الوحدة.

أما شأن هذا اليوم من تشرين الثاني/ نوفمبر في قيام الدولة الاتحادية، فإنه لا مرية فيه ولا ريب: إن وعد بلفور الذي نص على إقامة وطن قومي يهودي، وما تبع ذلك من قيام إسرائيل، وما تلا ذلك من الكوارث القومية والنكبات العسكرية. حدث ذلك كله لأن إسرائيل لا تجد من حولها الدولة العربية المتحدة التي تعرف كيف تصفي حسابها معها، ثأراً لشرف الأمة العربية وكرامتها، واستئصالاً لشأفتها، وتحريراً للوطن المستباح والقدس الجريحة، ونجداً للعربي النازح، العربي الشريد الطريد.

إن منظمة التحرير الفلسطينية التي تدعو في هذا اليوم إلى الوحدة، ليست متخلفة عن النهوض بواجباتها القومية في ميدان النضال، في ميدان الكفاح بالسلاح.

إن منظمة التحرير الفلسطينية تقود النضال الشعبي في داخل الوطن، في جميع الساحات، فلقد خرجت المنظمة من مؤتمر الخرطوم إلى ميدان النضال المسلح. إن شعب فلسطين داخل وطننا المحتل يتحدى العصابة الإسرائيلية بكل طرق المجابهة وكل صنوف التحدي، بالمقاومة السلبية وبالمقاومة المسلحة.

وقد أصبحت المنظمات الفدائية سواء كانت قواعدها في الداخل أو الخارج، كلها تعمل تحت راية المنظمة.

بالإضراب السلمي وبعدم التعاون في جميع ميادين الحياة، يتصدّى شعبنا للعصابة الإسرائيلية.

بالأعمال الفدائية الشجاعة ينزل شعبنا الخسائر في الأهداف العسكرية للعدو، ومنشآته وخطوط مواصلاته.

بالصبر وبالإيمان يصمد شعبنا أمام حملة التجويع والإفقار التي تتعرض لها جماهير العمال والفلاحين، والتجار والموظفين.

وفي هذه الغمرة من النضال يتساقط الشهداء من أبطال منظمة التحرير وتغصّ السجون والمعتقلات بالمئات من شبابنا وطلابنا المناضلين.

وتقف منظمة التحرير في هذه المعركة، لتضع فيها كل طاقاتها النضالية والمالية والفكرية حتى تتحول إلى حرب شعبية شاملة.

هذا هو اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر في وحيه إلى شعب فلسطين، وفي إلهامه للأمة العربية، ليس يوم نواح ولا بكاء، ولا دموع ولا رثاء، ولا حسرات ولا زفرات، ولكنه يوم عزم وإيمان، يوم دعوة صارخة إلى الوحدة، يوم تحية إلى الشعب البطل الذي يناضل في الضفة الغربية وفي قطاع غزة وفي المنطقة المحتلة، في فلسطين من البحر إلى النهر.

تحية إلى الفدائيين، تحية إلى المناضلين، وتقديساً للشهداء الأبرار، فمقامهم مع الصديقّين والأنبياء، ﴿**وحَسُنَ أولئك رفيقاً**﴾[1] . . . صدق الله العظيم.

(١) **القرآن الكريم**، «سورة النساء،» الآية ٦٩.